الصحيح من سيرة النبي الأعظم

٢١

الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم المجلد21

اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم / جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

ص: 1

اشاره

ص: 2

ص: 3

ص: 4

ص: 5

ص: 6

القسم التاسع فتح مكه

اشاره

الباب الأول: إلى مكه

الباب الثانى: فتح مكه

الباب الثالث: نهايات فتح مكه

ص: 7

الباب الأول إلى مكه

اشاره

الفصل الأول: المجزره

الفصل الثانى: إلى المدينه: خبر و شكوى

الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينه: تدليس و خداع

الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول

الفصل الخامس: ابن أبى بلعته .. يتجسس و يفتضح

الفصل السادس: على طريق مكه

الفصل السابع: هجره العباس .. و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمه

الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين

ص: 8

ص: 9

الفصل الأول: المجزره

اشاره

ص: 10

بدايه:

إن فتح مكه كان نقطه تحول فى تاريخ الإسلام، و فى الأوضاع العامه فى الجزيره العربيه بأسرها ... حيث لم يعد أحد يجد أى عقده أو حرج من أيه جهه كانت فى الإقبال على هذا الدين، و الإنضواء تحت لواء الإسلام، بل أصبح ذلک موضع تنافس، و تسابق، لأنهم وجدوا فيه فرصه لتعزيز موقعهم، و تأكيد وجودهم و دورهم فى صنع المستقبل، و رسم مسار الأمه بأسرها إلى مصيرها ..

و أصبح أعداء الأمس و صناع الحروب ضد هذا الدين و أهله أتباعا بل أذنابا، أكثر ما يهتمون له هو: أن يجدوا وسيله لتأكيد صدق ولائهم، و صحه إيمانهم، و سلامه اعتقادهم .. أو أن يظهروا المزيد من الحرص على كسر شوكه أعداء دين اللّه، و النكايه فيهم، و صدقهم فى مناهضتهم و ردّ عاديتهم ..

و أصبحت لا تسمع منهم إلا المدح و الثناء، و إلا العبارات الطافحه بالرضا، و المعبره عن مشاعر العرفان بالجميل، و عن الشعور بالإمتنان، و بالشكر الجزيل لمن كان بنظرهم قاطعا للرحم، و سببا فى الخلاف و فى الاختلاف، و من وصفوه بالكاهن و الساحر و المجنون، و بالشاعر الذى يتربصون به ريب المنون ..

فكيف كان هذا الفتح، و ما هى تفاصيل أحداثه؟

هذا ما سوف نجيب عليه فى الفصول الآتيه.

تاريخ فتح مكه:

روى عن الإمام الرضا، عن آبائه (عليهم السلام): أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سافر إلى بدر فى شهر رمضان، و افتتح مكه فى شهر رمضان (1).

و فى الروايات التاريخيه أيضا: إن الفتح كان فى يوم الجمعه (2).

و القول: بأنه كان فى شهر رمضان سنه ثمان مروى عن ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و أبى سعيد الخدرى و غيرهم، بل لا خلاف فى أن هذه

1- البحار ج 19 ص 273 و ج 21 ص 116 و راجع ج 97 ص 168 و أمالى ابن الشيخ ص 218. و راجع: الأمالى للطوسى ص 342 و مسند الإمام الرضا ج 2 479 و ميزان الحكمه ج 3 ص 2249 و تفسير الميزان ج 9 ص 29 و مشارق الشموس للخوانسارى ج 2 ص 370 و الحدائق الناضره ج 3 ص 188 و الإستبصار ج 2 ص 102 و تهذيب الأحكام ج 4 ص 126 و الوسائل (ط مؤسسه آل البيت) ج 10 ص 201 و (ط دار الإسلاميه) ج 7 ص 243 و منتهى الجمان ج 2 ص 520.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 77. و راجع: البحار ج 21 ص 143 و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج 2 ص 137 و (ط دار الكتب العلميه) ج 1 ص 391 و البدايه و النهايه (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 322 و زاد المعاد (ط مؤسسه الرساله) ج 1 ص 1096 و تاريخ مدينه دمشق ج 16 ص 77 و 232 و نيل الأوطار ج 2 ص 195 و أحكام أهل الذمه لابن قيم الجوزيه (ط دار الكتب العلميه) ج 2 ص 640.

الغزوه كانت فى شهر رمضان (1)، فلا حاجه إلى تفصيل القول فى ذلک.

و لكن الخلاف هنا هو فى ثلاثه أمور، هى:

1- يوم الخروج من المدينه.

2- يوم دخول مكه. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 21 13 تاريخ فتح مكه: ..... ص : 12

3- مده الإقامه فى مكه.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 200 و 265 و 266 عن البخارى، و البيهقى، و أحمد، و الواقدى، و ابن إسحاق، و إسحاق بن راهويه، و مسلم، و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و 77 و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و البحار ج 21 ص 102 و 111 و 124 و 127 و 133 و 143 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و عن البخارى ج 7 ص 595. و راجع: السنن الكبرى للبيهقى ج 4 ص 341 و ج 6 ص 55 و مقدمه فتح البارى ص 371 و فتح البارى (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و التبيان ج 5 ص 198 و تفسير القرطبى ج 6 ص 60 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 119 و سبل السلام ج 2 ص 161 و ج 3 ص 5 و الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج 2 ص 134 و 137 و (ط دار الكتب العلميه) ج 1 ص 391 و البدايه و النهايه (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 322 و التاريخ الصغير للبخارى ج 1 ص 58 و فتوح البلدان ج 1 ص 46 و زاد المعاد (ط مؤسسه الرساله) ج 1 ص 1096 و تاريخ مدينه دمشق ج 16 ص 77 و 232 و نيل الأوطار ج 2 ص 195 و أحكام أهل الذمه لابن قيم الجوزيه (ط دار الكتب العلميه) ج 2 ص 640 و إعلام الورى ج 1 ص 215 و قصص الأنبياء للراوندى ص 345 و السيره النبويه لابن كثير ج 2 ص 354 و 539 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و تاريخ خليفه بن خياط ص 52. و غير ذلک من المصادر الكثيره جدا.

و نحن نذكر هنا موجزا عن هذه الأمور الثلاثه كما يلى:

يوم خروج النبى صلّى اللّه عليه و آله من المدينه:

روى عن الزهرى أنه قال: لا أدرى أخرج فى شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج فى رمضان بعد ما دخل (1).

و عن أبى سعيد الخدرى، قال: خرجنا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 265 عن البيهقى، و راجع: السيره النبويه لا بن كثير ج 3 ص 539 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 326 و عن فتح البارى (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفكر) ج 8 ص 313.
2- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 265 و 266 عن أحمد بإسناد صحيح، و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و (ط دار المعرفه) ج 3 ص 3 و البحار ج 21 ص 127 و إعلام الورى ج 1 ص 218 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 327 و (ط دار المعارف) ج 2 ص 283 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 541 و 542 صحيح ابن حبان (ط مؤسسه الرساله) ج 11 ص 46 و (ط دار الفكر) ج 5 ص 84 و شرح معانى الآثار ج 2 ص 66 و مسند أبى حنيفه ج 1 ص 250 و صحيح ابن خزيمه ج 3 ص 264 و راجع: المبسوط للسرخسى ج 3 ص 91 و عن عون المعبود ج 7 ص 30 و (ط دار الفكر) ص 39 و التمهيد للقرطبى ج 2 ص 169 و ج 22 ص 47 و مرقاه المفاتيح ج 4 ص 525 و السير الكبير للشيبانى ج 1 ص 66 و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 177 و عن فتح البارى (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفكر) ج 8 ص 313.

و قال آخرون: أنه خرج لعشر خلون من شهر رمضان (1).

يوم دخول مكه:

و اختلفت أقوالهم فى يوم دخول مكه، فعن الزهرى: فصبح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مكه لثلاث عشره خلت من شهر رمضان (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 266 عن الواقدى، و ابن إسحاق، و عن إسحاق بن راهويه بسند صحيح عن ابن عباس، و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و البحار ج 21 ص 102 و راجع: شرح مسلم للنووى ج 5 ص 234 و عن فتح البارى (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفكر) ج 8 ص 313 و الديباج على مسلم ج 3 ص 216 و عن عون المعبود ج 7 ص 30 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و تاريخ خليفه بن خياط ص 52 و مرقاه المفاتيح ج 4 ص 525.

2- البحار ج 21 ص 133 عن إعلام الورى و غيره، و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 265 عن البيهقى بسند صحيح، و إعلام الورى ج 1 ص 226 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 541 و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 3 ص 141 و (ط دار الكتب العلميه) ج 7 ص 190 و العلل لابن حنبل ص 231 و السنن الكبرى للبيهقى (ط دار الفكر) ج 4 ص 241 و (ط أخرى) ج 6 ص 273 شرح مسلم للنووى (ط دار الكتاب العربى) ج 5 ص 233 و (ط دار الفكر) ج 7 ص 189 و الدر منثور ج 6 ص 408 و مسند أحمد (ط دار صادر) ج 1 ص 276 و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 107 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 43 و عن فتح البارى (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفكر) ج 8 ص 313 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 374 و نصب الرايه (ط دار الحديث) ج 3 ص 28 و منتخب مسند عبد بن حميد (ط مكتبه النهضه) ص 217 و (ط دار عالم الكتاب) ج 1 ص 216 و غرر الفوائد المجموعه ليحى بن على القرشى ص 310 و مجمع الزوائد ج 6 ص 177 و نصب الرايه ج 3 ص 28 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث) ج 4 ص 327 و (ط دار المعارف) ج 2 ص 283

و قیل: لاثنتی عشره (1).

و قیل: إنه دخل لست عشره (2).

و قیل: لسبع عشره (3).

و قیل: لتسع عشره (4).

و قیل: لعشرین من شهر رمضان (5).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 265 و 266 عن أحمد، و السیره الحلبیه ج 3 ص 76 و عن فتح الباری (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفکر) ج 8 ص 313.
2- تاریخ الخمیس ج 2 ص 77 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 265 و 266 عن مسلم، و عن فتح الباری (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفکر) ج 8 ص 313.
3- الدر المنثور ج 6 ص 408 و البدایه و النهایه (ط دار إحیاء التراث) ج 4 ص 326 و (ط دار المعارف) ج 2 ص 282 و السیره النبویه لابن کثر ج 3 ص 541.
4- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 265 و 266 عن أحمد، و السیره الحلبیه ج 3 ص 76 و شرح مسلم للنووی (ط دار الکتاب العربی) ج 7 ص 334 و (ط دار الفکر) ج 7 ص 189 و نیل الأوطار (ط دار الفکر) ج 2 ص 295 و (ط دار الجیل) ج 4 ص 311 و عن فتح الباری (ط دار المعرفه) ج 4 ص 158 و ج 8 ص 2 و (ط دار الفکر) ج 4 ص 690 و ج 8 ص 313 و عمده القاری ج 11 ص 45 و الدیباج علی مسلم ج 3 ص 216.
5- البحار ج 94 ص 168 ج 21 ص 143 عن الکازرونی، و تاریخ خلیفه بن خیاط ص 53 و تاریخ الأمم و الملوک (ط مؤسسه الأعلمی) ج 2 ص 343 و السیره النبویه لابن هشام (ط مکتبه محمد علی صبیح) ج 4 ص 889 و (دار المعرفه) ج 4 ص 60 عن ابن إسحاق، و مستدرک سفینه البحار ج 8 ص 107 و عن فتح الباری (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفکر) ج 8 ص 313 و الدیباج علی مسلم ج 3 ص 216 و نیل الأوطار (ط دار الفکر) ج 2 ص 295 و (ط دار الجیل) ج 4 ص 311 و 312 و إعلام الوری ج 1 ص 226 و العبر و دیوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 44 و البدایه و النهایه

(ط دار إحياء التراث) ج 4 ص 327 و 369 و (ط دار المعارف) ج 2 ص 283 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 542 و تفسير أبى السعود ج 9 ص 208 و راجع: تفسير الثعالبى، و تفسير البغوى.

و قیل: لاثنین و عشرین من شهر رمضان (1).

و روایه أخری رددت: بین تسع عشره، أو سبع عشره (2).

مده الإقامه فی مکه:

و أما بالنسبه لمده بقائه (صلی اللّه علیه و آله) فی مکه، فهو موضع خلاف أیضا.

فقیل: عشر لیال (3).

و قیل: خمس عشره لیله (4).

1- فتح القدیر ج 2 ص 10 و تفسیر القرطبی ج 6 ص 60 عن الضحاک.
2- تاریخ الخمیس ج 2 ص 77 و البحار ج 21 ص 111 عن کتاب العدد، و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 266 و تاریخ بغداد ج 12 ص 108 و عن فتح الباری (ط دار المعرفه) ج 8 ص 2 و (ط دار الفکر) ج 8 ص 313 و شرح معانی الآثار ج 2 ص 68.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 261 و عن البخاری ج 1 ص 367 ح 1031 و ج 4 ص 1064 ح 1046 و عن مسلم ج 2 ص 141 ح 15 و المحلی ج 5 ص 27 و المجموع للنووی ج 4 ص 363 و السنن الکبری للبیهقی ج 3 ص 148.
4- تاریخ الخمیس ج 2 ص 90 عن البخاری، و المغازی للواقدی ج 2 ص 871 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 261 و ج 8 ص 231 عن أبی داود، و عن ابن إسحاق، و النسائی. و راجع: مسالک الأفهام ج 7 ص 428 عن صحیح مسلم ج 2 ص 1024 ح 20 و نیل الأوطار ج 9 ص 269 و عن صحیح مسلم (ط دار الفکر) ج 4 ص 132 و تحفه الأحوذی ج 3 ص 93 و ج 4 ص 225 و تفسیر کنز الدقائق ج 2 ص 415 و البحار ج 21 ص 143 عن الکازرونی، و الطبقات الکبری (ط دار صادر) ج 2 ص 143 و 144 و البدایه و النهایه ج 4 ص 363 و السیره النبویه ج 3 ص 600 و السنن الکبری للبیهقی ج 3 ص 151 و المصنف لابن أبی شیبه ج 2 ص 340 و ج 8 ص 540 و تاریخ خلیفه بن خیاط ص 52 و تفسیر مجمع البیان ج 5 ص 34 و تفسیر المیزان ج 9 ص 230.

و قیل: سبع عشره (1).

و قیل: ثمانی عشره (2).

1- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 261 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 90 عن أبی داود، و راجع: الطبقات الکبری (ط دار صادر) ج 2 ص 143 و کنز العمال ج 8 ص 239.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 261 و ج 8 ص 231 عن أبی داود، و تاریخ الخمیس ج 2 ص 90 عن الترمذی، و راجع: الطبقات الکبری (ط دار صادر) ج 2 ص 143 و 144 و المصنف لابن أبی شیبه ج 1 ص 419 و کنز العمال ج 7 ص 545 و ج 8 ص 237 و عن فتح الباری ج 2 ص 463 و تحفه الأحوذی ج 3 ص 93 و تلخیص الحبیر ج 4 ص 449 و ج 7 ص 355 و سبل السلام ج 2 ص 40 و نیل الأوطار ج 3 ص 256 و مسند أحمد ج 3 ص 431 و 432 و سنن أبی داود ج 1 ص 275 و السنن الکبری للبیهقی ج 3 ص 157 و المصنف لابن أبی شیبه ج 2 ص 338 و 340 و 419 و نصب الرایه ج 2 ص 224 و 225 و 226 و البدایه و النهایه ج 4 ص 363 و السیره النبویه ج 3 ص 599.

و قيل: تسع عشره (1).

و لعل التصحيف- بين سبع و تسع- هو الذى جعلهما قولين.

و قيل: عشرين (2).

و قيل: بضع عشره (3).

و هذا قد لا يكون قولا جديدا، فإنه قد يكون موافقا لأحد الأقوال السابقه.

و هكذا يقال بالنسبه لقولهم: إنه بقي بقيه شهر رمضان، و سته أيام من شوال (4)، فإنه قد يكون متوافقا مع أحد الأقوال المتقدمه.

خطأ فى البخارى:

روى عن ابن عباس: أن فتح مكه كان (على رأس ثمانى سنين و نصف من مقدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المدينه) (5).

1- تاريخ الخميس ج 2 ص 90 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 261 و ج 8 ص 230 عن البخارى و أبى داود، و السيره الحلبيه ج 3 ص 104 و تحفه الأحوذى ج 3 ص 93 و نصب الرايه ج 2 ص 221.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 871 و تحفه الأحوذى ج 3 ص 94 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 201 و تلخيص الحبير ج 4 ص 449.
3- تاريخ الخميس ج 2 ص 90 عن الإكليل، و راجع: عون المعبود ج 14 ص 37.
4- المصدر السابق.
5- صحيح البخارى (ط دار إحياء التراث العربى) ج 8 ص 313 و (ط دار الفكر) ج 5 ص 90 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 266 عنه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و تاريخ الخميس ج 2 ص 77 و عوالى اللآلى ج 1 ص 203 و مسند أحمد (ط دار صادر) ج 1 ص 334 و (ط دار إحياء التراث العربى) ص 549 و السنن الكبرى للبيهقى ج 4 ص 241 و عن فتح البارى (ط دار المعرفه) ج 4 ص 154 و (ط دار الفكر) ج 8 ص 313 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 373 و الدر المنثور (ط دار المعرفه) ج 6 ص 407 و

(ط دار الفكر) ج 8 ص 659 و نيل الأوطار (ط دار الفكر) ج 2 ص 288 و (ط دار الجليل) ج 4 ص 303 و الطرائف لابن طاووس ص 528 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 326 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 541.

قال العسقلانی و غیره: (و هو وهم. و الصواب: علی رأس سبع سنین و نصف) (1).

و فی خلاصه السیره: لسبع سنین و ثمانیه أشهر، و أحد عشر یوما (2).

و نقول:

إن هذا التحدید لیس دقیقا، و لأن الصحیح هو: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد قدم المدینه فی الثامن من شهر ربیع الأول (3)، فیکون فتح مکه بعد مقدمه (صلی اللّه علیه و آله) المدینه بسبع سنین و سته أشهر و أحد عشر یوما إذا کان فتحها فی التاسع من شهر رمضان المبارک ... و تقل الأیام و تزید بحسب الاختلاف فی الیوم الذی دخل فیه (صلی اللّه علیه و آله) مکه،

1- فتح الباری (ط دار المعرفه) ج 8 ص 3 و (ط دار الفکر) ج 8 ص 313 و عمده القاری ج 17 ص 275 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 266 و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 76.
2- تاریخ الخمیس ج 2 ص 77.
3- راجع: تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 41 و المصنف للصنعانی ج 5 ص 361 و الدر المنثور (ط دار المعرفه) ج 4 ص 108 و (ط دار الفکر) ج 5 ص 97 و العلل فی معرفه الرجال لابن حنبل ج 3 ص 426.

حسبما أسلفناه فى الصفحات السابقه.

شهر رمضان لماذا؟!:

1- لقد كانت سياسه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى كثير من حروبه مع أعدائه، و خصوصا فى غزوه الفتح، هى اعتماد عنصر المباغته.

و قد توفر هذا العنصر أيضا فى اختيار شهر رمضان المبارک، و هو شهر الصوم و العباده، للقيام بحمله واسعه و كبيره، لأن ذلک كان من الأمور التى يقلّ احتمالها فى حسابات الناس عاده، حيث يتوقعون إخلاد الناس للراحه فى هذا الشهر، و عكوفهم على العباده، و عزوفهم عن الأسفار، حتى لا يضطروا لقضاء الصوم فى أيام فطر الناس.

و بذلک يصح اعتبار هذا التوقيت من العناصر التى ساعدت على مباغته القوم، و مفاجأتهم كما هو ظاهر ..

2- ثم إن لشهر رمضان أثره الإيحائى فى نفوس أهل الإيمان، من حيث أنه يهيئهم للعيش فى كنف اللّه، و الشعور بحضوره، و يؤكد علاقتهم به تبارک و تعالى. فكيف إذا انضم إلى ذلک أن حركتهم هذه إنما هى باتجاه بيت اللّه، و حرمه، و أقدس البقاع و أشرفها؟ و يقودهم و يرعاهم أفضل الأنبياء و أكرمهم و أشرفهم؟!.

و لعل أهم ما فى الأمر: أن ذلک يحقق درجه كبيره من التمازج العملى فيما بين المعانى و القيم الإيمانيه، و بين حركه الإنسان فى الحياه، و يعطى هذه الحركه معناها الروحى، و يتجلى ذلک فيها بعمق، و بوضوح، و يمنح الإنسان قدره أكبر على الشعور بهذا التمازج، و تتفاعل مشاعره و أحاسيسه معه، و تحت و طأته.

الأحلاف فى الجاهليه و الإسلام:

قالوا: كانت خزاعه فى الجاهليه أصابت رجلا من بنى الحضرمى، و اسمه مالک بن عباد- و حلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رزن- و كان هذا الحضرمى قد خرج تاجرا، فلما توسط أرض خزاعه عدوا عليه فقتلوه، و أخذوا ماله.

فمر رجل من خزاعه على بنى الديل بعد ذلک فقتلوه، فوقعت الحرب بينهم، فمر بنو الأسود بن رزن، و هم: ذؤيب، و سلمى، و كلثوم على خزاعه، فقتلوهم بعرفه عند أنصاب الحرم.

و كان قوم الأسود منخر بنى كنانه يودون فى الجاهليه ديتين لفضلهم فى بنى بكر، و نودى ديه.

فبينا بنو بكر و خزاعه على ذلک بعث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فحجز بالاسلام بينهم، و تشاغل الناس به، و هم على ما هم عليه من العداوه فى أنفسهم.

فلما كان صلح الحديبيه بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و بين قريش، و وقع الشرط: (و من أحب أن يدخل فى عقد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فليدخل، و من أراد أن يدخل فى عقد قريش فليدخل)، دخلت خزاعه فى عقد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

حلف خزاعه:

و قالوا أيضا: و كانت خزاعه حلفاء عبد المطلب بن هاشم، و كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بذلک عارفا، و لقد جاءته خزاعه يومئذ

بکتاب عبد المطلب فقرأه علیه أبی بن کعب و هو:

(باسمک اللهم. هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعه، إذ قدم علیه سرواتهم و أهل الرأی، غائبهم مقر بما قاضی علیه شاهدهم، إن بیننا و بینکم عهود اللّه و عقوده، و ما لا ینسی أبدا، الید واحده، و النصر واحد ما أشرف ثبیر، و ثبت حراء مکانه، و ما بل بحر صوفه. و لا یزداد فیما بیننا و بینکم إلا تجددا أبد الدهر سرمدا).

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (ما أعرفنی بخلقکم علی ما أسلمتم علیه من الحلف! فکل حلف کان فی الجاهلیه فلا یزیده الإسلام إلا شده. و لا حلف فی الإسلام) (1).

و فی الإمتاع: أن نسخه کتاب الحلف هی:

(باسمک اللهم. هذا ما تحالف علیه عبد المطلب بن هاشم و رجالات عمرو بن ربیعه من خزاعه، تحالفوا علی التناصر و المواساه ما بلّ بحر صوفه، حلفا جامعا غیر مفرق، الأشیاخ علی الأشیاخ، و الأصاغر علی الأصاغر، و الشاهد علی الغائب، و تعاهدوا و تعاقدوا أوکد عهد، و أوثق عقد، لا ینقض و لا ینکث، ما أشرقت شمس علی ثبیر، و حنّ بفلاه بعیر، و ما أقام الأخشبان، و عمر بمکه إنسان، حلف أبد، لطول أمد، یزیده طلوع الشمس شدّا، و ظلام اللیل مدا ..

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 200 عن فتح الباری ج 7 ص 592 و السیره الحلبیه ج 3 ص 70 و المغازی للواقدی ج 2 ص 781 و 782 و شرح المواهب اللدنیه للزرقانی ج 2 ص 345 و مکاتیب الرسول ج 3 ص 130 و 234 و 235.

و أن عبد المطلب و ولده و من معهم و رجال خزاعه متكافئون، متظاهرون متعاونون، فعلى عبد المطلب النصره لهم بمن تابعه على كل طالب، و على خزاعه النصره لعبد المطلب و ولده و من معهم على جميع العرب، فى شرق أو غرب، أو حزن أو سهل. و جعلوا اللّه على ذلک كفيلا، و كفى باللّه جميلا).

فجاؤوا بعهدهم هذا إلى النبى (صلّى اللّه عليه و آله) فى الحديبيه، فقرأه له أبى بن كعب، فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله): ما أعرفنى بحقكم و أنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف (1).

سبب حلف خزاعه:

و ذكروا عن سبب عقد هذا الحلف:

أنه لما مات المطلب بن عبد مناف، و ثب أخوه نوفل على ساحات و أفنيه كانت لعبد المطلب، و اغتصبه إياها، فضطرب عبد المطلب لذلک، و استنهض قومه، فلم ينهض معه أحد منهم، و قالوا له: لا ندخل بينک و بين عمک.

فكتب إلى أخواله بنى النجار، فجاءه منهم سبعون راكبا، فأتوا نوفلا، و قالوا له: و رب هذه البنيه، لتردنّ على ابن أختنا ما أخذت، و إلا ملأنا منک السيف، فرده.

ثم حالف خزاعه بعد أن حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس (2).

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 70 و 71.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 70 و راجع: تاريخ الأمم و الملوک (ط مؤسسه الأعلمى) ج 2 ص 9 و 10.

و نقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمه وقفات عديده، نقتصر منها على ما يلى:

حلف أهل الباطل:

قد اتضح مما تقدم: أن نوفلا كان متعديا على عبد المطلب غاصبا لحقه، و أن عبد المطلب حين لم ينهض معه أحد من قومه اضطر إلى الاستعانه بأخواله من بنى النجار، ثم حالف خزاعه، ليمتنع بهم إن تعرض له احد بظلم، لكى يدفع عن نفسه، و يعيش مرهوب الجانب عزيزا مكرما ..

و لكن نوفلا الذى ظلم عبد المطلب، و لم يتراجع عن موقفه إلا تحت وطأه التهديد باستعمال السيف، قد حالف بنى أخيه عبد شمس، ليتقوى بهم على مواصله سيرته و نهجه، و هم لم يجدوا فى التحالف معه على ذلک أى حرج أو مانع ..

و شتان بين من يحالف جماعه ليتقوى بهم على إحقاق الحق، و بين من يحالف الآخرين ليتقوى بهم على إشاعه نهجه الإنحرافى و الظالم ..

لا حلف فى الإسلام:

و من خلال المعادله المشار إليها آنفا ندرک صحه ما يرمى إليه قوله (صلّى اللّه عليه و آله): (كل حلف فى الجاهليه فلا يزيده الإسلام إلا شده.

و لا حلف فى الإسلام).

فإن المقصود بالحلف الذى فى الجاهليه، و يزيده الإسلام شده، هو الحلف الهادف إلى نصره الحق، و المتضمن للتعاون، و التناصر، و المواساه، و دفع الظلم .. فإن الإسلام يشدد على الاستمرار فى هذا الاتجاه، و يؤكد على

الالتزام بمضمون كل حلف فيه هذه المزايا، و يدعو إلى دخول جميع الناس فى هذا الالتزام ..

و لكن الإسلام لا يرضى بنشوء حلف فيما بين المسلمين ضد أى فريق آخر منهم أنفسهم، لأن معنى هذا هو: إقرار الإسلام حاله الإنقسام فيما بين أهل الصف الواحد، و أتباع النهج و الدين الواحد، فى حين أن دعوه الإسلام تقوم على اعتبار المسلمين يدا واحده على من سواهم (1)، و يريد لهم:

(أن يكونوا بمثابه أسره واحده متكامله العناصر، لهم قيّم واحد، و هو النبى (صلّى اللّه عليه و آله) أو الإمام (عليه السلام)، و قد روى عنه (صلّى اللّه عليه و آله) قوله: أنا و على أبوا هذه الأمه (2).

1- راجع: كتاب الأم للشافعى ج 4 ص 239 و 302 و ج 7 ص 367 و 370 و مختصر المزنى ص 258 و 272 و المجموع للنووى ج 19 ص 364 و 365 و المبسوط للسرخسى ج 10 ص 25 و نيل الأوطار ج 8 ص 180 و الأمالى للشيخ الطوسى ص 263 و البحار ج 93 ص 81 و ج 97 ص 32 و الغدير ج 8 ص 171 و ميزان الحكمه ج 2 ص 1340 و 1341 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 895 و مجمع الزوائد ج 6 ص 292 و المصنف للصنعانى ج 10 ص 99 و صحيح ابن خزيمه ج 4 ص 26 و شرح معانى الآثار ج 3 ص 193 و المعجم الأوسط ج 6 ص 305 و المعجم الكبير ج 20 ص 206 و كنز العمال ج 1 ص 99 و السير الكبير للشيبانى ج 2 ص 482.
2- راجع: معانى الأخبار ص 52 و 118 و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 85 و (ط أخرى) ج 1 ص 91 و البرهان (تفسير) ج 1 ص 369 عن الفائق للزمخشرى، و عن ابن شهر آشوب. و الميزان (تفسير) ج 4 ص 357 عنه و عن العياشى. و من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 235 و علل الشرائع ج 1 ص 127 و الأمالى للصدوق ص 65 و 411 و 755 و كمال الدين و تمام النعمه ص 261 و روضه الواعظين للفتال النيسابورى ص 322 و خاتمه المستدرک للنورى ج 5 ص 14 و الغارات للثقفى ج 2 ص 717 و 745 و مائه منقبه لمحمد بن أحمد القمى ص 46 و 47 و كنز الفوائد ص 186 و المناقب لابن شهر آشوب ج 2 ص 300 و العمده لابن البطريق ص 345 و سعد السعود للسيد ابن طاووس ص 275 و الصراط المستقيم ج 1 ص 242 و 243 و المحتضر لحسن بن سليمان الحلى ص 35 و كتاب الأربعين للشيرازى ص 47 و البحار ج 16 ص 95 و 364 و ج 23 ص 128 و 259 و

ج 26 ص 264 و 342 و ج 36 ص 6 و 9 و 11 و 14 و 255 و ج 38 ص 92 و 152 و ج 39 ص 93 و ج 40 ص 45 و 53 و ج 66 ص 343 و ج 71 ص 116 و ج 108 ص 320 و 376 و ج 109 ص 10 و ج 110 ص 36 و كتاب الأربعين للماحوزى ص 238 و شرح الزياره الجامعه للسيد عبد اللّه شبر ص 43 و المراجعات ص 286 و مستدرک سفينه البحار ج 1 ص 40 و 41 و ج 2 ص 393 و ج 9 ص 264 و ج 10 ص 445 و نهج السعاده ج 7 ص 156 و 158 و الإمام على (عليه السلام) لأحمد الرحمانى ص 76 و 787 و مسند الإمام الرضا (عليه السلام) ج 1 ص 80 و 221 و درر الأخبار ص 244 و 272 و تفسير أبى حمزه الثمالى ص 159 و 200 و 413 و تفسير الإمام العسكرى (عليه السلام) ص 330 و 331 و 645 و التفسير الصافى ج 1 ص 150 و ج 4 ص 165 و 166 و ج 5 ص 52 و التفسير الأصفى ج 2 ص 984 و تفسير نور الثقلين ج 4 ص 237 و 238 و تفسير كنز الدقائق ج 1 ص 286 و ج 4 ص 357 و مفردات غريب القرآن ص 7 و إختيار معرفه الرجال ج 1 ص 233 و بشاره المصطفى لمحمد بن على الطبرى ص 97 و 254 و نهج الإيمان لابن جبر ص 625 و 629 و تأويل الآيات لشرف الدين الحسينى ج 1 ص 74 و 128 و ينابيع الموده ج 1 ص 370.

ص: 27

و تتشارک سائر العناصر فی بناء الحیاه فی أخوه مسؤوله، متعاونه، و متکافله،

و منسجمه على قاعده: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ (1)، تقوم على أساسين اثنين هما: الحق و المواساه، كما اتضح من مؤاخاته (صلى اللّه عليه و آله) بين المسلمين. و قد ذكرنا ذلک فى جزء سابق من هذا الكتاب.

مرتكزات حلف عبد المطلب و خزاعه:

و إذا تأملنا فى مضمون حلف عبد المطلب مع خزاعه، فإننا نجده قائما على نفس المرتكزات التى قامت عليها المؤاخاه فيما بين المسلمين حسبما قدمناه فى هذا الكتاب ..

فإن كانت المؤاخاه قد قامت على دعامتين هما: الحق و المواساه. فإن حلف عبد المطلب و خزاعه أيضا قد قام على نفس هاتين الدعامتين، لأنه جاء لحمايه الحق، و تأكيد الالتزام به، و الانتصار له، و التناصر فيه، و التعاون على حفظه، و الالتزام بالمواساه فيه.

كما أنه صرح أو أشار إلى حيثيات تؤكد على هذا المسار، و تبين معالمه، و توضح آفاقه.

فهو- كما صرحت الروايات-:

1- حلف جامع غير مفرق.

و هو يقوم على:

2- التكافؤ فيما بين أفراده و شرائحه، فالكل متكافئون ..

3- و التناصر .. إلى حد يكون فيه النصر واحدا، لا تمييز فيه بين كبير و صغير.

1- الآيه 10 من سوره الحجرات.

4- و التعاون حتى إن اليد واحده.

5- و المواساه.

6- و أساس هذا الحلف عهود اللّه و عقوده ..

7- و هو يخضع لرعايه اللّه تبارک و تعالى، فهو سبحانه الكفيل و الضامن و غير ذلک من لمحات و إشارات يجدها فيه المتأمل الخبير، و الناقد البصير.

قريش تنقض العهد:

و قد نقضت قريش عهدها الذى عقدته مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى الحديبيه.

و قالوا: إن سبب ذلک هو: أنه لما دخل شعبان على رأس اثنين و عشرين شهرا من صلح الحديبيه، كلمت بنو نفاثه و بنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال و السلاح على عدوهم من خزاعه، و ذكروهم القتلى الذين أصابت خزاعه منهم.

و أرادوا أن يصيبوا منهم ثأر أولئک النفر الذين أصابوا منهم فى بنى الأسود بن رزن، و ناشدوهم بأرحامهم، و أخبروهم بدخولهم فى عقدهم، و عدم الإسلام، و دخول خزاعه فى عقد محمد و عهده.

فوجدوا القوم إلى ذلک سراعا، إلا أن أبا سفيان بن حرب لم يشاور فى ذلک و لم يعلم (1).

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 783 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 205 و تاريخ مدينه دمشق ج 23 ص 453 و البحار ج 21 ص 108 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 260 و 271.

و يقال: إنهم ذاكروه فأبى ذلک (1).

فأعانوا بالسلاح و الكراع و الرجال، و دسوا ذلک سرّا لئلا تحذر خزاعه، و خزاعه آمنون غارون لحال الموادعه، و لما حجز الإسلام بينهم.

ثم اتعدت قريش و بنو بكر و بنو نفاثه أن يأتوا إلى (الوتير)، و هو موضع أسفل مكه، و هو منازل خزاعه، فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش، من كبارهم، متنكرون منتقبون؛ منهم: سهيل بن عمرو، و صفوان بن أميه، و عكرمه بن أبى جهل، و حويطب بن عبد العزى، و شيبه بن عثمان- و أسلموا بعد ذلک- و مكرز بن حفص، و أجلبوا معهم أرقاءهم.

و رأس بنى بكر نوفل بن معاويه الديلى- و أسلم بعد ذلک-.

فبيتوا خزاعه ليلا، و هم غارون آمنون- و عامتهم صبيان، و نساء، و ضعفاء الرجال- فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا إلى أنصاب الحرم.

فقال أصحاب نوفل بن معاويه له: يا نوفل، إلهک، إلهک. قد دخلت الحرم!

فقال كلمه عظيمه: لا إله لى اليوم، يا بنى بكر، لعمرى إنكم لتسرقون الحاج فى الحرم، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم، و لا يتأخر أحد منكم بعد يومه عن ثاره؟!

فلما انتهت خزاعه إلى الحرم دخلت دار بديل بن ورقاء، و دار مولى لهم يقال له: رافع الخزاعيين، و انتهوا بهم فى عمايه الصبح.

و دخلت رؤساء قريش منازلهم، و هو يظنون أنهم لا يعرفون، و أنه لا

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 201 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 257.

يبلغ هذا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و أصبحت خزاعه مقتّلين على باب بديل و رافع.

و قال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث: قد رأيت الذى صنعنا بک و بأصحابک، و من قتلت من القوم، و أنت قد حصدتهم تريد قتل من بقى، و هذا ما لا نطاوعک عليه، فاتركهم.

فتركهم، فخرجوا.

و ندمت قريش، و ندموا على ما صنعوا، و عرفوا أن هذا الذى صنعوه نقض للذمه و العهد الذى بينهم و بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و جاء الحارث بن هشام، و عبد اللّه بن أبى ربيعه إلى صفوان بن أميه، و إلى سهيل بن عمرو، و عكرمه بن أبى جهل، فلاموهم بما صنعوا من عونهم بنى بكر على خزاعه، و قالوا: إن بينكم و بين محمد مده، و هذا نقض لها (1).

و قيل: إنهم قتلوا منهم عشرين رجلا (2).

و قيل: إن سبب نقض العهد ليس هو سعى بنى نفاثه لأخذ ثأرهم القديم من خزاعه، بل السبب هو: أن شخصا من بنى بكر، و هو أنس بن زنيم الديلى، هجا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله)، و صار يتغنى به، فسمعه غلام من

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 201 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 71 و البحار ج 21 ص 100 و 101 و مجمع البيان ج 10 ص 554 و 555 و المغازى للواقدى ج 2 ص 782 و 783 و تاريخ الخميس ج 2 ص 77 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 257 و زاد المسير ج 3 ص 272 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 134.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 77 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 258 و زاد المسير ج 3 ص 272 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 134.

خزاعه، فضربه فشجه، فثار الشر بين الحيين، مما كان بينهم من العداوه.

فطلب بنو نفاثه من أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال و السلاح على خزاعه، فأمدوهم بذلک، فبيتوا خزاعه و هم غارون آمنون .. و قاتل معهم جمع من قريش الخ .. (1).

و اعتزلت بنو مدلج، فلم ينقضوا العهد (2).

كما أن أبا سفيان لم يشاور فى ذلک و لم يعلم (3).

و قال الطبرسى: (لما مضت سنتان من القضيه (يعنى عمره القضاء) قعد رجل من كنانه يروى هجاء رسول اللّه، فقال له رجل من خزاعه: لا تذكر هذا.

قال: و ما أنت و ذاک؟!

فقال: لإن أعدت لأكسرن فاک!

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 71 عن الإمتاع، و المغازى للواقدى ج 2 ص 782 و 783 و راجع: فتوح البلدان ج 1 ص 41 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 257 و الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 87.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 71 عن الإمتاع، و المغازى للواقدى ج 2 ص 782 و 783 و راجع: تفسير الميزان ج 5 ص 37 و تفسير العياشى ج 1 ص 263 و الكافى ج 8 ص 327 و شرح أصول الكافى ج 12 ص 455 و البحار ج 19 ص 172 و التفسير الصافى ج 1 ص 480 و التفسير الأصفى ج 1 ص 228 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 529 و تفسير كنز الدقائق ج 2 ص 564.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 783 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 205 و تاريخ مدينه دمشق (ط دار الفكر) ج 23 ص 453 و (ط دار الكتب العلميه) ج 25 ص 284 و كنز العمال ج 10 ص 511 و البحار ج 21 ص 108 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 260 و 271 و جامع الأحاديث و المراسيل ج 20 ص 171.

فأعادها، فرفع الخزاعی یده، فضرب بها فاه.

فاستنصر الکنانی قومه، و الخزاعی قومه. و کانت کنانه أکثر، فضربوهم حتی أدخلوهم الحرم، و قتلوا منهم. و أعانتهم قریش بالکراع و السلاح.

فرکب عمرو بن سالم إلی رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله)، فخبره الخبر (1).

و ستأتی قصه عمرو بن سالم.

و لکننا قبل ذلک نشیر: إلی بعض الأمور التی ترتبط بما تقدم، فنقول:

سبب نقض العهد واحد:

قد یبدو للوهله الأولی من ملاحظه النصوص المتقدمه أن ثمه اختلافا حول سبب إقدام قریش علی نقض العهد.

و لکن الحقیقه هی: أن مجموع تلک النصوص یشیر إلی أمر واحد مترابط و منسجم، و هو: أن أحد بنی کنانه، و لعله من بنی نفاثه، صار یروی هجاء رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله)، فأنذره الخزاعی، فلم یرتدع، فضربه الخزاعی، فاستنصر الکنانی قومه، فطلبوا النصر من قریش، فنصروهم و جرت الأمور بعد ذلک وفق ما فصّلته الروایه الأولی.

إستغلال الضغائن:

و قد لو حظ: أن بنی نفاثه حین انتصروا لصاحبهم، إنما حرکهم إلی ذلک أحقادهم علی خزاعه، و تربصهم بها، لترات لهم عندها فی حوادث

1- البحار ج 21 ص 124 و 125 عن إعلام الوری ج 1 ص 215.

جرت قبل البعثه النبويه الشريفه حسبما تقدم بيانه ..

و لكنهم حين يطلبون المساعده من قريش تراهم يلجأون إلى تذكيرها بما تعتبره ميزه و فضلا، و هو: أن بنى نفاثه لم يسلموا، و أنهم دخلوا فى عقد قريش ضد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

ثم يحتجون لهم على استحقاق خزاعه للعقوبه: بأنها قد دخلت فى عقد محمد و عهده .. فكان هذا و ذاک من موجبات مسارعه قريش للمشاركه فى توجيه تلک الضربه القاسيه لخزاعه ..

فحقد قريش على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و على الإسلام و أهله قد دعاها إلى المشاركه فى جريمه قتل الصبيان، و النساء، و الضعفاء ..

و نقض العهد و الغدر بالآمنين، و اجتياحهم، و أخذهم على حين غره.

و اللافت هنا: أن الذين يستجيبون لهذه المحركات، لا لنداء الضمير و الوجدان و العقل و الشرف و الشهامه و الرجوله هم- على حد تعبير الروايه- (رجال من قريش، من كبارهم)!! ..

مع أن هؤلاء هم الذين يفترض فيهم أن يكونوا أبعد الناس عن التصرفات الرعناء، و عن الانقياد للنزوات الطائشه. و يتوقع منهم أن يزنوا الأمور بموازين فيها شى ء من بعد النظر و الاتزان، و حساب العواقب.

و لكن الأمور قد جرت فى غير هذا الاتجاه، كما رأينا ..

الغدر بالضعفاء، و بالصبيان و النساء:

و إن الغدر قبيح من كل أحد، لأنه ينافى الرجوله، و ميثاق الشرف، و الشهامه، و أعظم منه قبحا: أن يغدر القوى بالضعيف، فكيف إذا كان هذا

الضعيف هو الصبيان، و النساء، و الضعفاء من الرجال؟!

و كيف إذا كان الغادر هم كبار القوم، و المدّعون للشرف، بل لمقام الأشرفيه و الرئاسه فيهم؟!

و كيف إذا كان هؤلاء الكبار المشاركون هم أنفسهم الذين أعطوا العهود و المواثيق و تعهدوا بالوفاء؟!.

بل إن بعضهم كان هو المفاوض فى تلك العهود، و المتولى لإبرامها، و المشرف على نصوصها، و الموقع عليها و أعنى به سهيل بن عمرو!!

إنه غدر بالآمنين الذين يستندون فى أمنهم إلى عهد و عقد و ميثاق، معقود مع نفس هؤلاء الغادرين بأشخاصهم و أعيانهم، فليس هو أمن الغفله و التقصير فى الاحتياط، و لم يكن الغادر ممن يحسن الاحتياط معه و منه ..

القسوه .. لماذا؟!:

و لا نجد تفسيرا معقولا لهذه القسوه من قريش، و من كبارها على النساء و الصبيان، و ضعفاء الرجال، فهم يبيحون لأنفسهم قتلهم، لا على سبيل الصدفه و الاتفاق، بل عن سابق تخطيط و تدبير، و سعى للإستفراد بهم و استئصالهم قبل أن يتنبه الآخرون لما يحدث ..

بل نحن نستغرب: أن يقدم حتى بنو نفاثه على أمر كهذا. و هم الذين يدّعون أن قتل النساء كان عيبا فى الجاهليه .. فكيف بالضعفاء، و الصبيان؟!.

فضلا عن أن يمعنوا فى ملاحقتهم حتى ألجأوهم إلى الحرم!! ثم لاحقوهم حتى فى الحرم نفسه، إلى دار بديل بن ورقاء، و رافع الخزاعى!!

حرمه الحرم لدى قريش:

و إذا كانت قريش ترى: أن عزها و مجدها و فخرها هو فى رعايتها لحرمه الكعبه و الحرم، فما بال الكبار فيها قد رضوا بهتک حرمه الحرم، و شاركوا هم فى ذلک، و لم نسمع من أحد منهم كلمه ملامه لأحد من أولئک المعتدين على الأرواح، و على قدس المقدسات؟! حتى بعد أن حصل ما حصل ..

و كيف يمكننا تفسير موقف قريش من قضيه القتال فى يوم يشک فى أن يكون هو أول الشهر الحرام و هو شهر رجب، أو آخر الشهر الذى قبله، حيث شنعت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أثارت عاصفه من الشكوى و التظلم من أجل ذلک، رغم أن هذا القتال قد كان مع الظالمين و المعتدين، و الذين يصدون عن سبيل اللّه. قال تعالى: يَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ. قُلْ: قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَهُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ لا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ فَأُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (1).

ثم إنها و على أعلى المستويات فيها يعتدى كبارها على قوم بينها و بينهم عهد و ميثاق. فيغدرون بهم، و يختارون قتل خصوص النساء و الصبيان و الضعفاء منهم، حتى فى حرم اللّه تبارک و تعالى ..

1- الآيه 217 من سوره البقره.

بل إن هذا التعدى لا ينحصر بهتک حرمه الحرم، بل يتجاوزه إلى التصريح بالإلحاد، و إنكار أصل الألوهيه، و ذلک حين يقول أصحاب نوفل: إلهک إلهک !! قد دخلت الحرم.

فيقول: لا إله لى اليوم.

هل ندموا حقا؟!

و بعد .. فإننا لم نستطع فهم ما يرمى إليه قولهم: ندمت قريش و ندموا على ما صنعوا، و عرفوا أن هذا الذى صنعوه نقض للذمه و العهد الذى بينهم و بين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و ذلک لأن قرائن الأحوال تشهد بعدم صحه هذا الكلام:

أولا: لأن رجال قريش قد تنكروا و تنقبوا حين جاؤوا لمساعده بنى بكر، مع أن بنى بكر كانوا حلفاءهم، و قد دخلوا فى عقدهم، فعليهم نصرهم علنا، و لا ضروره للتنكر و التنقب إن لم يكونوا يريدون تعميه الأمور، لكى لا يظهر للناس أنهم قد نقضوا عهدهم مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) ..

ثانيا: إن بنى نفاثه حين كلموا قريشا فى نصرهم على خزاعه قد ذكروا لها أنهم داخلون فى حلفهم ضدّ محمد (صلى اللّه عليه و آله)، و خزاعه داخله مع النبى فى الحلف و العقد ضدهم.

فهم إذا ملتفتون إلى هذا العقد و العهد، مدركون أن المهاجم متحالف مع قريش، و أن المقصود بالهجوم متحالف مع المسلمين فى عهد الحديبيه.

فما معنى ادّعاء الروايات و رواتها أن قريشا بعد أن ارتكبت جريمتها

فی حق خزاعه (عرفوا أن هذا الذی صنعوه نقض للذمه و العهد الذی بینهم و بین رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ..؟.

ثالثا: إن هناک روایات تقول: إنهم کلموا أبا سفیان، فأبی ذلک (1).

فلماذا لا یرضی أبو سفیان بنصر حلفائه؟! و هو الحاقد علی خزاعه بسبب میلها إلی رسول اللّه و تحالفها معه (صلی اللّه علیه و آله).

ألا یدل امتناعه هذا علی أنه یری فی ذلک ضررا بالغا، و دخولا فی أمر خطیر، من حیث أنه نقض للعقد و العهد القائم بینهم و بین المسلمین؟!

رابعا: ما معنی قول هؤلاء الرواه أنفسهم: إنه بعد انتهاء الهجوم و حصول المجزره (دخلت رؤساء قریش منازلهم، و هم یظنون: أنهم لا یعرفون، و أنه لا یبلغ هذا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ..)؟!

أ لیس ظنهم هذا یؤدی بهم إلی إدراک أن بلوغ هذا الأمر لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) سوف یؤدی إلی نشوء مشکله خطیره لهم معه؟!

و لا مبرر لاعتبار ذلک مشکله إلا لأنهم یدرکون أن ما فعلوه له مساس مباشر بالعقود التی تحکم فیما بینهم و بینه (صلی اللّه علیه و آله) ..

بنو نفاثه یسرقون الحاج:

و اللافت هنا: هذا المنطق الخسیس الذی اعتمده نوفل بن معاویه لتحریض بنی بکر علی الإمعان فی قتل النساء و الصبیان و الضعفاء، و توقعه ذلک منهم حتی فی داخل الحرم .. فإنه قال لهم: (إنکم لتسرقون الحاج فی

1- شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 257 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 201.

الحرم، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم)؟!

فإذا كان هؤلاء يسرقون الحجاج و هم فى حرم اللّه تبارک و تعالى، فهل يتوقع منهم احترام المقدسات، و الوقوف عند حدود اللّه سبحانه، و الالتزام بأمره و نهيه؟!

و إذا كان هذا هو منطق رئيس بنى بكر، و تلک هى أوامره لمن هم تحت إمرته، و هذه هى توقعاته منهم!!

و إذا كان يدفعهم بهذا المنطق إلى متابعه جرائمهم لاستئصال الأبرياء، من النساء و الصبيان و الضعفاء!!

و إذا كان يصور لهم: أن هؤلاء الصبيان الذين قد لا يعرفون شيئا مما يدور حولهم، بل إنهم غير قادرين على إدراک معنى الشر، بالإضافه إلى النساء، و الضعفاء- يصورهم على أنهم هم أعداؤهم الذين يريد منهم أن يعملوا فيهم سيوفهم إلى حد الاستئصال.

و إذا كان نفس هذا الرئيس ينكر وجود الإله لمجرد تبرير اندفاعه للتنفيس عن حقده على هذا النوع من الناس.

و إذا كان الرئيس هو الذى يفترض فيه أن يكون الأكثر وعيا و إحساسا بالمسؤوليه ..

فما الذى نتوقعه من همج رعاع، و جهله أغبياء، و أشرار أشقياء، يمتهنون سرقه الحاج فى حرم اللّه تعالى، و عند بيته المحرم؟!

و هذا يدلنا على مدى معاناه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، الذى جاءهم من عند اللّه بأصفى و أفضل التعاليم، التى هى محض الخير، و كل العطاء، و حقيقه البر و الرحمه، و النور الأنور، و الطهر الأصفى، و النبل

و الوفاء، و التضحيه و الفداء، و سائر المعانى الإنسانيه فى أرقى الدرجات، و أفضل الحالات.

بديل بن ورقاء و ما جرى:

و قد قرأنا فى النصوص المتقدمه: أن خزاعه أصبحت مقتّله على باب بديل بن ورقاء و رافع الخزاعيين ..

و سنقرأ فيما يلى: أن بديلا قد عاش هذه المحنه، و تجرع غصتها، و لمس بشاعتها فى بيته و على باب داره، أكثر من أى إنسان آخر ..

فما بالنا نرى هذا الرجل بالذات رفيقا لأبى سفيان حين خرج من مكه يترقب الأخبار، ليعرف حقيقه تحركات رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيما يرتبط بهذا الحدث؟ فلماذا لا يكون لبديل موقف سلبى و غاضب من قريش و رموزها؟

و يمكن أن نجيب عن هذا السؤال بما يلى:

أولا: إن أبا سفيان- كما تدّعيه بعض الروايات- أبى أن يستجيب لطلب بنى بكر فيما يرتبط فى توجيه الضربه لخزاعه (1).

أو أنه لم يشاور فى هذا الأمر، و لم يعلم، و لكنه حين علم لم يرض، و لم يغضب كما تقدم و سيأتى (2).

1- تقدمت مصادر ذلک فى النص المتقدم.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 783 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 205 و تاريخ مدينه دمشق (ط دار الفكر) ج 23 ص 453 و (ط دار الكتب العلميه) ج 25 ص 284 و كنز العمال ج 10 ص 511 و البحار ج 21 ص 108 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 260 و 271.

أو أنه كان فى الشام و لم يكن فى مكه حين الإعتداء على الخزاعيين (1).

و هذا معناه: أن لا يجد بديل بن ورقاء أى مانع من الإبقاء على علاقته به، و يكون همزه وصل، لو حصل فى المستقبل ما يحتاج إلى تفاوض، أو تدخل لمنع حدوث الأسوأ ..

ثانيا: إنه إذا كانت خزاعه تعيش فى دائره الخطر، و لم يكن يمكنها الحصول على الأمن المطلوب إلا عن طريق المداراه و المصانعه، بانتظار الوقت الذى تتمكن فيه من تجاوز المحنه، أو كان هذا الأمر يختص ببديل بن ورقاء فقط، فإن هذه المداراه تصبح مقبوله إذا بقيت فى حدود المعقول، و ليس فى ذلک أيه غضاضه أو وهن على بديل و لا على خزاعه، و ذلک ظاهر لا يخفى.

بين الثأر .. و القصاص:

و قد تقدم: أن نوفل بن معاويه صار يقرّع بنى بكر و يقول لهم:

(تسرقون الحاج فى الحرم، و لا تدركون ثاركم)!!

و معلوم: أن مفهوم الثأر يعتمد على تبلور حاله من الحنق الشخصى فى اندفاع ساحق و مدمر، مع إغفال أى حساب آخر سوى إرضاء نزعه الحقد الأسود بهذا البطش الأرعن و غير المسؤول، الذى لا يبالى بالضحيه التى تكون فى موقع البراءه و الطهر فى أكثر الأحيان ..

و خير شاهد على هذه الرعونه هو: انتقام بنى بكر حتى من الصبيان و النساء، و الضعفاء، و ذلک ثأرا لأناس قتلوا قبل عشرات السنين. أى قبل

1- راجع: البحار ج 21 ص 126 عن مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 177 و عن إعلام الورى ج 1 ص 217 و الأنوار العلويه للنقدى ص 199.

ولاده کثیر من هؤلاء الضحایا بسنوات کثیره بلا ریب ..

فالثأر یهدف إلی التدمیر و الإباده و الاستئصال حتی للبری ء ..

و قد قال سهیل بن عمرو لنوفل بن الحرث بن معاویه: (و أنت قد حصدتهم، ترید قتل من بقی)؟

و إذا کان الحاکم هو منطق الأحقاد و الضغائن، لا الأخلاق و القیم و المبادئ و الشرع، أو العقل، فلا بد من أن ینتج هذا السلوک حرصا علی مقابله الإساءه بالإساءه، و التدمیر و الاستئصال حتی للأبریاء بمثله، و یحول الوحده إلی تشتت و تفرق، و الجماعه و العصبه إلی تمزق، و یتحول اهتمام المجتمع من العمل علی لم الشعث، و التعاون علی البر و التقوی، لیصبح تعاونا علی الإثم و العدوان و علی معصیه اللّه و رسوله.

و هذا هو الفرق بین الثأر و القصاص.

فإن القصاص إجراء تربوی إصلاحی، یهدف إلی إرساء قواعد القسط و العدل، و إلی جعل الحیاه أکثر صفاء و نقاء، بل أکثر حیویه و قوه و اندفاعا، علی قاعده: وَ لَکُمْ فِی الْقِصاصِ حَیاهٌ یا أُولِی الْأَلْبابِ (1).

و فی القصاص حفاظ علی النفوس، و محاصره للجریمه، و خنق لها فی مهدها، و قطع دابرها، و إعفاء آثارها ..

و القصاص معناه: حصر الجریمه فی مصدرها و هو المجرم نفسه، ثم استئصاله و استئصالها به، و تطهیر المحیط منه و منها.

و القصاص یرسی قواعد الأمن المجتمعی، و یبعد الناس عن العیش فی

1- الآیه 179 من سوره البقره.

أجواء التآمر، و الكيد و التربص شرا بالآخرين و ينمى حاله الثقه و التعاون فيما بين الناس.

و القصاص يهيئ الأجواء لإشاعه مفهوم الكرامه للإنسان، و يؤكد قيمته، و يحدّ من الطموح للتعدى عليه و هتک حرمته ..

و بالقصاص يعطى العدل قيمته و معناه، و ينصب أمام أعين الناس مثلا و قيما و معانى إنسانيه لتكون موضع طموحهم، و غايه و منتهى آمالهم.

ص: 44

ص: 45

الفصل الثانی: إلی المدینه: خبر و شکوی

اشاره

ص: 46

النبی صلّی اللّه علیه و آله یخبر بالغیب عن نقض العهد:

روی: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال لعائشه صبیحه کانت وقعه بنی نفاثه و خزاعه بالوتیر: (یا عائشه، لقد حدث فی خزاعه أمر).

(أو قال: لقد حرت فی أمر خزاعه) (1).

فقالت عائشه: یا رسول اللّه، أتری قریشا تجترئ علی نقض العهد الذی بینک و بینهم، و قد أفناهم السیف؟

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (ینقضون العهد لأمر یریده اللّه تعالی).

فقالت: یا رسول اللّه، خیر؟

قال: (خیر) (2).

و عن میمونه بنت الحارث: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بات عندها لیله، فقام لیتوضأ إلی الصلاه، فسمعته یقول فی متوضئه: (لبیک، لبیک، لبیک- ثلاثا- نصرت، نصرت، نصرت- ثلاثا-).

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 788.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 201 و 202 و المغازی للواقدی ج 2 ص 288 و السیره الحلبیه ج 3 ص 71 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 261.

قالت: فلما خرج قلت: يا رسول اللّه، سمعتک تقول فی متوضئک:

(لبیک، لبیک- ثلاثا- نصرت، نصرت- ثلاثا) کأنک تکلم إنسانا، فهل کان معک أحد؟

قال: (هذا راجز بنی کعب یستصرخنی، و یزعم أن قریشا أعانت علیهم بکر بن وائل).

قالت میمونه: فأقمنا ثلاثا ثم صلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الصبح بالناس، فسمعت الراجز ینشد:

یا رب إنی ناشد محمداحلف أبینا و أبیه الأتلدا فذکرت الرجز الآتی (1).

لماذا عائشه دون سواها؟!:

إننا لا نرید أن نثیر أی سؤال ذا طابع تشاؤمی حول سبب مبادره النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی إخبار عائشه دون سواها بهذا الأمر الغیبی الخطیر، الذی سوف یظهر صدقه، و تتجلی دلائله و براهینه فی وقت قصیر ..

و قد کان بإمکانه (صلی اللّه علیه و آله) أن یذکر هذا الغیب فی ملأ من الناس، لیصبح أکثر شیوعا، و لیسهم- من ثم- فی تثبیت إیمان الناس،

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 202 عن الطبرانی فی المعجم الکبیر، و فی المعجم الصغیر، و مجمع الزوائد ج 6 ص 166 و السیره الحلبیه ج 3 ص 71 و 72 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 77 و راجع: فتح الباری (ط دار المعرفه) ج 7 ص 400 و المعجم الصغیر ج 2 ص 73 و المعجم الکبیر ج 23 ص 434 و دلائل النبوه للأصبهانی ص 73 و الإصابه ج 4 ص 522.

و الربط على قلوبهم ..

و إنما نريد هنا أن نشير فقط: إلى أن تخصيص عائشه بهذا الخبر الغيبى الخطير، من شأنه أن يجعلها أكثر حرصا على روايه هذا الحدث، و إشاعته، ما دام أنها ترى فيه تأكيدا على دورها المميز، و حضورها الفاعل.

ثم هو يوحى بأنها كانت بحاجه لمزيد من الدلائل و الشواهد على رعايه الغيب لمسيره الرساله و الرسول، ليحيا من حيى عن بينه، و يهلک من هلک عن بينه ..

و غنى عن القول: أن هذا التبرير أو ذاک يبقى فى دائره التظنى أو الاحتمال، و لا يجد ما يلغيه أو ما يؤكده بصوره قاطعه و يقينيه، فما علينا إذا أوكلنا أمر ذلک إلى المزيد من التأمل و التدبر أى جناح ..

حرت فى أمر خزاعه:

و أما بالنسبه لما زعمه الواقدى: من أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (لقد حرت فى أمر خزاعه) (1)، فهو مرفوض جمله و تفصيلا لأسباب عديده، نذكر منها:

أولا: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يتحير فى هذا الأمر و لا فى سواه، فإن التكليف الإلهى واضح لديه، و هو واضح هنا أيضا لكل أحد، إذ لا بد له من التعاطى مع ناكثى العهود بما يوجبه الشرع و الدين .. و هو (صلى اللّه عليه و آله) مسدد بالوحى، عارف بأمر اللّه، و هو عقل الكل، و إمام الكل، و مدبر الكل، فلم يكن ليخفى عليه وجه الصلاح، و لا حكم

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 788.

اللّه فى هذا الأمر.

ثانيا: إذا كان لا بد من الحيره، فلا بد من أن تكون حيره فى أمر قريش، و بكر بن وائل، لا فى أمر خزاعه. فإن خزاعه قد نكبت و ظلمت، فلا بد من التفكير فى طريقه كف الظالم عن ظلمه، و ردع الباغى عن بغيه بعد أن لم ينتفعوا بالآيات و النذر، و لم يستجيبوا لنداء العقل، و لم يلتزموا بما يوجبه عليهم معنى الرجوله و الشهامه، و غير ذلک من معانى كانوا يزعمون أن لها دورا و موقعا فى حياتهم، و فى قراراتهم، و حركتهم، و إقدامهم، و إحجامهم.

سلب الألطاف الإلهيه:

إن الشرک و الكفر من أعظم الذنوب التى لا يبقى معها أىّ أهليه للطف الإلهى، و لكن عدم الأهليه هذا لا يفرض حجب الألطاف بصوره قاطعه و نهائيه .. فقد تكون هناک عوامل أخرى توجب التفضل الإلهى على فاقد الأهليه، بسبب ابتلائه بالشرک .. فمن كان سخيا، أو حليما، أو بارا بوالديه، أو بغيرهما من ذوى رحمه، ربما يتفضل اللّه تعالى عليه ببعض العنايات و التوفيقات، حفظا لتلک الخصال، أو مكافأه على بعض الأفعال، أو لطفا بغيره من أهل الحاجه و الاستحقاق ..

و قد ورد: أن بعض خصال الخير التى تكون فى غير المؤمنين إنما جعلها اللّه فيهم لأجل حفظ أهل الإيمان.

فقد روى عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) أنه قال: إن اللّه تبارک و تعالى أعار أعداءه أخلاقا من أخلاق أوليائه، ليعيش أولياؤه مع أعدائه فى دولاتهم.

و فی روایه أخری: و لو لا ذلک لما ترکوا ولیا للّه إلا قتلوه (1).

و قد أتی (صلی اللّه علیه و آله) بأساری، فأمر بقتلهم باستثناء رجل منهم، فقال الرجل: بأبی أنت و أمی یا محمد، کیف أطلقت عنی من بینهم؟!

فقال: أخبرنی جبرئیل عن اللّه عز و جل أن فیک خمس خصال یحبها اللّه و رسوله: الغیره الشدیده علی حرمک، و السخاء، و حسن الخلق، و صدق اللسان، و الشجاعه.

فلما سمعها الرجل أسلم الخ .. (2).

و هناک قضیه أخری تدخل فی هذا السیاق، و قد تکون نفس هذه القضیه، و قد تکون غیرها فراجعها (3).

و فی المقابل، ربما یکون لبعض الموبقات، التی یرتکبها المشرک أو

1- راجع: البحار ج 68 ص 378 عن الکافی ج 2 ص 101 و شرح أصول الکافی ج 2 ص 292 و مجمع البحرین ج 3 ص 277 و تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 391.
2- البحار ج 66 ص 383 و ج 68 ص 384 و 385 عن الأمالی للصدوق ص 163 و (ط مؤسسه البعثه) ص 345 و الخصال للصدوق ص 282 و روضه الواعظین للفتال النیسابوری ص 377 و 384 و الوسائل (ط مؤسسه آل البیت) ج 20 ص 155 و (ط دار الإسلامیه) ج 14 ص 109 و مشکاه الأنوار لأبی الفضل علی الطبرسی ص 417.
3- البحار ج 68 ص 390 و ج 41 ص 73 و 75 و الأمالی للصدوق ص 93 و 94 و (ط مؤسسه البعثه) 167 و 168 و مستدرک الوسائل ج 8 ص 442 و مناقب آل أبی طالب ج 2 ص 76 و الخصال ج 1 ص 96 و مشکاه الأنوار لأبی الفضل علی الطبرسی ص 409 و الجواهر السنیه للحر العاملی ص 135 و مستدرک سفینه البحار ج 8 ص 419.

الكافر، أثر فى تأكيد حجب جميع أشكال و درجات التوفيق، و إيكال هذا المجرم إلى نفسه بصوره تامه و نهائيه، لينتهى به الأمر إلى أن يؤثر ذلک حتى على مستوى إدراكه، أو على سلامه هذا الإدراک، أو يوقع هذا المجرم فى بحر من الغفله، و الجهل، و الجهاله التى قد تصل إلى حد الغوايه التامه عن طريق الرشد، فى أبسط مراتبه، و أدنى حالاته ..

و هذا هو ما حصل لقريش بالفعل، كما ربما يفيده قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لعائشه: (ينقضون العهد لأمر يريده اللّه) حيث كان لا بد من حسم أمر الطغيان القرشى، لينتعش الشعور بالعزه لأهل الإيمان، و يتأكد سقوط عنفوان الشرک، و يعيش رموزه حاله الذل و الخزى الأمر الذى من شأنه أن يفسح المجال أمام دعوه الحق و الإيمان لتأخذ طريقها إلى قلوب المستضعفين، الذين كانوا بأمس الحاجه إليها.

و كان الطريق إلى ذلک هو ترک قريش لتتمادى فى ممارسه دورها وفق ما يحلو لها، و ترتكب حماقاتها، و تظهر على حقيقتها، و يتجلى خزيها لكل أحد، لتنال جزاء أعمالها بعيدا عن أى لبس أو شبهه، أو تأويل خادع.

النبى صلّى اللّه عليه و آله .. و نصر بنى كعب:

و قالوا: إن عمرو بن سالم الخزاعى خرج فى أربعين راكبا من خزاعه يستنصرون رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و يخبرونه بالذى أصابهم، و ما ظاهرت عليهم قريش، و معاونتها لهم بالرجال، و السلاح، و الكراع، و حضور صفوان بن أميه، و عكرمه، و من حضر من قريش. و أخبروه بالخبر، و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) جالس فى المسجد بين أظهر

الناس، و رأس خزاعه عمرو بن سالم، فلما فرغوا من قصتهم، قام عمرو بن سالم، فقال:

يا رب إنى ناشد محمداحلف أبينا و أبيه الأتلدا

قد كنتم ولدا و كنا والداثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

إن قريشا أخلفوک الموعداو نقضوا ميثاقک المؤكدا

و زعموا أن لست أدعو أحداو هم أذل و أقل عددا

هم بيّتونا بالوتير هجداو قتلونا ركعا و سجدا

و جعلوا لى فى كداء رصدافانصر رسول اللّه نصرا أيدا

و ادع عباد اللّه يأتوا مددافيهم رسول اللّه قد تجردا

أن سيم خسفا وجهه تربدافى فيلق كالبحر يجرى مزبدا

قرم لقرم من قروم أصيدا

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (حسبک يا عمرو، أى: و دمعت عيناه).

أو قال: (نصرت يا عمرو بن سالم).

فما برح حتى مرت عنانه (أى سحابه) من السماء فرعدت، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (إن هذه السحابه لتستهل بنصر بنى كعب) (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 202 و 203 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 234 و دلائل النبوه ج 5 ص 7 و عن: الطبرانى فى الكبير و الصغير، عن ميمونه بنت الحارث، و البزار بسند جيد عن أبى هريره، و ابن أبى شيبه فى المصنف عن عكرمه، و البيهقى عن ابن إسحاق، و محمد بن عمر عن شيوخه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 71 و راجع السيره النبويه لابن هشام (ط

مکتبه محمد علی صبیح) ج 4 ص 855 و عیون الأثر ج 2 ص 182 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 527 و کنز العمال ج 10 ص 502 و تاریخ مدینه دمشق ج 43 ص 520 و أسد الغابه ج 4 ص 105 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 325 و البدایه و النهایه (ط دار إحیاء التراث العربی) ج 4 ص 318 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 77 و البحار ج 21 ص 125 عن إعلام الوری، و راجع: الطبقات الکبری لابن سعد ج 2 ص 134.

و فی المنتقی: أنه (صلی اللّه علیه و آله) لما کان بالروحاء نظر إلی سحاب منصب، فقال: إن هذه السحابه لتستهل (لینتصب) الخ .. (1).

و روی بسند جید عن عائشه قالت: لقد رأیت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) غضب مما کان من شأن بنی کعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان.

و قال: (لا نصرنی اللّه- تعالی- إن لم أنصر بنی کعب) (2).

1- راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 77 و مجمع الزوائد ج 6 ص 164 و المعجم الصغیر ج 2 ص 74 و المعجم الکبیر ج 23 ص 434 و دلائل النبوه للأصبهانی ص 74.
2- راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 71 و المغازی للواقدی ج 2 ص 791 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 203 و فی هامشه عن: مسند أبی یعلی ج 7 ص 343 (24/ 4380)، و ذکره الهیثمی فی المجمع ج 6 ص 164 و عزاه لأبی یعلی عن حزام بن هشام بن حبیش عن أبیه عنهما. و قد وثقهما ابن حبان، و بقیه رجاله رجال الصحیح، و ذکره ابن حجر فی المطالب العالیه (4356) و راجع: مجمع الزوائد (ط دار الکتب العلمیه) ص 161 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 262.

و عن ابن عباس: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، لما سمع ما أصاب خزاعه، قام- و هو يجر رداءه- و هو يقول: (لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر منه نفسى) (1).

و فى نص آخر: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (و الذى نفسى بيده، لأمنعنهم مما أمنع منه نفسى، و أهلى، و بيتى) (2).

و يتابع المؤرخون، فيقولون: فلما فرغ الركب قالوا: يا رسول اللّه، إن أنس بن زنيم الديلى قد هجاك، فهدر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) دمه (3).

فبلغ أنس بن زنيم ذلک، فقدم على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) معتذرا عما بلغه فقال قصيده منها:

أ أنت الذى تهدى معد بأمره بل اللّه يهديهم و قال لک اشهد

فما حملت من ناقه فوق رحلهاأبر و أوفى ذمه من محمد إلى آخر القصيده ..

و بلغت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قصيدته و اعتذاره. و كلمه

1- الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 134 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 203 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 258 و 261.
2- المصنف للصنعانى ج 5 ص 374 (9739) و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 203 عنه و عن الواقدى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 71 و المغازى للواقدى ج 2 ص 791.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 789 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 204 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 282 و تاريخ مدينه دمشق ج 20 ص 23 و أسد الغابه ج 1 ص 90 و 120 و ج 4 ص 105 و الإصابه ج 1 ص 271 و الأعلام ج 2 ص 24.

نوفل بن معاويه الديلى فيه، و قال له:

أنت أولى الناس بالعفو، و من منا لم يعادک و لم يؤذک؟ و نحن فى جاهليه، لا ندرى ما نأخذ و ما ندع، حتى هدانا اللّه بک من الهلکه، و قد کذب عليه الرکب، و کثّروا عندک.

فقال: دع الرکب، فإنّا لم نجد بتهامه أحدا من ذى رحم و لا بعيدا کان أبر بنا من خزاعه.

فأسکت نوفل بن معاويه.

فلما سکت قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): قد عفوت عنه.

فقال نوفل: فداک أبى و أمى (1).

نوفل يضيع الحق:

و نقول:

إن کلام نوفل لم يکن منصفا و لا دقيقا، فلاحظ ما يلى:

1- إنه يبدو: أن کلام نوفل بن معاويه کان يهدف إلى تصغير ذنب أنس من جهه، و إلى تضييع الحق من جهه أخرى.

فما قاله يؤدى إلى أن يصبح عفو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن مرتکب هذا الجرم العظيم، الذى يرمى إلى إلحاق الوهن بالإسلام، من خلال الجرأه على نبيه، يصبح عفوه عن جرم کهذا غير ذى أهميه، بل هو سيجعل ذلک واجبا إنسانيا إلى حد يکون معه النبى (صلى اللّه عليه و آله)

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 789 و 790 و 791 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 283 و راجع: الإصابه ج 1 ص 272 و تاريخ مدينه دمشق ج 20 ص 23.

نفسه فی موقع الاتهام فی نبله، و فی أخلاقه الحمیده، و فی سجایاه الکریمه، و حقیقه التزامه بالقیم، و رعایته للمثل العلیا، و للمعانی الإنسانیه.

فإذا کان (صلی اللّه علیه و آله) فاقدا لمثل هذه الفضیله- و العیاذ باللّه- فإن تحلّیه بما هو أسمی منها یصیر موضع شک و ریب، و یدعو إلی تفسیر بعض ما یصدر عنه بطریقه أخری، تبعده عن أن یکون ناشئا عن خلق رضیّ، و عن نفس تعیش معنی السماحه، و النبل، و سائر المعانی الإنسانیه الفاضله و الرقیقه.

2- إن کلام نوفل قد تضمن المساواه بین الوفی و الغادر، و بین المؤذی عن جهل، و بین من یخطط للإیذاء، و بین من یعادی الشخص لأمور شخصیه، و فی أمور جزئیه، و بین من یعادی المبادئ و القیم، و یسعی لإطفاء نور اللّه عن علم، و هذا من نوفل: إما ظلم واضح، أو جهل فاضح.

و فی کلتا الحالتین یفترض برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): أن یتصدی لدفع الظلم و رفع الجهل.

3- إن نوفل بن معاویه یدّعی: أن الأخبار التی بلغت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) تشتمل علی أکاذیب، و لکنه لم یقدم أی دلیل او إشاره تثبت صحه هذه الدعوی.

مع العلم: بأن هذا التکذیب لیس له ما یبرره، فإن الشهاده علی النفی من شخص واحد لا یمکن أن تعارض الشهاده علی الإثبات، خصوصا إذا کانت شهاده الإثبات تصدر عن جماعه کبیره من الناس. کانت الشهاده تتناول حقبه زمنیه واسعه لا مجال للاطلاع علی تفاصیلها.

فإن فعل الهجاء قد یغیب عنه شخص، و یحضره أشخاص آخرون،

و هم قد يقلون و قد يكثرون. فكيف أجاز نوفل بن معاويه لنفسه أن يقيم هذه الشهاده العجيبه أمام سيد عقلاء العالم المؤيد بالوحى، و يحظى بالتسديد و اللطف الإلهى؟!

4- إن هذه الشهاده تستبطن درجه من الاتهام لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بأنه يتسرّع باتخاذ قراراته فى حق الأشخاص إلى حد أنه يبادر إلى إهدار دماء الناس استنادا إلى أكاذيب يزجيها إليه ركب زائر ..

5- إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد بيّن: أن نوفلا لم يكن صادقا فيما قدمه من تبريرات، و قد صرح له: بأن الوقائع قد جاءت لتثبت خلاف مزاعمه، فأسكت نوفل و لم يدر ما يقول ..

6- لقد رأينا: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يتراجع عن قراره بإهدار دم أنس بن رزين، و لم يعر لمزاعم نوفل أى اهتمام، و إنما عفا عنه بعد أن أكذب نوفلا فيما زعم، فجاء العفو عن ابن زنيم تكرما من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، لا انصياعا لمنطق نوفل.

غضب النبى صلّى اللّه عليه و آله لبنى كعب:

و قد كان غضب النبى (صلى اللّه عليه و آله) لبنى كعب شديدا، حتى إن عائشه لم تره قد غضب إلى هذا الحد منذ زمان. و لكنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يغضب لنفسه، و لا لعشيرته، و لا لفوات منفعه، و لا كان غضبه حنقا غير مسؤول، يخرجه عن حدود المقبول و المعقول، بل كان غضبا للّه تعالى، و انتصارا للمظلوم من ظالمه، و لأجل المنع من العدوان على القيم الإنسانيه، و المثل العليا ..

إن هذا الغضب واجب شرعی و أخلاقی و عقلی، ناشئ عن الشعور بالمسؤولیه، و فی سیاق مراعاه الحکم الشرعی، و الإصرار علی تطبیق القیم الإنسانیه بأمانه و بدقه ..

و غنی عن القول: أن هذا الغضب لم یخرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عن جاده الحق، و الإنصاف، و الاعتدال.

بل هو من أجل إرغام الخارجین عن هذه الجاده علی الرجوع إلیها ..

نصرت یا عمرو بن سالم:

قد لا حظنا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) یصر علی الجهر بتصمیمه علی نصره المظلومین من خزاعه، و هو یستخدم فی بیاناته لهذا النصر صیغه فعل الماضی، و کأنه یخبر عن حصول هذا الأمر فیما مضی من الزمان، حتی أصبح کأنه تاریخ یحکی، فیقول لعمرو بن سالم: (نصرت یا عمرو بن سالم) و لم یقل: ستنصر، أو نحو ذلک.

و یقول فی إخباره الغیبی بما حصل: (لبیک، لبیک، لبیک. نصرت، نصرت، نصرت). و لم یقل: سوف أنصرک ..

و قد تحقق مضمون هذه التلبیه، و نصر (صلی اللّه علیه و آله) بنی کعب أجمل نصر، و أتمّه و أوفاه ..

لا نصرنی اللّه إن لم أنصر بنی کعب:

و لکن الأمر لم یقف عند هذا الحد، بل تعداه إلی تأکید تصمیمه علی نصر بنی کعب، بأسلوب قد یفاجئ الکثیرین، و هو الطلب إلی اللّه أن یحجب عنه نصره، إن لم یقم بهذا الواجب ..

غير أننا نقول:

إن هذا الطلب يمكن تفسيره: بأن من يتخلى عن واجبه الشرعى لا يستحق اللطف و النصر الإلهى، هذا إن اقتصر الأمر على المعامله وفقا لمبدأ المقابله بالمثل ..

فى حين أن من يتخلف عن واجبه الشرعى يستحق الطرد من ساحه الرضا الإلهى، ليصبح من يفعل ذلک فى معرض غضبه تبارک و تعالى ..

و بما أن هذا الأمر لا يظن صدوره من أى إنسان مؤمن باللّه ملتزم بأوامره و نواهيه، فيرد السؤال عن معنى أن يجعل أعظم و أفضل و أكرم الأنبياء نفسه فى دائره احتمال التخلف عن هذا الواجب، و مخالفه التكليف الإلهى.

و يمكن أن نجيب بما يلى:

أولا: قد يقال: إن ذلک جار على طريقه هضم النفس، حيث إن المفروض هو: أن يتعامل (صلى اللّه عليه و آله) مع نفسه بغض النظر عن اللطف الإلهى، و عن العصمه .. و هذا أمر شائع و معروف ..

فهذه الكلمه تشبه قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ما أنا فى نفسى بفوق أن أخطئ، و لا آمن ذلک من فعلى، إلا أن يكفى اللّه بلطف منه (1).

1- راجع: الكافى ج 8 ص 293 و (ط مطبعه الحيدرى) ص 356 و البحار ج 27 ص 253 و ج 41 ص 154 و ج 74 ص 358 و 359 و نهج البلاغه (بتحقيق عبده) (ط دار المعرفه) ج 2 ص 201 و (ط دار التعارف بيروت) ص 245 خطبه 216. و نهج السعاده ج 2 ص 186 و شرح النهج للمعتزلى ج 11 ص 102 و ميزان الحكمه ج 2 ص 1528 و شرح أصول الكافى ج 12 ص 499.

و إذا نظرنا إلى الأمور من حيثيه أخرى فسنجد: أن اللّه تعالى الذى يعامل الناس العاديين من مقامه الربوبى، فيعتمد منطق الرحمه، و الرفق، و الغفوريه، و التوابيه، و الترغيب، و الترهيب و غير ذلک .. يعامل أنبياءه (عليهم السلام) من موقع الألوهيه، فيضع لهم النقاط على الحروف بكل صراحه و حزم، فيقول لواحد من هؤلاء الأنبياء: لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ (1).

و يقول: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (2) ..

ثانيا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) يريد أن يعطى القاعده للناس؛ ليعرفوا:

أن الحكم الإلهى الذى يجريه على كل البشر، هو أن نفس ترک نصره المظلوم يستتبع فقدان النصر الإلهى فى موضع الحاجه إليه و له هذا الأثر، بغض النظر عن أيه خصوصيه أخرى.

فهو (صلى اللّه عليه و آله) قد استخدم أفضل أسلوب بيانى تطبيقى، يجسد الفكره للآخرين بصوره حيه و واقعيه، و يسهل إدراكها و فهمها على كل الناس.

ثالثا: إن الواجب عليه (صلى اللّه عليه و آله) هو مجرد النصر لبنى كعب، بحيث يرتفع الظلم عنهم، و لا يجب عليه أن ينصرهم مما ينصر منه نفسه و أهل بيته، فإن هذه المرتبه أعلى و أشد من تلک المرتبه، فالذى تعهد

1- الآيه 56 من سوره الزمر.
2- الآيات 44- 46 من سوره الحاقه.

بالقيام به يزيد على الدرجه التى تجب عليه، فاحتاج إلى تأكيد هذا الالتزام بهذا النحو من المبادره و التضحيه بالنصر الإلهى حين الاحتياج إليه.

و على هذا الوجه لا يكون حجب النصر الإلهى عنه دليلا على غضب اللّه، بل يكون لأجل أنه قد رضى بارتهان نصر كان اللّه قد ادّخره له، بإعطاء درجه من نصر لم تكن مطلوبه منه، و لا كانت واجبه عليه ..

السحابه تستهل بنصر بنى كعب:

و عن حديث استهلال السحابه بنصر بنى كعب نقول:

قد يروق للبعض أن يضع قوله (صلى اللّه عليه و آله) هذا فى سياق التفاؤل بالمطر، الذى تحيا به البلاد و العباد ..

غير أن هذا التفسير يبقى غير دقيق، إن لم نقل: إنه يفقد هذه الكلمه مغزاها، و مرماها بدرجه كبيره ..

و لعل الأقرب إلى الاعتبار أن نقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) يريد الإشاره إلى أمور:

أحدها: أن هذا النصر منسجم مع طبيعه الحياه و مقتضياتها، و هو مما يتطلبه كل شى ء حتى هذا المطر العارض الذى لم ينزل بعد ..

ثانيها: الإشاره إلى شده قرب هذا النصر، فإن بشائره المؤذنه بقرب نزوله حاضره كحضور بشائر و أمارات نزول المطر، كظهور السحب، و الرعد و نحوه.

ثالثها: التأكيد على حتميته، كحتميه نزول المطر من تلك السحابه ..

رابعها: أنه نصر داهم و غامر، كالمطر الداهم و الغامر ..

خامسها: إن هذا النصر نازل من السماء، و هو هبه إلهيه، تماما كالمطر النازل، الذى هو عطاء إلهى.

دخل بيت عائشه أم ميمونه؟!:

و يزعم الواقدى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعمرو بن سالم:

ارجعوا، و تفرقوا فى الأوديه. و قام (صلى اللّه عليه و آله) و دخل على عائشه و هو مغضب، فدعا بماء، فدخل يغتسل، قالت عائشه: فأسمعه يقول، و هو يصب الماء: لا نصرت إن لم أنصر بنى كعب (1).

و نقول:

إن نفس هذه القضيه قد ذكرت للنبى (صلى اللّه عليه و آله) مع ميمونه، لا مع عائشه (2).

و لربما يروق للباحث أن يرجح هذه الروايه و هى روايه ميمونه، لأنه اعتاد أن يرى هنا و هناک عمليات سطو على الأدوار، و على الفضائل و الكرامات، و على المواقف. يصل ذلک إلى حد الاختلاف و وضع الحديث على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو على لسان على (عليه السلام) أو غيرهما، فى سبيل تأييد شخص، أو فئه، أو تأكيد نهج فريق بعينه، يؤسفنا

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 791 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 262.
2- راجع: البحار ج 21 ص 101 و 125 عن إعلام الورى ج 1 ص 215، و تفسير مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 468 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 691 و تفسير الميزان ج 20 ص 379 و الجامع لأحكام القرآن (ط دار إحياء التراث العربى) ج 8 ص 87 و (ط دار الكتب العلميه) ج 8 ص 64.

أن نقول: أن عائشه كانت و كذلک أبوها، و من هو فی خطهما و نهجهما أحد أرکانه !!

هذا عدا ما یراه الباحث من تعمد سلب الفریق الآخر المناوئ لهؤلاء الکثیر من الإمتیازات، أو التشکیک بها، أو تجاهلها، أو التعتیم علیها.

ثم هو یری: ما یبذل من جهد لتلمیع صوره هذا أو ذاک من الناس، و تأویل مواقفه السیئه، أو التشکیک بها، أو نسبتها إلی غیره، أو ما إلی ذلک ..

و ذلک کله یهیئ الأجواء لانطلاق احتمال أن تکون قد حصلت عملیه سطو هنا أیضا لنفس الأسباب التی دعت إلی نظائر لها شوهدت فی الکثیر من المواقع و المواضع .. و فی هذا الکتاب أمثله عدیده تدخل فی هذا السیاق ..

ابن ورقاء أول المخبرین:

ذکر المؤرخون: قدوم بدیل بن ورقاء علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لیخبره بما جری علی خزاعه، و بالمجزره التی ارتکبت فی بیته و علی باب داره فی حق الصبیان، و النساء و الضعفاء (1).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 203 عن ابن إسحاق. و تاریخ الخمیس ج 2 ص 77 و 78 و البحار ج 21 ص 101 و 102 و 125 و تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 692 و تفسیر المیزان ج 20 ص 379 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 325 و البدایه و النهایه (ط دار إحیاء التراث العربی) ج 4 ص 319 و (ط مکتبه المعارف) ج 2 ص 278 و السیره النبویه لابن هشام ج 4 ص 855 و زاد المعاد (ط مؤسسه الرساله) ج 1 ص 1147 و عیون الأثر ج 2 ص 182 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 530 و شرح معانی الآثار ج 3 ص 316 و (ط دار الکتب العلمیه) ص 311 و مجمع البیان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمی) ص 468 و عن إعلام الوری.

و ذكروا أيضا: لقاءه أبا سفيان فى عسفان، حين كان أبو سفيان متوجها إلى المدينه، و بديل عائد منها (1).

و لكن محجن بن وهب يدّعى: أن بديل بن ورقاء لم يدخل مكه من حين انصرف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من الحديبيه، حتى لقيه فى الفتح بمرّ الظهران. قال محمد بن عمر: و هذا أثبت (2).

و نحن لا ندرى لماذا يطلق الواقدى دعواه: بأن ما رواه محجن بن وهب أثبت مما رواه ابن إسحاق و غيره.

و لا شک فى أن هذه المبادره من بديل بن ورقاء كانت محاطه منه و ممن معه بنطاق من السريه التامه، لأن اكتشاف قريش لهذا الأمر سوف يعرض بديلا و رفاقه لخطر عظيم، قد عاينوا بعض مظاهره و مستوياته حين حصر

1- راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 785 و 786 و 791 و 792 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 206 و السيره الحلبيه ج 3 ص 72 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و البحار ج 21 ص 101 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 692 و تفسير الميزان ج 20 ص 379 و الثقات ج 2 ص 38 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 325 و 326 و البدايه و النهايه ج 4 ص 319 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 855 و عيون الأثر ج 2 ص 183 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 530 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 468.
2- دلائل النبوه للبيهقى ج 4 ص 9 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 204 عن الواقدى.

الخزاعيون فى دار بديل، و سقط منهم كثير من الأبرياء قتلى فى داخل تلك الدار، و على بابها ..

و لذلک لم يستطع أبو سفيان معرفه حقيقه الأمر إلا من خلال النوى الذى وجده فى بعر إبلهم .. و لكنه لم يتيقن هذا الأمر، فسكت عليه.

على أن ذكر التفاصيل الدقيقه لما جرى فى عسفان بين أبى سفيان و بين بديل، يقرب احتمالات الصحه، و يوهن احتمال الوهم من الراوى ..

فإذا كانت روايه ذلک قد وردت بأكثر من طريق، و فى أكثر من مصدر، فإن حظوظ الحكم بصحه الروايه تصير أكبر و أوفر ..

و أخيرا نقول:

إننا لسنا بحاجه إلى التذكير: بأن من الممكن تعدد المخبرين لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فيخبره عمرو بن سالم، و يخبره أيضا بديل بن ورقاء ..

و قد لا يعلم أى منهما بمسير الآخر خصوصا فى مثل تلک الظروف الصعبه ..

عينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تدمعان:

ورد فى بعض النصوص: ما يدل على مدى تأثر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين أخبره عمرو بن سالم بما جرى على خزاعه، حتى لقد دمعت عيناه (صلى اللّه عليه و آله).

و غنى عن البيان: أن هذا التأثر إن دل على شى ء، فإنما يدل على: كمال معنى الإنسانيه فيه (صلى اللّه عليه و آله)؛ و على حقيقه التوازن فى ميزاته و فى خصائصه (صلى اللّه عليه و آله)، فلم تكن لتطغى خصوصيه على أخرى، أو

تستأثر بدورها إلى حد الإلغاء، بل كان لكل خصوصيه موقعها، و دورها الذى يخدم و يقوى، و يسدد خصوصيات أخرى فى أداء وظيفتها على أكمل وجه و أتمه ..

و لأجل هذا التوازن الدقيق فى الشخصيه الإنسانيه التى يريدها اللّه تبارک و تعالى كان المؤمنون أشداء على الكفار رحماء بينهم .. و كان المؤمن قويا شجاعا و كان رقيقا و رحيما و رؤوفا. و كان حازما، حليما. و لا يمكن أن يكون مؤمنا كاملا من دون أن يستجمع هذا الصفات، و يعيشها، و يتفاعل معها بصوره صحيحه و متوازنه ..

فلا غرو إذا رأينا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يجاهد الكفار و يغلظ عليهم فى حين تذهب نفسه عليهم حسرات.

ثم هو يتلقى سيوفهم، و رماحهم و سهامهم، و يردها عن نفسه ما وسعه ذلک، ثم هو يدعو لهم و يقول: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ..

و من جهه أخرى: إن هذه الرقه التى نراها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى إن عينيه لتدمعان و هو يسمع ما جرى على خزاعه، لم تكن هى المرتكز لموقفه من القتله و المجرمين، بل لم يكن لها أى تأثير فيه، بل كان المرتكز و المؤثر فى ذلک هو التكليف الشرعى، و طلب رضا اللّه تعالى، و إنزال القصاص العادل بالمعتدين و الظالمين، من دون أى تعد عليهم، أو ظلم لهم، أو تجاوز للحد الشرعى و الإنسانى فى التعامل معهم.

قام و هو يجر رداءه:

و حين تتحدث الروايات المتقدمه: عن أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد بلغ

به الغضب حدا جعله يقوم و هو يجر رداءه، فإنها تكون قد تجاوزت حدود المعقول و المقبول، بالنسبه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، إذ ليس لنا أن نصوره (صلى اللّه عليه و آله) بصوره من أخرجه غضبه عن طوره، إلى حد أنه لم يلتفت إلى ردائه ليسويه على نفسه، و يضعه بالصوره التى يفترض أن يكون عليها ..

فإذا كان (صلى اللّه عليه و آله) بهذه المثابه من الانفعال، فكيف يمكن أن نطمئن إلى أنه كان يتخذ قراراته برويه و تعقل، و تدبر و تأمل؟! فلعل غضبه الشديد قد جعله غافلا عن بعض الأمور التى لا بد من مراعاتها فى تلك القرارات!

كما أن نسبه أمثال هذه الأمور له (صلى اللّه عليه و آله) لا تنسجم مع الاعتقاد بعصمته، و بتسديد اللّه له، و تأييده بالوحى .. و مع ما هو معروف عنه (صلى اللّه عليه و آله) من رويّه و اتزان.

إلا أن يقال: إن المنهى عنه هو جر الرداء خيلاء و تكبرا، و أما إظهارا لشده الغضب للّه تبارک و تعالى، و شريطه أن لا يترتب على ذلک أى محذور آخر، فما ذكرناه آنفا ليس بقبيح، بل قد يكون محبوبا إلى اللّه تبارک و تعالى ..

النبى صلّى اللّه عليه و آله يأمر مخبريه بالتفرق فى الأوديه:

و قالوا: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعمرو بن سالم و أصحابه (ارجعوا و تفرقوا فى الأوديه).

فرجعوا و تفرقوا، و ذهبت فرقه إلى الساحل بعارض الطريق، و لزم

بديل بن ورقاء فى نفر من قومه الطريق (1).

و نقول:

إن ما قام به عمرو بن سالم و أصحابه، من إخبار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بما جرى .. ليس من الأمور التى يمكن لقريش و بنى بكر أن يتجاوزوها من دون اكتراث أو اهتمام .. بل هو بالنسبه إليهم و إليها قضيه حاسمه و مصيريه، تجعلهم بين خيارى: البقاء و الفناء، و الحياه و الموت.

و هم يرون: أنهم إذا استطاعوا إخفاء ما جرى عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو التخلص من المسؤوليه عنه و من تبعاته، فقد أفلحوا فى الإبقاء على حاله الهدنه القائمه فيما بينهم و بين المسلمين .. و لعلهم يقدرون فى وقت ما على استعاده بعض القوه لمواجهه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ربما يحلمون بأن ينتهى الأمر بحسم الأمور لمصلحتهم ..

و أما إن ظهر نكثهم للعهد، و استمرت التحولات فى هذا الاتجاه، فسيخسرون المعركه مع المسلمين، لأنهم لم يهيئوا لها ما يمنحهم و لو خيطا من الأمل ضعيفا بأى نصر، مهما كان هزيلا و ضئيلا ..

بل إنهم ليدركون: أن قدراتهم قد تضاءلت عما كانت عليه بدرجه كبيره و خطيره، كما أن قدرات أهل الإسلام قد تنامت و كبرت، بل تضاعفت، و لا سيما بعد كسر شوكه اليهود فى خيبر و سواها، ثم ما جرى فى مؤته ..

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 203 عن ابن عقبه و الواقدى، و دلائل النبوه للبيهقى ج 7 ص 10 و السيره الحلبيه ج 3 ص 72. و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 791 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 262.

بل إن قدرات كثيره قد أضيفت إلى قدرات المسلمين، حتى تضاعفت عما كانت عليه من قبل ..

و ذلک کله یشیر إلى: أن اکتشاف قریش، و حلفائها لهذه النشاطات التی قام بها عمرو بن سالم و بدیل بن ورقاء، سوف یدفعها للانتقام السریع و الهائل و المریع من هؤلاء، و من کل من یلوذ بهم، أو ینتمی إلیهم، و من دون أیه رحمه أو شفقه ..

و على هذا الأساس نقول:

إنه لم یکن من الحکمه فی شی ء أن یعود بدیل بن ورقاء و عمرو بن سالم و أصحابهما إلى مکه ظاهرین معلنین، و کان التخفی و التستر على هذا الأمر ضروره لا بد منها، و لا غنى عنها لحفظ حیاتهم، و حیاه کل من یلوذ بهم ..

و قد جاء التوجیه النبوی الکریم منسجما مع هذه الحقیقه حیث أبلغهم أن علیهم أن یتفرقوا حین عودتهم فی الأودیه و الشعاب، و أن یسلکوا طرقا مختلفه، حتى إذا تمکنت قریش و حلفاؤها من العثور على بعض منهم فی بعض الأودیه و المسالک، فإنها قد لا تظن أنهم یعودون من مهمه تعنیها و تتعلق بما حدث.

و حتى لو راودها احتمال من هذا القبیل، فقد لا یخطر على بالها: أن یکون لهؤلاء شرکاء فی مهمتهم هذه.

و لو خطر ذلک أیضا على بالها، و سألت عنه، فإن إنکار هذه الشراکه سوف یحد من دائره الخطر و یؤکد لها احتمال أن یکون قد حصل شی ء من ذلک بمبادره شخصیه، و ربما تکون إزاله أساس هذا الاحتمال أیسر مما لو شوهدت جماعه کثیره تمخر عباب تلک المنطقه، لأن ذلک سوف یقوى

احتمال وجود أمر مهم دعا رجالات القرار لاتخاذ قرار بشأنه، و هذه الجماعه بصدد تنفيذه.

و هذا ما يفسر لنا عدم قدره أبى سفيان على التمادى فى توجيه الأسئله لبديل بن ورقاء حينما لقيه بعسفان، فلجأ إلى فت أبعار الإبل، ليرى نوى تمر يثرب فيها، و بعد ذلک لم يتمكن من الجزم بصحه ما دار فى خلده، فآثر السكوت، و انصرف عن استقصاء هذا الأمر ..

ص: 72

الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينه: تدليس و خداع

اشاره

ص: 74

عروض النبی صلّی اللّه علیه و آله و رفض قریش:

عن ابن عمر، و حزام بن هشام الکلبی، و محمد بن عبّاد بن جعفر: أن قریشا ندمت علی عون بنی نفاثه، و قالوا: محمد غازینا.

فقال عبد اللّه بن أبی سرح: إن عندی رأیا، إن محمدا لن یغزوکم حتی یعذر إلیکم، و یخیّرکم فی خصال کلها أهون علیکم من غزوه.

قالوا: ما هی؟

قال: یرسل إلیکم أن دوا قتلی خزاعه، و هم ثلاثه و عشرون قتیلا، أو تبرؤوا من حلف من نقض الصلح، و هم بنو نفاثه، أو ینبذ إلیکم علی سواء، فما عندکم فی هذه الخصال؟

فقال القوم: أحر بما قال ابن أبی سرح- و قد کان به عالما-.

قال سهیل بن عمرو: ما خله أهون علینا من أن نبرأ من حلف بنی نفاثه.

فقال شیبه بن عثمان العبدری: حفظت أخوالک، و غضبت لهم.

قال سهیل: و أی قریش لم تلده خزاعه؟

قال شیبه: و لکن ندی قتلی خزاعه، فهو أهون علینا.

و قال قرظه بن عبد عمرو: لا و اللّه لا یودون و لا نبرأ من حلف بنی

نفاثه، و لكنا ننبذ إليه على سواء.

و قال أبو سفيان: ليس هذا بشى ء، و ما الرأى إلا جحد هذا الأمر، أن تكون قريش دخلت فى نقض عهد، أو قطع مده، و إنه قطع قوم بغير رضى منا و لا مشوره، فما علينا.

قالوا: هذا الرأى لا رأى غيره (1).

و قال عبد اللّه بن عمر: إنّ ركب خزاعه لمّا قدموا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أخبروه خبرهم، قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله):

(فمن تهمتكم و ظنتكم)؟

قالوا: بنو بكر.

قال: (أكلّها)؟

قالوا: لا، و لكن بنو نفاثه قصره، و رأس القوم نوفل بن معاويه النفاثى.

قال: (هذا بطن من بنى بكر، و أنا باعث إلى أهل مكه، فسائلهم عن هذا الأمر، و مخيرهم فى خصال ثلاث).

فبعث إليهم ضمره- لم يسم أباه محمد بن عمر- يخيرهم بين إحدى خلال، بين أن يدوا قتلى خزاعه، أو يبرؤوا من حلف بنى نفاثه، أو ينبذ إليهم على سواء.

فأتاهم ضمره رسول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأناخ راحلته

1- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 204 عن ابن عائذ، و الواقدى، و مسدد فى مسنده بسند صحيح، و المغازى للواقدى ج 2 ص 787 و 788 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 261.

بباب المسجد، فدخل و قريش فى أنديتها، فأخبرهم أنه رسول رسول اللّه و أخبرهم بالذى أمره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) به.

فقال قرظه بن عبد عمرو الأعمى: أما أن ندى قتلى خزاعه، فإن نفاثه فيهم عرام، فلا نديهم حتى لا يبقى لنا سبد و لا لبد، و أما أن نتبرأ من حلف نفاثه فإنه ليس قبيله من العرب تحج هذا البيت أشد تعظيما له من نفاثه، و هم حلفاؤنا، فلا نبرأ من حلفهم، أو لا يبقى لنا سبد و لا لبد، و لكن ننبذ إليه على سواء.

فرجع ضمره إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بذلک من قولهم.

و ندمت قريش على رد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و بعثت أبا سفيان فذكر قصه مجيئه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كما سيأتى (1).

مساع فاشله لأبى سفيان:

روى محمد بن عمر عن حزام بن هشام عن أبيه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال: (لكأنكم بأبى سفيان قد جاء يقول: جدّد العهد، وزد فى الهدنه (ليشد العقد و يزيد فى المده). و هو راجع بسخطه) (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 204 و 205 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 72 و المطالب العاليه ج 4 ص 243 و عن فتح البارى ج 8 ص 4 و المغازى للواقدى ج 2 ص 786 و 787 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 260.

2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 205 عن عبد الرزاق عن نعيم، مولى ابن عباس و عن ابن أبى شيبه عن عكرمه، و عن الواقدى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 72 و (ط دار المعرفه) ج 3 ص 3 و السيره النبويه لابن هشام (ط مكتبه محمد على صبيح) ج 4 ص 855 و (ط دار المعرفه) ص 27 و عيون الأثر ج 2 ص 183 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 468 و الجامع لأحكام القرآن ج 8 ص 64 و جامع البيان للطبرى ج 2 ص 84 و البحار ج 21 ص 101 و زاد المعاد (ط مؤسسه الرساله) ج 1 ص

1147 و المغازى للواقدى ج 2 ص 791 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 262.

و روى: أن الحارث بن هشام، و عبد اللّه بن أبى ربيعه مشيا إلى أبى سفيان بن حرب، فقالا: هذا أمر لا بد له من أن يصلح، و اللّه لئن لم يصلح هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد فى أصحابه.

فقال أبو سفيان: قد رأت هند بنت عتبه رؤيا كرهتها و أفظعتها و خفت من شرها.

قالوا: و ما هى؟

قال: رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمه مليا، ثم كأن ذلک الدم لم يكن، فكره القوم الرؤيا (1).

و فى نص آخر زعموا: أنه لما بلغ أبا سفيان ما فعلت قريش بخزاعه- و هو بالشام- أقبل حتى دخل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: يا محمد، احقن دم قومک الخ .. (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 205 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 71 و (ط دار المعرفه) ص 3 و المغازى للواقدى ج 2 ص 785 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 259.
2- البحار ج 21 ص 101 و 126 عن إعلام الورى ج 1 ص 217، و عن المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 177 و راجع: تفسير نور الثقلين ج 5 ص 692 و تاريخ مدينه دمشق (ط دار الكتب العلميه) ج 73 ص 88 و (ط دار الفكر) ج 79 ص 150 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 469 و تفسير الميزان ج 20 ص 379 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 321 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 278 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 532 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 206.

و قال أبو سفيان لما رأى ما رأى من الشر: هذا- و اللّه- أمر لم أشهده، و لم أغب عنه، لا يحمل هذا إلا علىّ، و لا و اللّه ما شوورت فيه، و لا هويته حين بلغنى، و اللّه، ليغزونا محمد إن صدقنى ظنى، و هو صادقى، و ما بد من أن آتى محمدا فأكلمه أن يزيد فى الهدنه، و يجدد العهد.

فقالت قريش: قد و اللّه أصبت.

و ندمت قريش على ما صنعت من عون بنى بكر على خزاعه، و تحرجوا أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يدعهم حتى يغزوهم.

فخرج أبو سفيان، و خرج معه مولى له على راحلتين، فأسرع السير، و هو يرى أنه أول من خرج من مكه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلقى بديل بن ورقاء بعسفان، فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بل كان اليقين عنده، فقال للقوم: أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها؟

قالوا: لا علم لنا بها.

فعلم أنهم كتموه، فقال: أما معكم من تمر يثرب شى ء تطعموناه؟ فإن لتمر يثرب فضلا على تمور تهامه.

قالوا: لا.

فأبت نفسه أن تقرّه حتى قال: يا بديل: هل جئت محمدا؟

قال: لا ما فعلت، و لكن سرت فى بلاد بنى كعب و خزاعه من هذا الساحل، فى قتيل كان بينهم، فأصلحت بينهم.

فقال أبو سفيان: إنک- و اللّه- ما علمت بر واصل.

ثم قايلهم أبو سفيان حتى راح بديل و أصحابه، فجاء أبو سفيان منزلهم ففت أبعار أباعرهم، فوجد فيها نوى من تمر عجوه كأنها ألسنه الطير، فقال أبو سفيان: أحلف باللّه لقد جاء القوم محمدا (1). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 21 80 مساع فاشله لأبى سفيان: ..... ص : 77

و كان القوم لما كانت الوقعه خرجوا من صبح ذلک اليوم فساروا ثلاثا، و خرجوا من ذلک اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سفيان ثلاثا، و كانت بنو بكر قد حبست خزاعه فى دارى بديل و رافع ثلاثه أيام يكلمون فيهم، و ائتمرت قريش فى أن يخرج أبو سفيان، فأقام يومين. فهذه خمس بعد مقتل خزاعه.

و أقبل أبو سفيان حتى دخل المدينه، فدخل على ابنته أم حبيبه زوج النبى (صلى اللّه عليه و آله)، فأراد أن يجلس على فراش رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فطوته دونه.

فقال: يا بنيه!! أرغبت بهذا الفراش عنى أو بى عنه؟

قالت: بل هو فراش رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أنت امرؤ مشرک

1- المغازى للواقدى ص 785 و 786 و 791 و 792 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 206 و السيره الحلبيه ج 3 ص 72 و (ط دار المعرفه) ص 3 و أشار إلى ذلک فى: مجمع البيان ج 10 ص 555 و البحار ج 21 ص 101 و 102 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 259- 262.

نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

قال: يا بنيه لقد أصابک بعدى شر.

فقالت: بل هدانى اللّه للإسلام. و أنت يا أبت سيد قريش و كبيرها، كيف يسقط عنک الدخول فى الإسلام، و أنت تعبد حجرا لا يسمع و لا يبصر؟

فقام من عندها، فأتى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و هو فى المسجد، فقال: يا محمد!! إنى كنت غائبا فى صلح الحديبيه، فاشدد العهد، و زدنا فى المده.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (فلذلک جئت يا أبا سفيان)؟

قال: نعم.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (هل كان من قبلكم من حدث)؟

قال: معاذ اللّه، نحن على عهدنا و صلحنا يوم الحديبيه، لا نغير و لا نبدل.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (فنحن على مدتنا و صلحنا يوم الحديبيه لا نغير و لا نبدل).

فأعاد أبو سفيان على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) القول، فلم يرد عليه شيئا (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 206 و السيره الحلبيه ج 3 ص 72 و (ط دار المعرفه) ص 3 و راجع: مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 468 و البحار ج 21 ص 101 و 102 و 126 عن إعلام الورى ج 1 ص 217، و المغازى للواقدى ج 2 ص 792 و 793 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 262 و 263 و تاريخ مدينه دمشق ج 69 ص 150 و 151 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 321 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 278 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 532.

فذهب إلى أبى بكر فكلمه، و قال: تكلم محمدا، أو تجير أنت بين الناس.

فقال أبو بكر: جوارى فى جوار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

زاد ابن عقبه: و اللّه، لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم.

فأتى عمر بن الخطاب، فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر.

فقال: أنا أشفع لكم عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)!! فو اللّه، لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه اللّه، و ما كان منه متينا فقطعه اللّه، و ما كان منه مقطوعا فلا وصله اللّه.

فقال أبو سفيان: جوزيت من ذى رحم شرا (1).

فأتى عثمان بن عفان فقال: إنه ليس فى القوم أحد أقرب رحما منک، فزد فى المده، و جدد العهد، فإن صاحبک لا يرده عليک أبدا.

فقال عثمان: جوارى فى جوار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (2).

فأتى عليا (عليه السلام)، فقال: يا على، إنک أمس القوم بى رحما، و إنى جئت فى حاجه فلا أرجع كما جئت خائبا، فاشفع لى إلى محمد.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 206 و السيره الحلبيه ج 3 ص 72 و 73 و (ط دار المعرفه) ص 3 و راجع: مجمع البيان ج 10 ص 555 و البحار ج 21 ص 101 و 102 و 126 و المغازى للواقدى ج 2 ص 793 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 321 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 278 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 533.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 207 و السيره الحلبيه ج 3 ص 73 و (ط المعرفه) ص 3 و المغازى للواقدى ج 2 ص 793 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث) ج 4 ص 321 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 278.

فقال: ويحک يا أبا سفيان! و اللّه لقد عزم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فأتى سعد بن عباده، فقال: يا أبا ثابت، أنت سيد هذه البحيره، فأجر بين الناس، و زد فى المده.

فقال سعد: جوارى فى جوار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ما يجير أحد على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فأتى أشراف قريش و الأنصار، فكلهم يقول: جوارى فى جوار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ما يجير أحد على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فلما أيس مما عندهم، دخل على فاطمه الزهراء (عليها السلام) و الحسن (عليه السلام) غلام يدب بين يديها، فقال: يا بنت محمد، هل لک أن تجيرى بين الناس؟

فقالت: إنما أنا امرأه، و أبت عليه (1).

(و فى نص آخر: قالت: إنما أنا امرأه.

قال: قد أجارت أختک- يعنى: زينب- أبا العاص بن الربيع، و أجاز ذلک محمد.

قالت: إنما ذاک إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الخ ..) (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 207 و السيره الحلبيه ج 3 ص 73 و (ط دار المعرفه) ص 3 و المغازى للواقدى ج 2 ص 794 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 321 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 278 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 533 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 263.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 207 و السيره الحلبيه ج 3 ص 73 و (ط دار المعرفه) ص 3 و المغازى للواقدى ج 2 ص 794 و راجع: البحار ج 21 ص 102 و 126 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص

468 و إعلام الورى ج 1 ص 217 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 375 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 363.

فقال: مرى ابنک هذا- أى الحسن بن على (عليهما السلام)- فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر.

قالت: و اللّه ما بلغ ابنى ذلک، أن يجير بين الناس، و ما يجير أحد على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1).

(و فى نص آخر: ما يدرى ابناى ما يجيران من قريش) (2).

(زاد فى الحلبيه قوله: (قال: فكلمى عليا ..

فقالت: أنت تكلمه.

فكلم عليا فقال: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يفتئت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بجوار)) (3).

1- البحار ج 21 ص 126 و إعلام الورى ج 1 ص 218.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 73 و المغازى للواقدى ج 2 ص 793 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 326 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 320 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 277 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 530 و السيره النبويه لابن هشام (ط مكتبه محمد على صبيح) ج 4 ص 856 و عيون الثر ج 2 ص 184 و راجع: الإرشاد ج 1 ص 133 و البحار ج 22 ص 77 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و زاد المعاد ج 1 ص 1147.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 73 و (ط دار المعرفه) ص 3.

فقال لعلی (علیه السلام): یا أبا الحسن!! إنی أری الأمور قد اشتدت علی فانصحنی.

قال: و اللّه ما أعلم شیئا یغنب عنک شیئا، و لکنک سید بنی کنانه.

قال: صدقت، و أنا کذلک.

قال: فقم فأجر بین الناس ثم الحق بأرضک.

قال: أو تری ذلک مغنیا عنی شیئا؟

قال: لا و اللّه، و لکن لا أجد لک غیر ذلک.

فقام أبو سفیان فی المسجد، فقال: أیها الناس إنی قد أجرت بین الناس، و لا و اللّه ما أظن أن یخفرنی أحد.

ثم دخل علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فقال: یا محمد، إنی قد أجرت بین الناس.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (أنت تقول ذلک یا أبا حنظله)!!

ثم رکب بعیره و انطلق (1).

و کان قد احتبس و طالت غیبته، و کانت قریش قد اتهمته حین أبطأ أشد التهمه، قالوا: و اللّه إنّا نراه قد صبأ، و اتبع محمدا سرّا، و کتم إسلامه.

فلما دخل علی هند امرأته لیلا، قالت: لقد احتبست حتی اتهمک

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 207 و السیره الحلبیه ج 3 ص 73 و (ط دار المعرفه) ص 3 و البحار ج 21 ص 126 و 127 و ج 22 ص 77 و إعلام الوری ج 1 ص 218 و المغازی للواقدی ج 2 ص 794 و 795 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 78 و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 177 و الأنوار العلویه للنقدی ص 200.

قومک، فإن کنت مع الإقامه جئتهم بنجح فأنت الرجل.

ثم دنا منها، فجلس مجلس الرجل من امرأته.

فقالت: ما صنعت؟

فأخبرها الخبر، و قال: لم أجد إلا ما قال لی علی.

فضربت برجلها فی صدره و قالت: قبحت من رسول قوم، فما جئت بخیر (1).

فلما أصبح أبو سفیان حلق رأسه عند إساف و نائله، و ذبح لهما، و جعل یمسح بالدم رؤوسهما (کذا) و یقول: لا أفارق عبادتکما حتی أموت علی ما مات علیه أبی، إبراء لقریش مما اتهموه به.

فلما رأته قریش، قاموا إلیه، فقالوا: ما وراءک؟ هل جئت بکتاب من محمد، أو زیاده فی مده ما نأمن به أن یغزونا محمد؟

فقال: و اللّه، لقد أبی علی.

و فی لفظ: لقد کلمته، فو اللّه ما رد علی شیئا، و کلمت أبا بکر فلم أجد فیه خیرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنی العدو (و فی روایه أعدی العدو) و قد کلمت علیه أصحابه، فما قدرت علی شی ء منهم، إلا أنهم یرموننی بکلمه واحده، و ما رأیت قوما أطوع لملک علیهم منهم له.

إلا أن علیا لما ضاقت بی الأمور قال: أنت سید بنی کنانه، فأجر بین الناس، فنادیت بالجوار.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 207 و السیره الحلبیه ج 3 ص 73 و (ط دار المعرفه) ص 3 و المغازی للواقدی ج 2 ص 795 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 264.

(و عند الحلبى: ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم. و قد أشار على بشى ء صنعته، فو اللّه، لا أدرى أيغنى عنى شيئا أم لا) (1).

فقال محمد: (أنت تقول ذلک يا أبا حنظله)!!

لم يزدنى.

قالوا: رضيت بغير رضى، و جئت بما لا يغنى عنا و لا عنک شيئا، و لعمر اللّه ما جوارک بجائز، و إن إخفارک عليهم لهين، ما زاد على من أن لعب بک تلعبا.

قال: و اللّه ما وجدت غير ذلک (2).

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 3 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و راجع: الإرشاد ج 1 ص 133 و البحار ج 22 ص 77 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 40 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 320 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 277 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 531 و السيره النبويه لابن هشام (ط مكتبه محمد على صبيح) ج 4 ص 857 و (ط دار المعرفه) ج 4 ص 27 و عيون الأثر ج 2 ص 184 و زاد المعاد (ط مؤسسه الرساله) ج 1 ص 1147.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 207 و 208 و السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 3 و راجع: الإرشاد ج 1 ص 134 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 692 و تفسير الميزان ج 20 ص 380 و الثقات ج 2 ص 40 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 469 و المناقب لابن شهر آشوب ج 1 ص 178 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و البحار ج 21 ص 126 و 127 و ج 22 ص 78 و إعلام الورى ج 1 ص 218، و المغازى للواقدى ج 2 ص 795 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و البدايه و النهايه (ط دار إحياء التراث العربى) ج 4 ص 322 و (ط مكتبه المعارف) ج 2 ص 278 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 534 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 3 ص 42 و السيره النبويه لابن هشام (ط مكتبه محمد على صبيح) ج 4 ص 857 و عيون الأثر ج 2 ص 184.

و نقول:

إن لنا هنا وقفات هى التاليه:

ترتيب الأحداث:

و قد يظن البعض: أن ثمه تناقضا بين الروايات المتقدمه، فإنها تاره تقول: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أرسل إلى قريش يخيرها بين أمور ثلاثه .. فاقترح أبو سفيان عليهم أن يجحدوا حصول أى شى ء يمكن فهمه على أنه نقض للعهد ..

و تاره تقول: إن أبا سفيان خرج إلى المدينه بعد خمس ليال فقط من العدوان على خزاعه. فأى ذلک هو الصحيح؟!

غير أننا نقول:

إنه لا تناقض بين تلک الروايات، و لكن الأمور قد اختلطت على المؤرخين، فقدموا المتأخر، و أخروا المتقدم. فاقتضى ذلک إضافه بعض البيانات التوضيحيه منهم، فأوجب ذلک الخلل، و بدا أن ثمه تناقضا و اختلافا بين المرويات.

و الحقيقه هى: أنه لو أعيد كل نص إلى موضعه لاستقام السياق و انحل الإشكال بصوره تلقائيه ..

و الذى نراه: هو أن أبا سفيان خرج إلى المدينه بعد خمسه أيام من

المجزره، و سار إلى عسفان .. فالتقى ببديل بن ورقاء و صحبه، و جرى بينه و بينهم ما جرى .. ثم تابع سيره إلى المدينه، و حاول تعميه الأمور و المكر بالمسلمين بحجه: أنه لم يحضر الحديبيه، و يريد التأكيد على العهد الذى أبرم فيها، و يزيد من مدته، فواجه ما لم يكن له بالحسبان، و عاد يجر أذيال الخيبه و الخسران.

ثم جاءت وفود خزاعه فأخبروا النبى (صلى اللّه عليه و آله) بما جرى عليهم، فوعدهم النصر، و أخبرهم: أنه سيرسل إلى قريش يخيرها بين ثلاثه أمور.

ثم أرسل (صلى اللّه عليه و آله) رسولا إلى قريش يعلمهم ببوار مكرهم، و افتضاح أمرهم، و يضعهم أمام تلك الخيارات المتقدمه ..

فكان اقتراح أبى سفيان يقضى بالإصرار على جحد أيه مسؤوليه لهم تجاه ما حصل.

سؤال و جوابه:

و لكن السؤال الذى يحتاج إلى إجابه هو: كيف استطاع بديل بن ورقاء و صحبه أن يسافروا إلى المدينه و يعودوا منها، و يلتقى بهم أبو سفيان فى عسفان فى غضون أيام يسيره قد تتجاوز أصابع اليد الواحده بيسير، فى حين أن المدينه تبعد عن مكه ما يقارب الأربع مائه كيلومتر .. و تحتاج ربما إلى ضعف هذا العدد من الأيام لقطعها ذهابا و إيابا ..

و يمكن أن يجاب: بأن أبا سفيان قد خرج من مكه- حسب زعمهم- باتجاه المدينه بعد خمسه أيام من المجزره. و لكن لا شى ء يدل على طبيعه سيره،

و كم بقى حتى وصل إلى عسفان؟ و هل تلوّم فى طريقه من المنازل المختلفه بضعه أيام؟ أم أنه أسرع السير و واصله؟ فهذا ما لا تذكره الروايات.

فيحتمل إذن: أن يكون قد سار ببطء، بحيث لم يصل إلى عسفان حتى مرت عده أيام، تكون هى و الخمسه أيام الأولى التى أقامها فى مكه بعد حصول المجزره كافيه لذهاب الركب إلى المدينه و عودته منها على جناح السرعه، خوفا من افتضاح أمرهم ..

على ماذا ندمت قريش؟!:

إن ندم قريش على عون بنى نفاثه لا يخفف من قبح الجريمه التى ارتكبتها، و لا يبرر أى إجراء تخفيفى فى عقوبتها، لأن هذا الندم لم يكن لأجل إقرارها ببشاعه و فظاعه الجريمه، و قبح نقض العهد، بل هو ندم يؤكد إصرارها على ذلک كله و التزامها به، و يحمل فى ثناياه منطق التأييد، و الرضى، و عدم التورع عن العوده إلى مثله حينما تسنح الفرصه، و تأمن من عواقبه و تبعاته السيئه عليها ..

فهو ندم قبيح، و مرفوض، و يوجب لها المزيد من الخزى، و المهانه، و السقوط. إنه ليس ندما، بل لجاج و إصرار، و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ..

إنه ندم حقيقته الخوف من انتقام المظلومين، و أن يدان أهل الحق من الظالمين، و أهل الباطل ..

و خير دليل على إصرار هؤلاء على باطلهم و سيرهم الدائب فى خط الجحود و الإنكار للحق، هو موقفهم الرافض للخيارات العادله التى وضعها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أمامهم.

أبو سفيان ينقض العهد:

زعموا: أن أبا سفيان لم يعلم بما تعاقد بنو نفاثه و زعماء من قريش عليه، و بما صنعوه فى خزاعه قبل وقوعه، و لم يشاوروه فى ذلک (1).

و زعموا: أنه كان فى الشام آنئذ (2).

و قيل: شاوروه، فأبى عليهم (3).

و لنفترض: أن أبا سفيان لم يرض بنقض العهد، و لم يشارک فيما جرى، فإن ذلک لا يعفيه من المسؤوليه لأكثر من سبب.

فأولا: قد تقدم: أن بعض الروايات تصرح: بأنه هو صاحب الرأى الذى يقول: إن اللازم هو إنكار حدوث أى شى ء على خزاعه، و جحد هذا الأمر و إبطاله من أساسه. و هذه خيانه عظيمه، و إهدار لدماء الناس، و استخفاف بها ..

و ثانيا: إنه قد سعى بكل جهده للتستر على هذا الأمر حينما جاء إلى المدينه ليوثق العهد من جديد ..

و أنكر لدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أن يكون قد حصل أى

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 71 و المغازى للواقدى ج 2 ص 783 و سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 205 و تاريخ مدينه دمشق ج 23 ص 453 و البحار ج 21 ص 108 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 260 و 271.
2- راجع: البحار ج 21 ص 126 و مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج 1 ص 177 و إعلام الورى ج 1 ص 217 و الأنوار العلويه للنقدى ص 199.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 71 و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 201 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 257.

حدث يوجب نقض العهد، و بذلک يکون قد أصبح شريکا فی هذا الأمر، خصوصا و أنه قد اتخذ سبيل المکر بالنبی (صلی اللّه عليه و آله) و عمل علی خديعته. فهو إن کان لم يبدأ بالغدر، و لکنه قد حمی الغدره الفجره، المستحلين لحرم اللّه، و القتله لعباد اللّه.

الخيارات العادله:

و عن الخيارات التی وضعها رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) أمام ناقضی العهد نقول:

ألف: إن الخيار الأول هو: أن يدوا قتلی خزاعه. فإن ذلک من أوليات الحقوق الثابته و المعترف بها لمن يعانون من عدوان کهذا، حتی فی المجتمع الجاهلی. بل إن القتل حين يکون عدوانيا، و عن سابق عمد و إصرار، لا يکتفی معه بالمطالبه بالديه، بل يرتقی الأمر إلی المطالبه بالقصاص من القاتل .. فکيف إذا کانت هناک عهود و مواثيق لا بد من مراعاتها و الوفاء بها؟!

فالمطالبه بالديه يمثل إرفاقا کبيرا، و تبرعا بالعفو عن جرم کبير و خطير، يراد محاصره آثاره، و منعه من التوسع و الانتشار، لو أريد الإصرار علی خيار القصاص أو أريد الاستفاده من حق إسقاط الالتزامات، و اعتبار العهد فی حکم المنتهی ..

ب: و الخيار الثانی هو: إفساح المجال أمام العداله لتأخذ مجراها، و ذلک بالتخلی عن الحلف مع أولئک المعتدين و المجرمين، لينالوا جزاءهم ..

و هو خيار متوافق مع سنه العدل و الإنصاف، و مشوب بالرفق و الإحسان لقريش أيضا، من حيث إنه يظهر تصديقها فيما تدّعيه، و يغض

النظر عن ملاحقتها، و مجازاتها على ما اقترفته.

و ذلک يمثل درسا عمليا لها فى الوفاء بالإلتزامات، و عدم الإنسياق وراء دعوه النزوات و الشهوات .. كما أنه يقدم العبره للناس، كل الناس، فى أخذ الحق للمظلوم من الظالم، و قصاص المعتدى .. و كفى ذلک رادعا لهم عن الانسياق وراء بنى نفاثه فى ارتكاب جرائم مماثله، قد يرون أن الظروف تسمح لهم بارتكابها، و ذلک ظاهر لا يخفى.

ج: و أما الخيار الثالث و الأخير: فيقوم على فرضيه الإصرار على العدوان، و على مناصره الظالمين و المجرمين .. حيث لا بد من الردع المؤثر و قطع دابر الفساد و الإفساد، فإن آخر الدواء الكىّ، و من الإحسان للإنسانيه استئصال الغده السرطانيه التى تفتک بالوجود الإنسانى كله ..

سياسات يعرفها الجميع:

و قد قرأنا فى النصوص المتقدمه: أن عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح يستبق الأمور، و يخبر أهل مكه بما ستأتيهم به الرسل عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى لقد حدد لهم الخيارات التى سيعرضها (صلى اللّه عليه و آله) عليهم ..

و هذا معناه: أن سياسات الإسلام المشوبه بالعفو و الرفق و الرحمه، و الإنصاف، و المتمثله بأقوال و أفعال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد أصبحت معروفه، حتى لدى أعدائه.

و مما يدخل فى هذا السياق أيضا يقين بنى نفاثه بأن محمدا لن يسكت على نقض العهد، و ظلم الأبرياء. كما أن قريشا خافت أن يعلم رسول اللّه

(صلى اللّه عليه و آله) بما حدث، لأن عواقب ذلک ستكون غير مرضيه لها ..

آراء لا يحسدون عليها:

و حين عرض ابن أبي سرح الخيارات التى يتوقع أن تأتى بها الرسل من عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. أدلى أصحاب المواقع، و أرباب الرأى الحصيف بآرائهم السخيفه و الوضيعه، التى تعبر عن ذهنيتهم و توجهاتهم، و آفاق تفكيرهم، و منطلقاتهم. فيلاحظ:

ألف: أن سهيل بن عمرو قد عبر عن رأى يظهر طبيعه نظره أهل الشرک للعهود و المواثيق، و مدى هشاشتها، و سقوط محلها و قيمتها عندهم و ضعف تأثيرها فى التزاماتهم، فقال: (ما خله أهون علينا من أن نبرأ من حلف بنى نفاثه).

ب: و عبر شيبه بن عثمان عن سوء الظن الذى كان يهيمن على مجتمع أهل الشرک، فلم يكن يثق أحد منهم بأحد، و لا يطمئن لسلامه نواياه، الأمر الذى يضعف من درجه اعتماد بعضهم على البعض الآخر، و يحد بصوره كبيره من إقدامهم على أى عمل يصب فى مصلحه الآخرين، فضلا عن أن يضحى فى سبيلهم، أو يؤثرهم على نفسه.

ثم هو يشير إلى: أن منطلقاتهم حتى فى مواقفهم المصيريه هى مصالحهم الشخصيه و أهواؤهم و تعصباتهم القبليّه، و مشاعرهم العرقيه.

فقضاياهم الكبرى تتقزم و تتحجم لتصبح فى مستوى الشخص، لا من حيث مزاياه الإنسانيه، بل بلحاظ مزيته البشريه، و فى خصوص طبيعه موقعه النسبى ..

ج: أما موقف قرظه بن عمرو، فيعبر عن حميه الجاهليه التى تختزنها نفوسهم، و التى تهيمن و تطغى على مشاعرهم، و على أحاسيسهم.

د: ثم يأتى موقف أبى سفيان، الذى يدل على أن تلك النفوس أصبحت قاحله جرداء، لا تمر فى أجوائها أى نسمه من نسمات الخير، و لا تجد فيها أى أثر للهدى و الصلاح .. بل هى تضج و تعج بخصال ضربت جذورها فى أعماق الباطل، و انطلقت أغصانها فى آفاقه، فكانت ثمارها شرا و جهاله، و غوايه، و ضلاله.

تحديد المتهم بدقه:

ثم يذكر الحديث السابق: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد طلب من ركب خزاعه تحديد مرتكب الجريمه بدقه، و لم يكتف بعناوين فضفاضه و عامه.

فحين قالوا: إنهم يتهمون بنى بكر، قال لهم: أكلهم؟

قالوا: لا، و لكن بنو نفاثه فقط، و على رأسهم فلان ..

و بذلک يكون (صلى اللّه عليه و آله) قد استبعد المنطق العشائرى الجاهلى، الذى يأخذ البرى ء بذنب المجرم. رغم أن الذين قتلهم بنو نفاثه هم من الصبيان و النساء، و الضعفاء من الرجال ..

عرام بنى نفاثه:

و قد وصفت الروايات المتقدمه بنى نفاثه: بأن فيهم عراما، أى: حده و شده، أو شراسه و أذى ..

فهو يخشى- إن ودى القتلى الأبرياء الذين سقطوا تحت وطأه البغى

و الغدر، و نكث العهود- أن يتعرض للأذى من أناس فيهم حده و شراسه.

و هذا التضييع لحق هؤلاء ظلم آخر يحيق بأولئک الضحايا على يد جلاديهم، و قتلتهم.

بنو نفاثه يعظمون الحرم:

و قد زعم صاحب ذلک الرأى أيضا: أنه ليس فى العرب قبيله أشد تعظيما لبيت اللّه تبارک و تعالى من بنى نفاثه ..

مع أن بنى نفاثه أنفسهم، و فى نفس هذه الواقعه التى أوصلت الأمور إلى هذا الحد، قد هتكوا حرمه الحرم، و قتلوا النساء، و الصبيان، و الضعفاء فيه. و حين حاول الناس لفت نظر زعيمهم و قائدهم نوفل بن معاويه نفسه إلى أنه يهتک حرمه الحرم لأن قتل أولئک الأبرياء قد أصبح فى داخله، و قالوا له: إلهک، إلهک. تفوه بما يدل على إلحاده، فقال: لا إله لى اليوم ..

فإذا كان هو فعلا أشد الناس تعظيما للبيت و الحرم، فما الذى ننتظره من سائر القبائل التى لا تعظم البيت إلى هذا الحد؟!

الخبر اليقين:

و قد أخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالغيب، حين قال لهم: لكأنكم بأبى سفيان قد جاء يقول: جدد العهد، و زد فى المده الخ ..

و نقول:

إن قضيه مكه، و التصدى بحزم لممارسات رموز الشرک فيها، لم يكن تقبّله بالأمر السهل على الناس، بل كان يحتاج إلى جهد كبير لإقناع الناس بصحه ذلک التصدى، و صوابيته.

و لهذا الإقناع طرقه، و أساليبه المختلفه، و لكن أقواها و أعلاها تلك الإخبارات الغيبيه التى يخضع لها العقل، و تتفاعل فى أجوائها المشاعر و الأحاسيس، و يعيش القلب معها السكينه و الطمأنينه ..

و قد بيّن (صلى اللّه عليه و آله) فى هذا الإخبار الغيبى المشار إليه أعلاه تفاصيل ما يجرى بصوره تامه و دقيقه، فصرح باسم القادم، و هو أبو سفيان. و ذكر لهم ما يسعى إليه أبو سفيان، بل هو صرح بعين الألفاظ و العبارات التى سوف يستخدمها، فقال: قد جاء يقول: جدد العهد، و زد فى المده.

ثم بيّن لهم نتيجه سعى ذلک الرجل، و أنه سيرجع، و هو يجر أذيال الخيبه، و يحمل معه سخطه و مرارته ..

رؤيا هند بنت عتبه:

و عن رؤيا هند بنت عتبه نقول:

قد عرفنا أن للرؤيا فى المنام دورا فى هدايه الناس، و فى إقامه الحجه عليهم، و فى لفت نظرهم لأمور يحتاجون إليها، و ليست الرؤيا مجرد تخيلات عابره، ليس لها أثر ..

و قد جاءت رؤيا هند لتحذر مشركى مكه من مغبه هذا البغى الذى يمارسونه، و تريهم بعض اللمحات عن المصير الذى ينتظرهم، إن استمروا فى اللجاج و العناد، و السعى لإطفاء نور اللّه تبارک و تعالى.

أبو سفيان هو المسؤول:

إن أبا سفيان الذى يدّعى: أنه لم يشهد ما جرى لخزاعه، قد أقر: بأنه لم

يغب عما جرى ..

و هذا معناه: ليس فقط أنه كان على علم بما جرى .. بل هو قد شارک فی التخطيط و التآمر، حتی لو سلمنا: أنه کان فی الشام حين ارتکاب المجزره الرهيبه کما ورد فی بعض النصوص (1).

إذ لا شی ء يمنع من التخطيط و الإتفاق علی شی ء، علی أن يتم التنفيذ فی وقت يحدد بعد أيام، حيث يکون المستهدفون بالمؤامره فی غفله من ذلک کله ..

و إذا کان أبو سفيان حاضرا فلا نجد مبررا لتجاهله، و عدم استشارته، فيما عقدوا العزم عليه.

مع ملاحظه: أن لفعلهم هذا خطوره بالغه علی الهدنه التی کانت بينهم و بين النبی (صلی اللّه عليه و آله)، لأجل الحلف الذی کان له مع خزاعه.

خصوصا و أن ذلک لا يعفی أبا سفيان من المسؤوليه من اتخاذ موقف تجاه ما يحدث، سواء علم أم لم يعلم. و قد اعترف هو نفسه بذلک فقال: (لا يحمل هذا إلا علی).

و هذا أمر طبيعی: فإن من يؤسس نهجا، و يسن سنّه للناس ليعملوا بها، فإذا عمل بها الناس، فليس له أن يقول لهم: أنا بری ء مما تشرکون ..

و قد أقر الشرع هذا المنطق أيضا، فقد روی عن رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) أنه قال: من سن سنه حسنه فله أجرها، و أجر من عمل بها. و من

1- راجع: البحار ج 21 ص 126 و عن مناقب آل أبی طالب لابن شهر آشوب ج 1 ص 177 و عن إعلام الوری ج 1 ص 217 و الأنوار العلويه للنقدی ص 199.

سن سنه سيئه، فعليه وزرها و وزر من عمل بها (1).

1- راجع: الفصول المختاره للمفيد ص 136 و روضه الطالبين للنووى ج 1 ص 73 و حاشيه رد المختار ج 1 ص 62 و نيل الأوطار ج 7 ص 192 و مستدرک الوسائل ج 12 ص 229 و الإختصاص ص 251 و منيه المريد ص 145 و البحار ج 2 ص 24 و ج 71 ص 204 و مستدرک سفينه البحار ج 5 ص 184 و مسند أحمد ج 4 ص 357 و 359 و 361 و 362 و صحيح مسلم ج 3 ص 87 و سنن النسائى ج 5 ص 76 و السنن الكبرى للبيهقى ج 4 ص 176 و فتح البارى ج 13 ص 256 و تحفه الأحوذى ج 9 ص 68 و مسند أبى داود ص 93 و مسند ابن الجعد ص 90 و المصنف لابن أبى شيبه ج 3 ص 3 و 4 و صحيح ابن خزيمه ج 4 ص 112 و جزء الحميرى ص 25 و صحيح ابن حبان ج 8 ص 101 و المعجم الأوسط ج 4 ص 343 و 384 و المعجم الكبير ج 2 ص 315 و 329 و 330 و 346 و رياض الصالحين للنووى ص 143 و اللمع فى أسباب ورود الحديث ص 68 و كنز العمال ج 15 ص 780 و فيض القدير ج 1 ص 672 و كشف الخفاء ج 2 ص 255 و 256 و التبيان ج 1 ص 187 و ج 3 ص 502 و تفسير مجمع البيان ج 1 ص 186 و ج 3 ص 322 و تفسير نور الثقلين ج 1 ص 73 و تفسير الميزان ج 12 ص 230 و ج 17 ص 70 و ج 19 ص 47 و أحكام القرآن للجصاص ج 2 ص 507 و ج 3 ص 188 و مفردات غريب القرآن للراغب ص 263 و 521 و الجامع لأحكام القرآن ج 2 ص 87 و ج 6 ص 140 و ج 19 ص 99 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 572 و ج 4 ص 365 و البرهان للزركشى ج 2 ص 144 و الدر المنثور ج 5 ص 260 و ج 6 ص 201 و تفسير الثعالبى ج 3 ص 201 و الفصول فى الأصول للجصاص ج 3 ص 198 و أصول للسرخسى ج 1 ص 114 و 381 و التعديل و التجريح ج 1 ص 13 و 45 و تاريخ مدينه دمشق ج 43 ص 544 و الإستغاثه ج 1 ص 20 و النصائح الكافيه ص 120 و النهايه فى غريب الحديث ج 1 ص 106 و لسان العرب ج 8 ص 6 و مجمع البحرين ج 1 ص 164 و تاج العروس ج 5 ص 271.

و قال تعالى فى إشاره إلى ذلک: وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ (1).

تجديد العهد، و زياده المده:

و قد كان طلب أبى سفيان من النبى (صلى اللّه عليه و آله) تجديد عهد الحديبيه، و الزياده فى المده، هو الخدعه التى أعدها هذا الرجل، و من ورائه قريش، للتملص و التخلص من تبعات الجريمه التى ارتكبوها فى حق صبيان و نساء و ضعفاء خزاعه ..

و ذلک بتقدير: أن يكون ذلک الطلب يشير إلى الرغبه فى تأكيد العهد، و من تكون لديه هذه الرغبه، فلا يعقل أن يكون قد نقض ما يسعى إلى تقويته!!

و يعزز ذلک و يقويه: طلب الزياده فى المده، لأن ذلک يبعّد احتمال نقض العهد أيضا. فإن ناقض العهد لا يعترف بوجوده، و قريش تعترف بالعهد، و ببقائه، بل هى ترغب فى إطاله أمده ..

و هذا كله يدخل فى سياق الإيحاء ببراءه قريش مما جرى لخزاعه. و هو أحد مظاهر جحود ما ظهر من نقضها للعهد، بالمشاركه فى العدوان على خزاعه.

و هو عين الرأى الذى طرحه أبو سفيان، و استبشرت به قريش، حينما ائتمروا فيما بينهم حول كيفيه الرد على الخيارات التى عرضها النبى (صلى

1- الآيه 13 من سوره العنكبوت.

اللّه عليه و آله) عليهم ..

و قد كان لا بد من رد أبى سفيان خائبا ليفهم: أن أساليب المكر و الإحتيال لا تجدى فى إماته الحق، و إحياء الباطل. و هذا ما جرى له فعلا.

أساليب استخبار اتيه فاشله:

و حين التقى أبو سفيان ببديل بن ورقاء و صحبه، و ظن أنهم راجعون من المدينه، بادر إلى التعامل وفق سجيته الماكره، التى تظهر الود و الصفاء، و تبطن الخبث و الحقد و البغضاء، فبادر إلى طرح السؤال عن أخبار المدينه على بديل، و كأن عودته منها أمر مفروغ عنه ..

فلما أنكر بديل أن يكون له علم بشى ء منها بادر بطرح سؤال آخر أكثر صراحه من سابقه، على أمل أن تأخذهم المفاجأه، و تهيمن عليهم هزه مشاعريه تستثير أريحيه الكرم فيهم، فيبادرون إلى الإجابه بكلمه نعم، رغبه منهم فى البذل و العطاء. و اكتساب الحمد و الثناء.

فسألهم إن كان لديهم شى ء من تمر يثرب يطعمونه إياه. و لكنه وجدهم أيضا متيقظين لحيلته، راصدين لحركته. حين أجابوه بالنفى ..

فاضطر إلى الجهر بنواياه، و الكشف عن خفاياه و خباياه، فقال لبديل:

هل جئت محمدا الخ ..

و جاءه الجواب بالنفى أيضا، مصحوبا بتبرير معقول و مقبول، لا سبيل إلى رده، و لا مجال للمناقشه فيه ..

فلم يكن أمامه خيار سوى السكوت، و انتظر أبعار إبلهم ليتفحّصها بعد رحيلهم، ليستدل منها على ما يريد .. فوجد فيها بعض ما يشى بصدق

ما كان يخشاه ..

و لكن ذلک أيضا يبقى غير كاف لحسم الأمور لديه، لإمكان التأويل و التفسير، و التوجيه و التبرير. فباء بذلّ الخيبه، و ذاق مراره الفشل الذى سيكون له ما بعده، من خيبات تتلاحق، و فشل يتوالى ..

أبو سفيان فى المدينه:

و إن ما واجهه أبو سفيان فى المدينه كان غايه فى الروعه، فقد ذاق طعم الذل و الخزى مره بعد أخرى، و تجرع مراره الخيبه و الفشل كرّات و مرّات لم يعرف لها مثيلا فى حياته كلها .. و قد تجلى هذا الذل فى مظاهر مختلفه، نذكر منها:

1- أنه قد بدأ فيما ظن أنه أهونها عليه .. ألا و هو أن يوسّط ابنته لدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و كأنه يريد أن يستفيد من العنصر النسوى، و النسبى، و العاطفى، و التأثير الأنثوى، على قرار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ظنا منه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) كغيره من أهل الدنيا، الذين يمارسون العمل فى الصالح العام بعد وضعه فى بوتقه المصالح الشخصيه، و صهره و استخلاص نتائجه لحساب الفرد و شهواته و أهوائه، و من يلوذ به من قريب أو عشير ..

مع أن الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) قد قدم لهم الدليل تلو الدليل على أنه يضحي بالنفس و بالمال و الولد، و بكل شى ء فى سبيل الصالح العام، و بتعبير أدق: فى سبيل اللّه، و المستضعفين.

و لعل أبا سفيان حين لجأ إلى ابنته قد ظن أيضا: أن ظهور ضعفه لديها،

سوف يغنيه عما بعده من مواقف ذليله، اختار هو وضع نفسه فيها ..

كما أنه سيكون قادرا بعد ذلک على لملمه ما انتشر من هيبته، و الظهور على الناس من جديد بورقه التين، التى قد تستر شيئا من عيوبه و قبائحه، و تغطى على بعض ما هو مشين و مهين من واقعه.

و لكنه لم يجد لدى ابنته ما يشجعه على طرح الموضوع معها، لأن الظاهر هو أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان قد أعطى تعليماته بهذا الخصوص كما أظهره قوله السابق و هو يخبر بالغيب عن أبى سفيان (و هو راجع بسخطه)، فالحدود كانت قد وضعت، و الثغرات ضبطت، و الصلاحيات حددت .. فلم يبق مجال لأحد أن يفكر فى اختراقها ..

و لو أن أحدا سولت له نفسه أن يفعل ذلک، فسوف ينال جزاءه العادل الذى حددته الشريعه، و بيّنه لهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

2- ثم جرب حظه مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) مباشره، فطلب منه أن يجدد العهد و يزيد فى المده، و كان المبرر الذى ساقه لطلبه هذا هو: أنه لم يكن حاضرا فى صلح الحديبيه ..

و كأنه يريد بهذا الطلب و بذلک التبرير أن يمرر لعبته على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. و إلا، فإن غيبته عن الحديبيه لا توجب أى وهن أو ضعف فى العهد ليحتاج إلى التقويه و التوثيق ما دام أن الوقائع طيله السنوات التى مرت على عقد الهدنه قد أثبتت التزام النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالعهد، و استمر جميع أهل مكه على الالتزام بمراعاته، و تنفيذ بنوده.

و إنما يحتاج العهد إلى التقويه و التجديد فيما لو تعرض للنقض و التمرد على أحكامه، و رفض إجرائها ..

و هذا ما ينكره أبو سفيان، بل هو لا يجرؤ على الاعتراف بشى ء مما يدخل فى هذا السياق ..

و لذلک سأله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إن كان قد حدث فى مكه ما يوجب وهن العهد، أو نقضه، فأنكر أبو سفيان أن يكون قد حصل شى ء من ذلک.

فأسقط رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حجته، و وضعه أمام خيارين كل منهما صعب:

أحدهما: أن يعترف بما جرى لخزاعه، و هذا معناه: الدخول فيما أراد أن يهرب منه، حيث لا بد من أن يرضى بتحمل جميع تبعات ما جرى، و يضطر إلى إعطاء الديات و الرضى بقصاص المجرم و غير ذلک.

ثانيهما: أن يظهر للناس بصوره الرجل التافه، أو الجاهل، أو المبتلى بالخرف أو ما شاكل .. و قد أصر على رفض الخيار الأول و لم يفلح فى التملص من تبعات الخيار الثانى ..

خيار الهروب إلى الأمام:

فكانت النتيجه التى انتهى إليها هى اللجوء إلى خيار ثالث ظن أنه يبلغه إلى ما يريد، ألا و هو أن يطلب من بعض أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يجير بين الناس ..

و بذلک يكون قد حصل على ما يحسم الأمر فيما يرتبط بما فعله بنو نفاثه و قريش ببنى خزاعه، لأنه سيصبح قادرا على ادّعاء أن هذه أمور شخصيه، ليس فيها أى نقض للعهد ..

و الأمور الشخصيه يحكم بها عقلاء القوم و يحسم الأمر فيها نفس أصحاب العلاقه بما هم أفراد. و الجوار يحفظ هؤلاء الأفراد و يحميهم من الانتقام ..

و بذلک يكون قد أخرج قريشا من دائره الصراع، و نفى أيه مسؤوليه لها فيه، و أبعد النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن أن يكون له الحق بالمطالبه بديات أو بقصاص، ما دام أن المسأله فرديه، و لا شى ء أكثر من ذلک.

و بذلک يكون قد أخرج النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و اضطره إلى إمضاء هذا الجوار، فإذا ظهر أن أحدا قد ارتكب جرما، فإن الجوار الذى شمله سوف يمنع من إجراء أى حكم عليه ..

و لو أريد فعل شى ء من ذلک؛ فإن إقناع الناس بأن هذا مما لا تصح الإجاره منه سيكون صعبا، و سيحدث بلبله كبيره، و يسى ء إلى الذهنيه العامه، و ربما يحدث إرباكا ضارا، و يترک آثارا سلبيه لا مجال لتلافيها ..

على أن هذا الموقف من شأنه أن يظهر أبا سفيان على أنه رجل سلام، يريد حقن الدماء، و يملک مشاعر إنسانيه، و من لا يستجيب لطلبه هذا فإنه يكون متهما فى ذلک كله.

فطلب من أبى بكر أن يجير بين الناس، و كذلک من عمر، و من عثمان و من سعد بن عباده، و على (عليه السلام)، و أشراف المهاجرين و الأنصار.

و كان يسمع منهم جميعا رفضا لهذا الأمر أكيدا، و شديدا.

فتوسل بالزهراء (عليها السلام)، ثم توسل بالسبطين الحسن و الحسين (صلوات اللّه و سلامه عليهما)، فلم يجده هذا التوسل نفعا، بل كان الجواب دائما هو الرفض الأكيد، و الشديد ..

التدبير الصارم:

و نحن لا نشک فی أن رفض جمیع هؤلاء الذین سبقت أسماؤهم إنما هو بسبب أن الجمیع کان قد عرف حدّه، و ألزمه الشرع بالوقوف عنده، أو لم یترک له أی سبیل یستطیع أن ینفذ منه.

و قد ظهر ذلک من إخبار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لهم بالغیب الإلهی: بأن أبا سفیان سیرجع بسخطه، فلم یعد أحد لیجرؤ علی قبول شی ء یأتیه به أبو سفیان، لأنه یعرف أن الوحی سوف یفضح أمره، و أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لن یقبل بأی شی ء یطلبه أبو سفیان .. ما دام أن هذا القبول سیکون ضد القرار الإلهی بإرجاع أبی سفیان ساخطا ..

فلم یعد الإصرار یشبه أبدا ما جری فی غزوه بدر من تطاول علی مقام النبوه، و من سعی لانتهاک حرمه الحکم الشرعی الإلهی فی أمر الأسری ..

و کذلک ما جری فی أحد و فی سواها من مواقف و تحرکات تدخل فی هذا السیاق، فإن الأمور قد جرت فی سیاق استطاع أن یفضح هؤلاء فی مواقفهم.

و رأی الناس بأم أعینهم فی أکثر من مناسبه عدم صحه ما یدّعیه هؤلاء الناس لأنفسهم من شجاعه و إخلاص و التزام .. و قد تجلی ذلک بصوره واضحه و فاضحه فی الخندق، و خیبر، و قریظه و غیر ذلک ..

و قد عولجت تصرفات و تحرکات هؤلاء الناس بصوره استطاعت أن تزید من فضیحتهم، و ظهور خطل رأیهم، و حقیقه ما یسعون إلیه ..

مواقف مزعومه، بل موهومه:

و قد زعمت النصوص المتقدمه: أن أبا بكر قد قال لأبى سفيان: و اللّه، لو أن الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ..

و أن عمر بن الخطاب قال: أنا أشفع لكم عند رسول اللّه؟! فو اللّه لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، و ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه اللّه، و ما كان منه متينا فقطعه اللّه، و ما كان منه موصولا فلا وصله اللّه.

فقال أبو سفيان: جوزيت من ذى رحم شرا.

و نحن نشک فى صحه هذه المزاعم:

أولا: ليس فى كلام أبى سفيان ما يشير إلى أنه يطلب شفاعته عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فما معنى قول عمر له: (أنا أشفع لكم عند رسول اللّه)؟!

ثانيا: لم يصرح أبو سفيان بأن الشفاعه كانت لهم فلعله يقصد الجوار لمن يتقاتلون فيما بينهم من العرب، فإن دخولهم فى جوار المسلمين يمنع الطرف المعتدى من مواصله عدوانه.

ثالثا: قد تقدم: أن أبا سفيان يعبر عن عمر (كما ورد فى بعض النصوص دون بعضها الآخر): أنه أدنى العدو، و هى كلمه تشير إلى أن عمر كان أقرب إلى قريش من سائر صحابه النبى (صلى اللّه عليه و آله) ..

رابعا: إن ما نعرفه عن هذين الرجلين هو سعيهما فى المواقع الحساسه إلى التخفيف من الوطأه على قريش، و حفظ موقعيتها.

كما أن قريشا كانت تهتم بسلامتهما قدر الإمكان.

فلا حظ ما یلی:

1- فی بدر یستشیر النبی (صلی اللّه علیه و آله) أصحابه فی أمر الحرب، فیقول أبو بکر کلاما من شأنه أن یضعف عزائم المسلمین: (إنها قریش و خیلاؤها، ما آمنت منذ کفرت، و ما ذلت منذ عزت) أو نحو ذلک.

و کذلک قال عمر بن الخطاب (1).

2- و سیأتی أنه حاول منع النبی (صلی اللّه علیه و آله) من غزو مکه، و قال: (قلت: یا رسول اللّه، هم قومک، حتی رأیت أنه سیطیعنی) (2).

3- و فی حرب أحد: ضرب ضرار بن الخطاب الفهری عمر بن الخطاب بالقناه حین هزم المسلمون، و قال له: یا ابن الخطاب إنها نعمه

1- راجع: البحار ج 19 ص 217 و 274 و المغازی للواقدی ج 1 ص 48 و السیره الحلبیه ج 2 ص 105 و الدر المنثور ج 3 ص 166 عن دلائل النبوه للبیهقی، و تفسیر القمی ج 1 ص 258 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 112 و عن عیون الأثر ج 1 ص 327 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 26 و صحیح مسلم کتاب الجهاد و السیر، باب غزوه بدر ج 5 ص 170 و (ط أخری) ج 3 ص 1403، و مسند أحمد ج 3 ص 219 بطریقین، و عن الجمع بین الصحیحین، و البدایه و النهایه ج 3 ص 263، و السیره النبویه لابن کثیر ج 2 ص 394 و تفسیر أبی حمزه الثمالی ص 181 و تفسیر مجمع البیان (ط مؤسسه الأعلمی) ج 4 ص 432 و التفسیر الصافی ج 2 ص 274 و التفسیر الأصفی ج 1 ص 425 و تفسیر نور الثقلین ج 2 ص 124 و تفسیر المیزان ج 9 ص 25 و موسوعه التاریخ الإسلامی ج 2 ص 118.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 208 و عن المصنف لابن أبی شیبه ج 14 ص 506 و (ط دار الفکر) ج 8 ص 542 و کنز العمال (ط مؤسسه الرساله) ج 10 ص 529 و (ط دار الفکر) ج 1 ص 2104 و جامع الأحادیث و المراسیل ج 21 ص 423.

مشكوره، ما كنت لأقتلک (1).

فما هذا الغزل الظاهر بين ضرار و عمر؟!

و قد ذكر ابن سلام: أن هذه كانت يدا له عند عمر يكافئه عليها حين استخلف (2).

4- سعى أبى بكر لتخليص أسرى بدر من القتل، رغم إصرار النبى (صلى اللّه عليه و آله) على قتلهم، حتى لقد نزلت الآيات فى ذلک.

و هو أمر لا بد من أن تشكره عليه قريش مدى الحياه (3).

قال الواقدى عن الأسرى: إنهم قالوا: لو بعثنا لأبى بكر، فإنه أوصل قريش لأرحامنا، و لا نعلم أحدا آثر عند محمد منه. فبعثوا إلى أبى بكر، فأتاهم، فكلموه.

فقال: نعم، إن شاء اللّه، لا آلوكم خيرا.

و انصرف إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و جعل يلينه، و يفثؤه، و يقول: يا رسول اللّه، بأبى أنت و أمى، قومک فيهم الآباء و الأبناء،

1- المغازى للواقدى ج 1 ص 282 و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 274 و ج 15 ص 20 عنه، و عن ابن إسحاق، و البلاذرى، و طبقات الشعراء لابن سلام ص 63 و راجع: البدايه و النهايه ج 3 ص 107 عن ابن هشام، و البحار ج 20 ص 135 و 138 و مناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيروانى ص 332 و شرح النهج للمعتزلى ج 14 ص 274 و ج 15 ص 20 و تاريخ مدينه دمشق ج 24 ص 393 و 397 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 2 ص 500 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 2 ص 628.
2- طبقات الشعراء لابن سلام ص 63.
3- مصادر ذلک كثيره، فراجع هذا الكتاب: غزوه بدر، فصل الغنائم و الأسرى.

و العمومه، و الإخوان و بنو العم، و أبعدهم عنک قریب فامنن علیهم، منّ اللّه علیک، أو فادهم یستنقذهم اللّه بک من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوه للمسلمین، فلعل اللّه یقبل بقلوبهم إلیک ..

ثم قام فتنحی ناحیه، و لم یجب رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، ثم عاد إلیه، فقال له مثل مقالته الأولی، و قال أیضا: لا تکن أول من یستأصلهم، یهدیهم اللّه خیر من أن تهلکهم. فسکت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و تنحی أبو بکر ناحیه، ثم عاد إلیه، فأعاد علیه نفس الکلام (1).

5- ما معنی: أن یهنئ أبو سفیان عمر بن الخطاب بانتصار المشرکین فی أحد، و یقول له: أنعمت عینا، قتلی بقتلی بدر (2).

و ما معنی قول أبی سفیان لعمر آنئذ: إنها قد أنعمت یا ابن الخطاب، فیقول عمر: إنها (3).

6- إن خالد بن الولید رأی عمر بن الخطاب فی أحد، و کان خالد فی کتیبه خشناء، فما عرف عمر أحد غیره، قال خالد: فنکبت عنه، و خشیت

1- راجع: المغازی ج 1 ص 107- 109 و شرح النهج للمعتزلی ج 14 ص 173 و 174 و إمتاع الأسماع للمقریزی ج 9 ص 244.
2- المصنف للصنعانی ج 5 ص 366 و تفسیر القرآن للصنعانی ج 1 ص 136 و إمتاع الأسماع للمقریزی ج 1 ص 171.
3- تفسیر القرآن العظیم ج 1 ص 412 و الأوائل لأبی هلال العسکری ج 1 ص 184 و 185 و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 31 و إمتاع الأسماع للمقریزی ج 1 ص 171.

إن أغريت به من معى أن يصمدوا له، فنظرت إليه موجها إلى الشعب (1).

7- إن عمر قد أخبر أبا سفيان: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يزال على قيد الحياه، رغم أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد نهى عن ذلک. فقال أبو سفيان لعمر: أنت أصدق عندى من ابن قميئه و أبر (2).

فلماذا كان عمر أبرّ بأبى سفيان من ابن قميئه، مع أن عمر كان فى صفوف المحاربين له، و ابن قميئه كان يحارب معه، و تحت لوائه؟!

و فى مقام وضع اللمسات الأخيره على حقيقه موقف هذين الرجلين، نقول:

قد يكون مما يثير الشبهه أيضا: توافق أبى بكر و عمر فى حديثهما عن الذر المقاتل للمشركين، و العنف الذى أظهراه فى خصوص هذه الواقعه، فى حين اكتفى كل من عداهما، و منهم فاطمه و على (عليهما السلام) بالرد بالقول: بأن جوارهم جوار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، أو أنه لا يجير على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أحد ..

مع أننا لا نشاهد لدى هذين الرجلين طيله حياتهما مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أى نشاط قتالى مميز، أو أى أثر لنكايه كانت لهما فى

1- المغازى للواقدى ج 1 ص 297 و شرح النهج للمعتزلى ج 15 ص 23.
2- تاريخ الخميس ج 1 ص 440 و وفاء الوفاء ج 1 ص 294 و السيره الحلبيه ج 1 ص 244 و 245 و سيره ابن إسحاق ج 3 ص 309 و تاريخ الأمم و الملوک (ط الإستقامه) ج 2 ص 205 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 160 و الثقات ج 1 ص 232 و راجع: شرح الأخبار ج 1 ص 280 تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 414 و 415.

المشركين. رغم حضورهما جميع المشاهد معه (صلى اللّه عليه و آله).

بل ظهر منهما الكثير من موارد الضعف، و الوهن، و قد فرا فى مواطن كثيره، مثل أحد، و قريظه، و خيبر، و حنين. و ذات السلاسل و غير ذلک.

و قعدا عن مبارزه الأبطال مثل عمرو بن عبدود، و مرحب.

جوارى جوار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و تقدم: أن أبا سفيان أصرّ على الحصول على جوار من أحد صحابه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. و أجابه المسلمون بأن أحدا لا يجير على النبى (صلى اللّه عليه و آله)، أو أن جوارهم جوار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و هذا يدل على أنهم فهموا: أن مطلوب أبى سفيان هو الجوار الملزم لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و المقيد لحركته، فهو المستهدف بهذا الجوار، و المطلوب هو منعه به عن إجراء مقاصده حين يقتضى الأمر ذلک ..

و ذلک يشير إلى مدى وقاحه هذا الرجل، و قله حيائه و رعونته، حتى لقد أحرج بهذا الأمر أولئک الذين عملوا على منع القتل عن أسرى بدر حسبما قدمناه، فما ظنه أبو سفيان أكسير الغلبه ظهر له أنه هو إكسير الهزيمه و الخذلان، و الخزى و الخسران ..

و قد اكد للناس سوء نوايا أبى سفيان فى طلبه هذا أمران:

أحدهما: أنه حيث أجيب بتلک الأجوبه لم يبادر إلى توضيح مراده لأحد كان هناک، و لم يقل لهم أنهم قد أخطأوا فى فهم مقصوده.

الثانى: أنه لو كان يقصد حقن دماء الناس حقيقه لكان قد طلب من

النبی (صلی اللّه علیه و آله) نفسه أن یجعل الناس فی جواره، فإن ذلک یکفی لمنع المعتدین من مواصله عدوانهم. فلماذا یدعو الآخرین لیجیروا الناس من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)؟! أ لیس لأجل أنهم اقترفوا ما یستحقون به العقوبه منه (صلی اللّه علیه و آله) و یرید ان یخرجهم من و رطتهم تلک بهذه الطریقه؟! و إذا صح هذا الأمر فلماذا لا یعترف لنا بهویه المجرم و بحقیقه جرمه؟

ثم إنه إذا کان یعتقد: أن الجوار علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یعطی من یفعل ذلک و جاهه و عظمه، کما هو الحال عند سائر الناس، فهو فی وهم کبیر، لأن هذا الأمر لا یجری فیما بین الأنبیاء (علیهم السلام)، و بین المؤمنین، لأنه یستبطن الإعلان عن وجود خلل إیمانی لدی من یفعل ذلک، من حیث إنه یخطّئ نبیه فی تصرفاته، و یراه ظالما فی موقفه ممن یجیره منه، أو یری أن ذلک النبی یعمل عملا مرجوحا، و یترک ما ینسجم مع العفو و الکرم، و حسن الشیم، و مع النبل و الشمم ..

و لأجل هذا أو ذاک یبادر إلی الحد من قدرته علی التصرف، و محاصره قراراته، لیمنعه من الغلط و الشطط ..

و هذا الأمر مرفوض من الناحیه الإیمانیه، لأنه تشکیک بالعصمه، أو اتهام للنبی (صلی اللّه علیه و آله) فی میزاته و صفاته، و أنها لا تصل إلی حد الکمال.

و لو کان أبو سفیان یفهم معنی الإیمان، و یدرک ما له من تبعات و آثار و مسؤولیات لما أقدم علی هذا الأمر المشین و المهین ..

هل تجير الزهراء عليها السلام؟!:

و لم يكن أبو سفيان يرى للسيده الزهراء (عليها السلام) ما يميزها عن غيرها أكثر من كونها امرأه كسائر النساء، و لم يكن يرى لجوار النساء قيمه و أثرا .. و لكنه حين سدت فى وجهه المذاهب لجأ إليها على أمل أن تستجيب لطلبه بسبب ما توهمه منها من غفله عما يتنبه له الرجال المتمرسون، و الدهاه المجربون، أو لعدم قدرتها- بزعمه- على إدراک الأمور و تقديرها بسبب قله معرفتها بالسياسات، و بأعراف الناس.

فإذا استجابت لطلبه، فإنها سوف تحرج أباها، و قد يوافق على طلبها من وجهه نظر عاطفيه، بسبب موقعها منه (صلى اللّه عليه و آله) من ناحيه النسب، و من ناحيه المكانه و الكرامه ..

و قد فوجئ برفضها القائم على أساس البرهان، حيث قالت له: (إنما أنا امرأه). أى: و لا يحق للمرأه أن تتصدى لأمر كهذا بزعمک فلماذا تريد أن تدفعنى إلى أمر لا تؤمن أنت به؟!

قد أجارت أختک:

و لكن أبا سفيان يستدرک الأمر، و يقدم تبريرا لتصرفه هذا حين احتج عليها بإجاره زينب لزوجها أبى العاص بن الربيع، و قد قبل (صلى اللّه عليه و آله) ذلک منها.

فجاءه جواب الزهراء المعصومه (عليها السلام) ليفند قوله، و يؤكد له أنها (عليها السلام) تدرک الفرق بين ما فعلته زينب، و بين هذا الذى يطلبه هو منها، فقالت كلمه واحده، كانت حاسمه و نهائيه و هى: إنما ذاک إلى

رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

إنها تريد أن تقول: إن زينب حين أجارت أبا العاص بن الربيع، فإنما أرادت أن تمنع الناس من التعرض لأبى العاص، إلى أن يبت النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى أمره، و يصدر عليه حكمه. و لم ترد أن تمنع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من إجراء حكم اللّه تعالى فى حقه.

و هذا بالذات هو نفس ما فعلته أم هانى حين أجارت بعض من أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمهم، و لم تكن تعلم بذلک. كما أنها لم تعرف أن الذى يريد تنفيذ أمر النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو أخوها على (عليه السلام).

فأرادت حفظ نفس أولئک الأشخاص من سائر أفراد الجيش إلى أن يرى فيهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) رأيه، و يصدر عليهم حكمه كما سيأتى.

أما أبو سفيان فيريد منها أن تجير الناس، ليمنع بذلک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من مجازاه المعتدى، و لتطلّ بذلک دماء الأبرياء من صبيان و نساء، و ضعفاء خزاعه .. و شتان ما بين الأمرين.

أخت الزهراء عليها السلام:

و علينا أن لا ننسى: أن تعبير أبى سفيان عن زينب: بأنها أخت الزهراء (عليها السلام) إنما جاء وفق ما كان متداولا بين الناس، من التعبير عمن تنشأ فى بيت كافلها بعد أن مات ابوها الحقيقى، فإنها تنسب إلى ذلک الكافل بعبارات البنوه، و تضاف إلى أبنائه بتعابير الأخوه .. حيث يكون المقصود هو البنوه بالتربيه، و كذلک الأخوه.

مری ابنک:

و لعل ما ذكرناه آنفا حول طلب أبى سفيان من فاطمه (عليها السلام) أن تجير بين الناس، يغنى عن التعليق على طلب أبى سفيان منها (عليها السلام) أن تأمر ابنها الحسن (عليه السلام)، الذى كان بعمر الخمس سنوات، أن يجير بين الناس، فإن الكلام هنا هو نفسه الكلام هناک.

غير أننا نقول: إن علينا أن نضيف هنا ما يلى:

أولا: إن أبا سفيان يغرى فاطمه بالإقدام على هذا الأمر بمنطق أن ذلک يجعل ولدها سيد العرب إلى آخر الدهر.

نعم، و هذا هو منطق أهل الدنيا، الذين يقيسون الأمور بمقاييس السمعه، و الشهره، و السياده، و المال، و الجاه، و ما إلى ذلک ..

و ذلک هو منطق أبى سفيان، لأنه من أهل الدنيا. و أما منطق العقل و الدين، و الشرع، و رضا اللّه تعالى و القيم الإنسانيه، و المشاعر النبيله، و المبادئ و الخصال الحميده، و نحوها. فهو الذى تلتزم به فاطمه (عليها السلام)، و تؤمن به، و تنطلق فى مواقفها منه. لأنها من أهل الدين و الشرع، و القيم الإنسانيه، و العقل و الأخلاق الفاضله، و المزايا النبيله ..

ثانيا: إن الإمام الحسن (عليه السلام) كان كبيرا فى نفسه وفق مقاييس أهل العقل و الحكمه و الإيمان، و قد بايعه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى بيعه الرضوان، و أشهده على كتاب ثقيف، و أخرجه يوم المباهله بأمر من اللّه، و جعله شريكا فى الدعوه، و يتحمل مسؤوليه إثباتها .. و غير ذلک ..

و لكن هذه لم تكن نظره أبى سفيان إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، بل هو ينظر إليه على أنه طفل كسائر أطفال الناس، و يريد أن يستفيد منه

كوسيله يصل من خلالها إلى مآربه، فيحرج به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يثير الشبهات و الإشكالات حول صحه و سلامه ما يتخذه (صلى اللّه عليه و آله) من مواقف ..

و لأجل ذلک خاطبته الزهراء (عليها السلام) بما ينسجم مع نظرته هذه، و قالت له: ما بلغ ابنى أن يجير بين الناس.

ثم تقدمت خطوه أخرى فى بيانها، لتاكيد بطلان منطق أبى سفيان فقالت: (ما يدرى ابناى ما يجيران من قريش).

فإن هذه الكلمه أيضا قد صدرت وفق منطق أبى سفيان الذى يعتبر الحسنين (عليهما السلام) مجرد طفلين صغيرين، لا يحملان فى نفسيهما أيه ميزه على غيرهما.

فهما فى نظره لا يملكان من التعقل ما يكفى لإدراک معنى ما يتفوهان به، فهما إذن غير قادرين على إدراک معانى الكلمات، فضلا عن أن يقصدا معانيها، ليصبح لتلک المعانى تحقق فى مقام التخاطب، يصلح لترتيب الآثار عليه، و المطالبه به، و الإشاره إليه. فهو من قبيل القضيه السالبه بانتفاء موضوعها.

هما صبيان:

قال الحلبى: (قول فاطمه فى حق ابنيها: إنهما صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا، من أن شرط من يؤمّن أن يكون مكلفا.

و أما قولها: و إنما أنا امرأه، فلا يوافق عليه أئمتنا، من أن للمرأه و العبد أن يؤمّنا؛ لأن شرط المؤمّن عند أئمتنا أن يكون مسلما، مكلفا، مختارا. و قد

أمّنت زينب بنت النبى (صلى اللّه عليه و آله) زوجها أبا العاص ابن الربيع، و قال (صلى اللّه عليه و آله): قد أجرنا من أجرت.

و قال: المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أدناهم ..).

إلى أن قال: (إن أم هانى أجارت، و إنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لها:

أجرنا من أجرت يا أم هانى.

لكن سيأتى: أن هذا كان تأكيدا للأمان الذى وقع منه (صلى اللّه عليه و آله) لأهل مكه، لا أمان مبتدأ) (1).

و نقول:

أولا: إننا نعتقد: أن جواب الزهراء (عليها السلام) الذى يشير إلى أن الحسنين (عليهما السلام) لا يجيران، و بالنسبه لنفسها أيضا، قد جاء على سبيل الجرى على ما كان يراه أبو سفيان، و من هم على شاكلته، فإنه إذا كان يرى: أن المرأه لا جوار لها، و يرى: أن الحسنين (عليهما السلام) كانا صبيين لا يجوز جوار هما عنده، فلماذا يريد من هذه المرأه، و من ذلک الصبى أن يجير بين الناس؟!

ثانيا: إن للجوار مسؤولياته و تبعاته، لأن المجير يتكفل بمن يجير، و يتحمل أعباء و تبعات ما صدر منه .. و لم يكن ذلک ممكنا بالنسبه لفاطمه و الحسنين (عليهم السلام)، فهناک قتلى و تعديات و ظلم و قهر.

و قريش تنكر ذلک و تجحده، و تمتنع عن الالتزام بأدنى شروط الجوار .. لأنها ترفض تحمل ديات المقتولين، أو البراءه من حلف من تعدى و نقض العهد ..

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 73.

فما معنى: أن تتحمل فاطمه و الحسنان (عليهم السلام) هذه الديات عن أولئک المجرمين؟!

و ما معنى: حفظ مرتكب الجريمه، و صيانته عن التعرض للجزاء و القصاص العادل؟!

ثالثا: إن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد قبل من الحسنين (عليهما السلام) البيعه فى الحديبيه (1)، و قد كان سنهما لا يتجاوز السنتين أو الثلاث ..

و أشهد هما على كتاب ثقيف (2).

قريش فى مأزق:

و قد بينت عباره السيده الصديقه فاطمه الزهراء (عليها السلام): (ما يدرى ابناى ما يجيران فى قريش): أن أبا سفيان يتستر على امر كان معروفا لدى الناس .. و هو أن قريشا فى مأزق، و يريد بهذا الجوار إخراجها منه. و إن استخدامه عبارات غائمه و عامه، لا يجدى فى تعميه الأمور ..

1- الإحتجاج ج 2 ص 245 و البحار ج 50 ص 78 عنه، و الإرشاد للمفيد ص 363 و تفسير القمى ج 1 ص 184 و 185 و ينابيع الموده ص 375 و ترجمه الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودى) ص 150 و المعجم الكبير للطبرانى و حياه الصحابه ج 1 ص 250 و مجمع الزوائد ج 6 ص 40 و العقد الفريد ج 4 ص 384.
2- الأموال لأبى عبيد ص 289 و 290 و راجع: التراتيب الإداريه ج 1 ص 274 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ص 284 و مكاتيب الرسول ج 3 ص 58 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 373.

فالمطلوب هو تحصيل جوار لفئه من قريش ترى نفسها فى دائره الخطر، و لكن أبا سفيان يحاول أن يتذاكى عليهم، فيطلق كلامه على شكل عمومات، فيطلب من هذا أو ذاک أن يجير بين الناس. و هذه الكلمه تنطبق على القرشى و على غيره ..

كلمى عليا:

و نستطيع أن نلمح فى طلب أبى سفيان من السيده الصديقه الطاهره المعصومه فاطمه الزهراء (عليها السلام) أن تكلم عليا صلوات اللّه و سلامه عليه فى أمر الجوار: أن أبا سفيان كان يحسب لعلى (عليه السلام) حسابا خاصا به .. فهو يقترب فى طريقه تعامله معه من طريقه تعامله مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

فكما حاول أن يستفيد من موقع أم حبيبه زوجه الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، حاول أيضا أن يستفيد من موقع فاطمه لدى على (عليهما السلام) فطلب منها أن تكلم هى عليا ..

و لكنها رفضت طلبه، لأنه لو كان يرى أن طلبه طلب حق، أو كان فيه أى أثر للرجحان، لبادر إلى مطالبه على (عليه السلام) بل و النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالعمل بهذا الحق، و الأمر الراجح.

و لكنه أراد أن يحصل على ما يريد بأساليب الضغط العاطفى، أو من خلال المراعاه لدواعى النسب، و فى غير ذلک من أمور تقع خارج دائره الإنصاف، و الحكمه، و التعقل، و رعايه الصالح العام، و العمل بما يرضى اللّه تبارک و تعالى، بل هى خارج دائره الإلتزام بالمعانى الإنسانيه و الأخلاقيه أيضا ..

سید کنانه !! یطلب النصیحه !!:

و أول طلب وضعه أمام الإمام علی (علیه السلام) هو النصیحه منه.

و لا شک فی أن هذا الطلب من أبی سفیان غریب و عجیب، لا لأن علیا (علیه السلام) یبخل بالنصیحه علی أی کان من الناس .. فحاشا علیا (علیه السلام) أن یبخل بأمر کهذا ..

بل لأن هذا الرجل لا یرید النصیحه بالحق، بل یرید النصیحه التی تعزز و تقوی، و تنتج تضییعا للحق، و تزویرا للحقیقه، و ظلما آخر لأولئک الأبریاء من خزاعه، و الذین کان أکثرهم من الصبیان، و النساء، و الضعفاء.

و تقویه و نصرا لظالمهم، و مرتکب الجریمه البشعه و الفظیعه بحقهم.

و الغریب فی الأمر: أن یطلب أبو سفیان هذه النصیحه التی هی بهذه المثابه من نفس ذلک المعنی بالحفاظ علی حقوق الناس، و یفترض فیه أن ینصر المظلوم، و أن یأخذ بحقه من ظالمه !!

و کانت نصیحه علی (علیه السلام) تقضی: بحمله عن الکف عن هذا السعی الظالم، و القائم علی الخدیعه و المکر حتی لنبی اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و تتلخص الطریقه التی اعتمدها بتذکیر أبی سفیان بما یعتقده لنفسه، من مکانه فی کنانه کلها، فأقر بأنه هو سید کنانه.

ثم إنه (علیه السلام) ألزمه بمقتضیات هذه السیاده التی یعطیها لنفسه، لو کان صادقا فیما یدّعیه، و منها أن یقبل الناس جواره.

و لکن أبا سفیان کان یعرف أن هذه السیاده التی یدّعیها لیست بهذه المثابه، و لا تکفی لتحقیق الغرض الذی سعی إلیه، و لکنه سأل علیا (علیه

السلام) إن كان ذلک يحقق له ما يريد، فعسى أو لعل!!

فأجابه على (عليه السلام) بما يجلب اليأس و الأسى إلى قلبه، و هو: أنه لا يرى ذلک مغنيا عنه شيئا، و لكنه لا يجد له سبيلا للخروج من حيرته غير ذلک ..

و ربما يكون الهدف من ذلک هو إفهام أبى سفيان أن ما يزعمه لنفسه من موقع و زعامه ليس سوى مجرد خيال، و وهم، و قد تغيرت الأمور، و أصبح للزعامه معايير أخرى، لا بد من مراعاتها، و الإلتزام بمقتضياتها ..

و فهم هذه الحقيقه لا بد من أن يكون مفيدا جدا لأبى سفيان، و سوف يعينه كثيرا على الخروج من أجواء الوهم و الخيال التى وضع نفسه فيها.

قريش تتهم زعيمها:

إن من الواضح: أن المشركين كانوا لا يثقون ببعضهم البعض، لأن دواعى الثقه و موجباتها عندهم مفقوده .. أما مجتمع أهل الإيمان فيعيش الثقه لأن موجباتها متوفره فيه.

فهناک الإيمان باللّه، و الالتزام بشرائعه و أحكامه، التماسا لرضاه، و طمعا فى ثوابه، و خوفا من عقابه.

و هو يملک ثروه ثمينه جدا من المبادئ و القيم التى تحكم مسيره الإنسان، و تهيمن على حركته و على مواقفه فى الحياه. و هناک الفضائل النفسيه، و الكمالات التى يربيها و ينميها اهل الدين فى داخل نفوسهم، و يبنون من خلالها ميزاتهم، و ملكاتهم، التى تطبع شخصياتهم بطابعها ..

و هناک الإلزامات الدينيه الحازمه و الحاسمه، فيما يرتبط بطبيعه تعامل

أهل الإيمان مع بعضهم، و مع الآخرين ..

نعم، إن ذلک کله ينتج درجه عاليه من الاعتماد، و رؤيه واضحه لمسار الأمور، فيما يرتبط بتعهدات الآخرين، و وفائهم بالتزاماتهم، و قيامهم بواجباتهم الدينيه و الأخلاقيه ..

و لکن ذلک کله مفقود فی مجتمع الشرک و الکفر. و تبقی الضمانه لتعهدات الأشخاص عندهم فی مهب رياح المصالح و الأهواء، و محکومه للنزوات و الأهواء و الشهوات و الميول، و لتقلبات الأمزجه الفرديه ..

و لأجل ذلک نلاحظ: أن المشرکين يتهمون حتی زعيمهم أبا سفيان أشد التهمه، لمجرد زياده غيبته عن المده التی يتوقعونها، و يقولون عنه: إنه قد صبأ، و اتبع محمدا سرّا، و کتم إسلامه.

و قد بلغت هذه التهمه من القوه و الشده حدا اضطر معه هذا الزعيم إلی أن يحلق رأسه عند أساف و نائله، و أن يذبح لهما، و جعل يمسح بالدم رؤوسهما (کذا)، و يقول: (لا أفارق عبادتکما، حتی أموت علی ما مات عليه أبی)، إبراء لقريش مما اتهموه به.

ص: 124

الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول

اشاره

استشاره أبی بکر و عمر فی أمر مکه:

عن محمد بن الحنفیه- رحمه اللّه- عن أبی مالک الاشجعی قال: (خرج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من بعض حجره، فجلس عند بابها. و کان إذا جلس وحده لم یاته أحد حتی یدعوه، فقال: (ادع لی أبا بکر).

فجاء، فجلس أبو بکر بین یدیه، فناجاه طویلا، ثم أمره فجلس عن یمینه.

ثم قال: (ادع لی عمر).

فجاء فجلس إلی أبی بکر، فناجاه طویلا، فرفع عمر صوته، فقال: (یا رسول اللّه، هم رأس الکفر، هم الذین زعموا أنک ساحر، و أنک کاهن، و أنک کذاب، و أنک مفتر)، و لم یدع عمر شیئا مما کان أهل مکه یقولونه إلا ذکره.

فأمره أن یجلس إلی الجانب الآخر، فجلس أحدهما عن یمینه و الآخر عن شماله.

ثم دعا الناس، فقال: (ألا أحدثکم بمثل صاحبیکم هذین)؟

فقالوا: نعم یا رسول اللّه.

فأقبل بوجهه إلی أبی بکر، فقال: (إن إبراهیم کان ألین فی اللّه تعالی من

الدهن اللين).

ثم أقبل على عمر، فقال: (إن نوحا كان أشد فى اللّه من الحجر، و إن الأمر أمر عمر، فتجهزوا و تعاونوا).

فتبعوا أبا بكر، فقالوا: يا أبا بكر، إنّا كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاک به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

قال: قال لى: كيف تأمرنى فى غزو مكه؟

قال: قلت: يا رسول اللّه!! هم قومک، حتى رأيت أنه سيطيعنى.

ثم دعا عمر، فقال عمر: هم رأس الكفر، حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه. و أيم اللّه، و أيم اللّه، لا تذل العرب حتى تذل أهل مكه، و قد أمركم بالجهاد ليغزو مكه) (1).

و نقول:

إننا نشک فى هذه الاستشاره، حيث سيأتى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أمر عائشه بتجهيزه، و أن أبا بكر لم يكن يعلم بشى ء، حتى أخبرته ابنته.

و قد اعتذر الحلبى عن ذلک: بأن الاستشاره قد وقعت بعد أمره لعائشه بذلک (2).

و هو اعتذار غير مقبول .. إلا إذا كانت الاستشاره صوريه، تهدف إلى

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 208 عن ابن أبى شيبه، و مسند أحمد ج 3 ص 398 و المصنف لابن أبى شيبه ج 14 ص 506 و السيره الحلبيه ج 3 ص 74.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 74.

تأليف أبى بكر، أو أنه أراد أن يكشف دخيلته للناس.

و قد يؤيد ذلک: ما ذكره من أنه أشار بعدم السير، و قوله: هم قومک (1).

إذ كيف يرى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يتجهز و يأمر بذلک، ثم يشير عليه بخلاف ما عزم عليه، فهل يرى أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يفعل ما يفعل من عند نفسه؟! أم أنه يرى نفسه فوق الوحى، و فوق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

أبو بكر يفشى سرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و مع غض النظر عما تقدم، نقول:

أولا: إن هذه الروايه قد تضمنت إقدام أبى بكر على أمر غير مقبول منه تجاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).. فهو قد أفشى سرّا ائتمنه عليه.

و ذلک لأن الروايه تقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) جلس على انفراد، ثم استدعاه إليه، و ناجاه بسرّه هذا، ثم ناجى به عمر بن الخطاب، ثم دعا الناس للجلوس إليه، ثم كلمهم بكلام لا يشى بشى ء من حقيقه وجهه سيره، باستثناء قوله: (تجهزوا و تعاونوا).

فما معنى: أن يخبرهم أبو بكر بأمر كتمه عنهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

و أين يقع التصرف الخاطئ هذا من موقف فاطمه الزهراء بنت رسول اللّه (صلوات اللّه و سلامه عليه و عليها و على آلهما الطيبين الطاهرين) مع عائشه بنت أبى بكر، حين أقبلت فاطمه إليه، فأجلسها عن يمينه، ثم أسرّ

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 74.

إليها بأمر فبكت، ثم أسرّ إليها بآخر فضحكت، فسألتها عائشه عما قال (صلى اللّه عليه و آله).

فقالت (عليها السلام): ما كنت لأفشى سرّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و قد استمرت على كتمان هذا السرّ حتى قبض (صلى اللّه عليه و آله) (1).

1- صحيح البخارى (ط مطبعه الأميريه) ج 4 ص 203 و صحيح مسلم ج 7 ص 142 و مسند الطيالسى ص 196 و طبقات ابن سعد ج 8 ص 26 و حليه الأولياء ج 2 ص 39 و الخصائص للنسائى (ط دار التقدم بمصر) ص 34 و مصابيح السنه (ط دار الخيريه بمصر) ج 2 ص 204 و مسند أحمد ج 6 ص 282 و أنساب الأشراف ج 1 ص 552 و صفه الصفوه (ط حيدر آباد) ج 2 ص 5 و طرح التثريب ج 1 ص 149 و المختار من مناقب الأخيار (ط دمشق) ص 56 و نظم درر السمطين ص 179 و تذكره الخواص ص 319 و منتخب تاريخ ابن عساكر ج 1 (ط الترقى بدمشق) ص 298 و البدايه و النهايه ج 5 ص 226 و جمع الفوائد ج 2 ص 233 و تكمله المنهل العذب المورود ج 3 ص 222 و الثغور الباسمه (ط بمبى) ص 13 و أشعه اللمعات فى شرح المشكاه ج 4 ص 693 و وسيله النجاه للمولوى ص 228 و مرآه المؤمنين ص 190 و أضواء على الصحيحين ص 345 و فضائل الصحابه ص 77 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 518 و مسند أبى يعلى ج 12 ص 112 و المعجم الكبير ج 22 ص 419 و عن أسد الغابه ج 5 ص 522 و الأوائل للطبرانى ص 84 و عن المصادر التاليه: كتاب الأربعين للماحوزى ص 314 و فتح البارى ج 8 ص 103 و مسند أبى يحيى الكوفى ص 79 و مسند ابن راهويه ج 5 ص 7 و عن السنن الكبرى للنسائى ج 5 ص 96 و 146 و السيره النبويه لابن كثير ج 4 ص 448 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 120 و كشف الغمه ج 2 ص 80 و سبل الهدى و الرشاد ج 11 ص 45.

و من جهه أخرى، سيأتى بعد صفحات يسيره: أن عائشه تفشى هى الأخرى سرّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى نفس غزوه الفتح أيضا؛ فإنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لها: جهزينا و اخفى أمرک ..

فهى بمجرد أن دخل عليها أبوها و سألها قائلا: أمركن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بتجهيزه؟!

قالت: نعم.

و علينا أن نقارن بين موقف الزهراء (عليها السلام) الآنف الذكر مع عائشه نفسها!! و بين ما فعله أبو بكر و عائشه بإقدامهما على إفشاء سرّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، رغم التفاوت الكبير بين هذا السرّ و ذاک.

فسرّ الزهراء (عليها السلام) يرتبط بأمر شخصى يعود إليه (صلى اللّه عليه و آله)، و لكن السرّ الذى أفشاه أبو بكر و عائشه يرتبط بالأمه بأسرها و بالدين كله ..

ثانيا: إذا كان (صلى اللّه عليه و آله) قد دعا عمر ليناجيه، فلماذا يرفع عمر صوته بكلام صريح بما يدور الحديث حوله؟؟ و هل رضى (صلى اللّه عليه و آله) منه ذلک؟! فإن كان قد رضيه، فما معنى المناجاه به؟!

و إن كان قد سخط ذلک و ردعه عنه، فلماذا لم يرتدع، بل استمر رافعا صوته يعدّد أقوال أهل مكه فيه (صلى اللّه عليه و آله)؟!

و إن كان لم يردعه عن أمر قد سخط هذا الإعلان به فلماذا ناجاه به؟! أم أنه عدل عن إراده كتمان ما ناجاهم به؟ و ما هو السبب فى هذا العدول؟

هل خاف من عمر؟! أم أنه أراد أن يظهر جرأه عمر، و سوء فعله؟!

ثالثا: إذا كان عمر قد ارتكب هذه المخالفه الظاهره لمقاصد رسول اللّه

(صلی اللّه علیه و آله)، فلماذا أطراه ذلک الإطراء الکبیر، حتی اعتبره مثل نبی اللّه نوح (علیه السلام)؟!

رابعا: إذا کان عمر قد رفع صوته معددا أفاعیل أهل مکه، فأمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالتجهز و التعاون، معتبرا أن الأمر أمر عمر، فإن الأمر سیصبح واضحا للناس، و لم یعودوا بحاجه إلی سؤال أبی بکر عما ناجاه به النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فإن الکل سوف یفهم: أن الأمر مرتبط بأهل مکه، و أن التجهیز و التعاون هو لأجل إنجاز هذا الأمر.

لأن المفروض هو: أن موقف عمر و موقف أبی بکر متخالفان فی أمر واحد، و أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد اختار قول عمر ..

خامسا: لماذا اختار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قول عمر، و ترک ما قاله أبو بکر. مع أن أبا بکر- حسب زعم الروایه- قد أشبه إبراهیم الخلیل، الذی کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مأمورا بالعمل بشریعته (علیه السلام)، فقد قال تعالی: ثُمَّ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (1).

سادسا: إنه إذا کان إبراهیم (علیه السلام) ألین فی اللّه من الدهن اللین، فهل لم یکن أشد فی اللّه من الحجر الصلد أیضا؟! فیضع الأمور فی مواضعها، فیشتد حین یقتضی الأمر الشده، و یلین حین یوجب الأمر اللین؟!

و نفس السؤال یرد بالنسبه لنوح (علیه السلام) ..

1- الآیه 123 من سوره النحل.

و أما إذا كان إبراهيم (عليه السلام) لينا فقط، و لا يشتد حين يكون المطلوب هو الشده، و كان نوح شديدا، و لا يلين حين يقتضى الأمر اللين، فذلک يعنى: أنهما غير متصفين بصفات أهل الإيمان، و أنهما لا يعملان بشرع اللّه، و لا يراعيان المصالح، و لا يتصفان بأدنى درجات الحكمه و العصمه، فهما لا يستحقان درجه النبوه، لأنهما يفقدان صفات أهل الإيمان من الأساس.

فهل نريد أن نمدح أبا بكر و عمر بقيمه ذم الأنبياء، و نسبه هذه النقائص إليهم؟!

ذل العرب .. و ذل أهل مكه:

و اللافت هنا: ما نسبوه إلى أبى بكر من القسم المتكرر حول أمر لا يصح و لا يجوز أن يدخل فى دائره أهداف الأنبياء (عليهم السلام)، فقد قال أبو بكر: (.. و أيم اللّه، و أيم اللّه، لا تذل العرب حتى تذل أهل مكه. و قد أمركم بالجهاد ليغزو مكه ..).

إن هدف الأنبياء (عليهم السلام) لا يمكن أن يكون إذلال أحد من الناس، بل مرادهم هو إخراج الناس من ذل العبوديه للأهواء و الشهوات، و من ذل عباده الأصنام و الشرک إلى العز بالإسلام، و لا يمكن أن يريد النبى (صلى اللّه عليه و آله) ذل العرب، بل هو يريد ذل الشرک، و الكفر، و الانحراف. و لا يريد ذل أهل مكه، بل يريد لهم أن يحترموا أنفسهم، و عقولهم، أن يشعروا بالكرامه الإلهيه، و بالتكريم الربانى ..

حدیث فاطمه علیها السلام کان فی عام الفتح أیضا:

عن أم سلمه: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) دعا فاطمه عام الفتح، فناجاها فبکت، ثم حدثها فضحکت.

قالت: فلما توفی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) سألتها عن بکائها و ضحکها.

قالت: أخبرنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) أنه یموت فبکیت، ثم أخبرنی أنی سیده نساء أهل الجنه إلا مریم بنت عمران، فضحکت (1).

و لکن قال فی بعض الروایات: إن ذلک کان بعد الفتح (2).

1- الجامع الصحیح للترمذی ج 5 ص 368 و الطبقات الکبری لابن سعد ج 2 ص 248 و جامع الأصول (ط السنه المحمدیه بمصر) ج 10 ص 84 و مشکاه المصابیح ج 3 ص 268 و ینابیع الموده (ط إسلامبول) ص 172 و الرصف للعاقولی (ط مکتبه الأمل الکویت) ج 1 ص 281 و أشعه اللمعات ج 4 ص 714 و تفریح الأحباب (ط دهلی) ص 408 و مرآه المؤمنین ص 190 و المختار من مناقب الأخیار ص 56 و منتخب کنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 97 و الثغور الباسمه (ط بمبی) ص 13 و تیسیر الوصول (ط نول کشور) ص 59.
2- منتخب کنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج 5 ص 98 و المعجم الکبیر ج 22 ص 422 و فضائل سیده النساء لعمر بن شاهین ص 20 و تاریخ دمشق ج 33 ص 269 و کنز العمال ج 13 ص 677 و تهذیب الکمال ج 16 ص 275 و شرح إحقاق الحق ج 19 ص 38 و ج 25 ص 86.

و نقول:

1- تقدم: أن هذه الروايه قد رويت عن عائشه أيضا، و أنها هى التى حاولت استنطاق و حمل فاطمه (عليها السلام) على إفشاء سرّ النبى (صلى اللّه عليه و آله) حين ناجاها، فقالت: ما كنت لأفشى سرّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و فى بعض نصوص الحديث: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لها: إنها أول أهل بيته لحوقا به فضحكت .. و جمعت بعض الروايات بين العبارتين (1).

و لا مانع من أن يتكرر الحدث تاره مع أم سلمه، و أخرى مع عائشه، فتسأل كل واحده منهما الزهراء (عليها السلام) بعد وفاه النبى (صلى اللّه عليه و آله) و تسمع الجواب ..

كما أنه لا مانع من حدوث هذا الأمر أكثر من مره، و أكثر من زمان.

و يحتمل أن تكون أم سلمه قد ذكرت جزءا من الجواب، و ذكرت عائشه الجزء الآخر.

و لا مانع من أن تذكر عائشه كلا الجزأين من جواب النبى (صلى اللّه

1- راجع: البدايه و النهايه ج 2 ص 61 و سعد الشموس و الأقمار (ط التقدم بمصر سنه 1330 ه) ص 103 و الأنوار المحمديه ص 150 و تجهيز الجيش ص 98 عن ابن عساكر، و أرجح المطالب ص 241 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 120 و طبقات ابن سعد ج 2 ص 28 و أنساب الأشراف ج 1 ص 552 و الخصائص (ط التقدم بمصر) ص 34 و صفه الصفوه (ط حيدر آباد) ج 2 ص 5 و مسند أحمد ج 6 ص 282 و طرح التثريب ج 1 ص 149 و المختار فى مناقب الأخيار (ط دمشق) ص 56 و نظم در السمطين ص 79.

علیه و آله) لفاطمه (علیها السلام)، أو احدهما فی مجالس مختلفه.

2- إن بعض نصوص هذه الحادثه یقول: إنه (صلی اللّه علیه و آله) قد ذکر لفاطمه (علیها السلام) أن جبرئیل قد عارضه بالقرآن مرتین فی ذلک العام، لیدل بذلک علی قرب وفاته (صلی اللّه علیه و آله)، و هکذا کان ..

و هذا یخالف روایه أم سلمه السابقه، التی تذکر أن هذه القضیه قد حصلت عام الفتح، أی فی السنه الثامنه للهجره، فی حین أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد توفی فی آخر السنه العاشره، بناء علی أن أول السنه هو ربیع الأول، أو فی أوائل السنه الحادیه عشره بناء علی أن ابتداء السنه الهجریه هو شهر محرم.

و لکننا ذکرنا: احتمال أن یکون (صلی اللّه علیه و آله) قد ناجی فاطمه الزهراء (علیها السلام) فی هذا الأمر أکثر من مره، لحکمه اقتضت ذلک ..

3- إن استثناء مریم بنت عمران ممن تکون فاطمه (علیها السلام) سیدتهن قد ورد فی بعض نصوص هذا الحدیث دون سائرها .. فهل نسی الرواه هذه الفقره؟ أم أنهم أهملوها عمدا، لعلمهم بأنها لم تکن فی الحدیث من الأساس؟

إننا نرجح الاحتمال الثانی، و ذلک لما یلی:

ألف: إن الأحادیث الداله علی أن فاطمه سیده و أفضل نساء أهل الجنه علی الإطلاق، متواتره .. و قد وردت فی مناسبات کثیره و متنوعه، و فی موارد أخری غیر مورد مسارّه النبی (صلی اللّه علیه و آله) لفاطمه (علیها السلام).

ب: إن بعض نصوص الحدیث قد صرحت: بأنها (علیها السلام)

سیده نساء العالمین (1). و یدل ذلک علی عدم استثناء مریم منهن.

ج: إن الروایات دلت علی: أن مریم بنت عمران سیده نساء عالمها، أما السیده الزهراء (علیها السلام) فهی سیده نساء العالمین، من الأولین و الآخرین (2).

1- أرجح المطالب ص 241 و تجهیز الجیش (مخطوط) ص 96 و جامع الأحادیث للسیوطی ج 7 ص 734 و أشعه اللمعات فی شرح المشکاه (ط لکهنو) ج 4 ص 693 و وسیله النجاه ص 228 و عیون المعجزات ص 51 و مناقب آل أبی طالب ج 3 ص 137 و الطبقات الکبری ج 8 ص 27 و أسد الغابه ج 5 ص 522 و ج 8 ص 266 و اللمعه البیضاء للتبریزی ص 46 و شرح إحقاق الحق ج 10 ص 30 و ج 25 ص 48 و ج 33 ص 295 و المسانید لمحمد حیاه الأنصاری ج 2 ص 72.
2- مقتل الحسین للخوارزمی ص 79 و أمالی الصدوق (ط مؤسسه البعثه) ص 78 و 175 و 575 و کمال الدین و تمام النعمه ص 257 و معانی الأخبار للصدوق ص 107 و من لا یحضره الفقیه ج 2 ص 573 و تهذیب الأحکام ج 6 ص 10 و روضه الواعظین ص 100 و 149 و شرح الأخبار ج 3 ص 520 و المزار لابن المشهدی ص 80 و الفضائل لابن شاذان ص 9 و المحتضر لحسن بن سلیمان الحلی ص 197 و الشرف المؤبد ص 54 و مناقب الإمام علی لابن المغازلی ص 368 و الصلاه فی الکتاب و السنه للریشهری ص 200 و دلائل الإمامه للطبری ص 81 و 149 عن مشکل الآثار ج 1 ص 51، و عن حلیه الأولیاء ج 2 ص 42، و عن ذخائر العقبی ص 43. و راجع: البحار ج 28 ص 38 و ج 37 ص 85 و ج 43 ص 24 و 26 و 49 و 78 و 172 و مستدرک سفینه البحار ج 8 ص 246 و موسوعه أحادیث أهل البیت للنجفی ج 9 ص 11 و میزان الحکمه ج 1 ص 150 و تفسیر نور الثقلین ج 1 ص 338 و تفسیر کنز الدقائق ج 2 ص 85 و قاوس الرجال ج 12 ص 334 و بشاره المصطفی للطبری ص 274 و 306 و العدد القویه ص 227 و ینابیع الموده ج 2 ص 298 و اللمعه البیضاء التبریزی ص 179.

و يؤيد ذلک: الروايات الكثيره جدا التى تقول: إنها (عليها السلام) سيده نساء أهل الجنه (1). فإن أكثرها لم يستثن مريم (عليها السلام) حسبما تقدم.

و أما الروايه التى ذكرت: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد قرر أنها سيده نساء العالمين، فسألته (عليها السلام) عن موقع مريم فى هذه الحاله، فقال:

لها (صلى اللّه عليه و آله): تلک سيده نساء عالمها، و أنت سيده نساء عالمک (2)،

1- راجع: كشف الغطاء (ط ق) ج 1 ص 18 و الأمالى للصدوق ص 178 و كفايه الأثر ص 124 و كتاب سليم بن قيس ص 236 و 427 و الإختصاص للمفيد ص 183 و الأمالى للطوسى ص 85 و 248 و مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج 3 ص 104 و 105 و 164 و العمده لابن البطريق ص 384 و 388 عن صحيح البخارى ج 5 ص 29 باب مناقب فاطمه (عليها السلام) و مناقب أهل البيت للشيروانى ص 229 و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 233 و مسند أحمد ج 5 ص 391 و صحيح البخارى (دار الفكر) ج 4 ص 183 و 209 و 219 و سنن الترمذى ج 5 ص 326 و فضائل الصحابه للنسائى ص 58 و 76 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 151 و مجمع الزوائد ج 9 ص 201 و فتح البارى ج 7 ص 82 و راجع: إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج 10 و ج 19 و أجزاء أخرى لتجد هذه الروايه عن عشرات المصادر بطرق مختلفه.
2- راجع: إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج 10 عن كثير من المصادر و ج 19 ص 19 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 127 و ينابيع الموده للقندوزى الحنفى ص 198 و فتح الملک المعبود تكمله المنهل العذب المورود ج 4 ص 8 و مرآه المؤمنين ص 183.

فهی متناقضه فی نفسها، إذ لا ینسجم قوله (صلی اللّه علیه و آله) لها (علیها السلام): إنها سیده نساء العالمین، مع قوله لها: أنت سیده نساء عالمک.

و هذا یؤکد: أن الصحیح هو حذف العباره الأخیره لیستقیم المعنی.

و ذلک ظاهر لا یخفی.

جهزینا، و أخفی أمرک:

ورووا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) مکث بعد خروج أبی سفیان ما شاء اللّه أن یمکث، ثم قال لعائشه: جهزینا، و أخفی أمرک (1).

و قال: (اللهم خذ علی أسماعهم و أبصارهم، فلا یرونا إلا بغته، و لا یسمعون بنا إلا فجأه) (2).

و فی نص آخر أنه قال: (اللهم خذ العیون و الأخبار علی قریش، حتی نبغتها فی بلادها) (3).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 209 عن ابن عقبه، و ابن إسحاق، و الواقدی، و راجع: تاریخ الخمیس ج 2 ص 78 و المغازی للواقدی ج 2 ص 796 و السیره الحلبیه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 9 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 534 و البدایه و النهایه ج 4 ص 322 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 265 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 351.
2- راجع المصادر المتقدمه فی الهامش السابق.
3- راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 10 و مجمع البیان ج 10 ص 555 و المغازی للواقدی ج 2 ص 796 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 78 و البحار ج 21 ص 102 و تفسیر المیزان ج 20 ص 380 و تفسیر البغوی ج 4 ص 537 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 242 و البدایه و النهایه ج 4 ص 323 و أعیان الشیعه ج 1 ص 275 و السیره النبویه لابن هشام ج 4 ص 857 و عیون الأثر ج 2 ص 184 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 535.

و كان قد بنى الأمر فى مسيره إليها على الاستسرار بذلک (1).

عائشه تفشى سر النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و دخل أبو بكر على عائشه و هى تحرک بعض جهاز رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: أمر كن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بتجهيزه؟

قالت: نعم، فتجهز.

قال: فأين ترينه يريد؟

قالت: لا و اللّه ما أدرى (2).

قال: ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد؟

قالت: لا علم لى (3).

و دخل عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: يا رسول اللّه، أردت سفرا؟

1- البحار ج 21 ص 119 عن الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج 1 ص 56 و أعيان الشيعه ج 1 ص 408 و لوامع الحقائق للأشتيانى ج 1 ص 85.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 209 و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 796 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و تفسير البغوى ج 4 ص 537 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 857 و عيون الأثر ج 2 ص 184 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 9.
3- تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و المعجم الصغير للطبرانى ج 2 ص 73 و دلائل النبوه للأصبهانى ج 2 ص 635 و إمتاع الأسماع ج 8 ص 384.

ص: 141

قال: نعم.

قال: فأتجهز؟!

قال: نعم.

قال: فأين تريد يا رسول اللّه؟!

قال: قريشا. و أخف ذلک يا أبا بکر (1).

(و فی روايه: أن أبا بکر قال: يا رسول اللّه، أتريد أن تخرج مخرجا؟!

قال: نعم.

قال: لعلک تريد بنی الأصفر؟!

قال: لا.

قال: أفتريد أهل نجد؟!

قال: لا.

قال: فلعلک تريد قريشا؟

قال: نعم.

قال: يا رسول اللّه، أليس بينک و بينهم مده؟

قال: أولم يبلغک ما صنعوا ببنی کعب؟ يعنی خزاعه) (2).

و أمر رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) بالجهاز، قال: أو ليس بيننا و بينهم مده؟! الصحيح من السيره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 21 141 عائشه تفشی سر النبی صلی الله عليه و آله: ..... ص : 140

قال: قال: إنهم غدروا، و نقضوا العهد، فأنا غازيهم.

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 9 و المغازى للواقدى ج 2 ص 796 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 265 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 325.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و بمعناه عند الواقدى فى المغازى ج 2 ص 796.

و قال لأبى بكر: اطو ما ذكرت لک.

فظان يظن أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يريد الشام، و ظان يظن ثقيفا، و ظان يظن هوازن (1).

و لنا مع ما تقدم عده وقفات نسوقها على النحو التالى:

للمباغته و جهان:

للمباغته و جهان: وجه سى ء، و وجه حسن، فمن يريد أن يباغت عدوه ليتمكن من إهلاكه، و سحق كل قدراته، و تدمير كل نبضات الحياه لديه، يعتبر المباغته فرصه للتخريب، و التدمير و الاستئصال، و التنفيس عن الحقد، و التشفى، و الانتقام الوحشى الذى لا يقف عند حد، فهذا الانتقام سى ء و قبيح، و كذلک المباغته التى هيأت له ..

و هناک المباغته التى يمارسها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يريد منها أن يهيى ء الجو لإلحاق هزيمه نفسيه تتلاشى معها رغبه الطرف الآخر بالقتال، و يواجه أجواء الفشل و الإحباط، و يدفعه إلى السعى لإنهاء المعركه، و الخروج من أجوائها الضاغطه، فتنتج تلک المباغته السلامه، و النجاه، و صيانه المال و العرض، و ربما يحتفظ بالكرامه و الجاه، وفق ما تسوقه إليه إرادته، و يهديه إليه عقله، و تهيئه له اختياراته.

و خير دليل على ما نقول: هذا الذى جرى فى فتح مكه، فإن عنصر المباغته فى الفتح كان ظاهرا و واضحا كالنار على المنار و كالشمس فى رابعه

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 796 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 266 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 352.

النهار، مع أن مبرررات الانتقام كانت حاضره، و القدره عليه ظاهره، فقد نكثوا العهد، و قتلوا الأبرياء من الصبيان، و النساء، و الرجال الضعفاء، و جحدوا ذلک و أنكروه، و سعوا إلى إبطال حق ضحاياهم بوسائل ما كره، ظهرت بعض معالمها فيما تقدم من فصول ..

فكان لا بد من إسقاط هيمنه الظالمين، و كف أيدى العتاه المتجبرين لإفساح المجال لعباد اللّه ليتنفسوا نسيم الحريه، و ليخرجوا من أسر أولئک الطواغيت إلى كنف رعايه اللّه، و يتفيأوا ظلال شرائعه و أحكامه، حيث يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله) قائدهم، و الحق رائدهم.

و هكذا كان.

مكث ما شاء اللّه:

و قد صرح النص المتقدم: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يبادر إلى دعوه الناس للتجهز للمسير بمجرد دعوه الخيبه لأبى سفيان .. بل هو قد أهمل هذا الأمر مده تكفى إلى غياب ما جرى لأبى سفيان عن ذاكرتهم، ثم أمرهم بالتجهز و الاستعداد، فلم يفطنوا إلى الجهه التى يقصدها فى مسيره ذاک ..

و من شأن جهلهم بمقصده أن يفوت الفرصه على محبى قريش، و المتعاملين معها، فلا يتمكنون من إنذارها فى وقت مبكر لكى تأخذ حذرها و تستعد للقتال، أو أن تزداد تحصّنا و تمنّعا يقلل من تأثّرها بالحشد الذى أعده، و بالعده التى هيأها ..

التجهيز لسفر مبهم:

ثم إن النص المتقدم يقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قال لعائشه:

جهزينا و أخفى أمرک ..

أى أنه (صلى اللّه عليه و آله) يريد منها أن تخفى أصل التجهز، و الاستعداد لسفر لم يحدده لها و لا عرّفها طبيعته، هل هو سفر للحرب؟ أو لزياره منطقه بعينها؟ أو لأى غرض آخر ..

و الذى نريد أن نستوضحه هنا هو: أنها إذا كان المطلوب منها إخفاء نفس التجهيز له، فهذا يدل على أنه يريد سفرا لا يعرف به أحد، فهل يريد أن يسافر وحده (صلى اللّه عليه و آله) دون سائر المسلمين؟!

و ربما يمكننا أن نجيب على هذا التساؤل بتقديم أحد احتمالين، ربما يكون أحدهما أو كلاهما هو السبب.

الإحتمال الأول: أن يكون الغرض هو إخفاء هذا الأمر عن أناس بأعيانهم، لهم نوع اتصال قريب بها، لعله يخشى من أن يبادروا إلى إعلام قريش بالأجواء التى استجدت فى المدينه، تماما كما حصل فى قضيه حاطب بن بلتعه الآتيه، حيث بادر بالكتابه لقريش بمجرد أن علم بتهيؤ المسلمين لغزو مّا، رغم أنه لم يعلم المقصود بالغزو أصلا ..

الإحتمال الثانى: أن يكون (صلى اللّه عليه و آله) قد اراد تقديم نموذج من معاناته، ليعرف الناس عظمه صبره و دقه ملاحظته، و صحه تدبيره الذى انتهى بذلک الفتح العظيم ..

فإنه إذا كانت زوجه الرسول لم تستطع كتمان هذا الأمر لمده ساعه أو ساعات، حتى أفشته لأبيها، رغم توصيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)

لها، فما بالک بسائر الناس و کیف سیتصرفون عند ما یظهر لهم طرف من هذا الأمر؟!

و ثمه احتمال ثالث یمکن أن ندرجه فی دائره مقاصده أیضا، و هو أن یعطینا (صلی اللّه علیه و آله) درسا فی الحیطه و الحذر فی مثل هذه الأمور، حتی من أقرب الناس، و هذا درس مفید و جلیل و سدید، لا بد من التوفر علی مضامینه بحرص و إتقان.

نجاح الخطه:

یظهر جلیا من النصوص المتقدمه کیف أن الذین حاولوا التکهن بمقصده (صلی اللّه علیه و آله) لم یخطر علی بال أحد منهم أنه یقصد مکه، بل ذهب و همهم إلی الشام، و ثقیف، و هوازن.

کما أن أبا بکر قد قلّب احتمالات عدیده، مثل أن یغزو أهل نجد، أو بنی الأصفر، و کان آخر ما زعموا أنه خطر علی باله هو غزو قریش، مع استبعاد قوی منه لهذا الاحتمال، مدعّم بالاستدلال، بأنه کیف یغزوهم و بینه و بینهم مده و عهد؟!

و من غیر الطبیعی کتمان أمر عن أمه بأسرها، یستنفر منها عشره آلاف مقاتل لیعالجوا نفس هذا الأمر المکتوم، مع کثره الموتورین و الحاقدین فی المنطقه، و مع وفره المنافقین المتربصین. بالإضافه إلی الذین یبحثون عما یفیدهم فی مصالحهم الشخصیه، أو القبلیه، أو غیرها ..

و خفاء هذا الأمر الخطیر إلی هذا الحد، و فی ظروف کهذه، و فی هذا المحیط بالذات یعد من أعظم الإنجازات، و من أجلّ التوفیقات، و یدلل

على التدبير الحكيم، و الضبط الدقيق للأمور من قبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

الأخذ على الأسماع و الأبصار:

لا يريد النبى (صلى اللّه عليه و آله) بدعائه اللّه بأن يأخذ على أسماع و أبصار أعدائه أن يتدخل اللّه سبحانه بإعمال إرادته التكوينيه، و يفعل بهم ذلک بصوره قاهره .. لأن هذا ظلم لهم، وَ لا يَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً ..

بل هو يطلب منه تعالى: أن يتصرف فى خارج دائره اختيار أولئک المشركين، فيؤيد المؤمنين بالتوفيقات و العنايات، و الألطاف الإلهيه، و بالتدبيرات الصحيحه، و يفتح أبواب أفهامهم لسد الفرج، و الإمساک بالأمور بحيث لا يتمكن أحد من إيصال أى خبر عن حقيقه ما يجرى داخل المجتمع الإسلامى إلى معسكر الكفر و البغى و العدوان ..

و هذا ما حصل بالفعل ..

و لهذه المباغته تأثيرات هامه على صعيد حسم الأمور لصالح أهل الإيمان، من حيث إن ذلک يمثل فشلا روحيا، و إحباطا كبيرا لدى الأعداء ..

و هو يفقدهم القدره على الإعداد و الإستعداد، و إيقاظ الهمم، و شحذ العزائم، و لا يبقى لهم الفرصه لرسم الخطط القتاليه، و الاستفاده من عنصر المفاجأه فى المواقع المختلفه ..

ثم إن جعل زمام المبادره بيد أهل الإيمان من شأنه أن يجعل الأمور تسير باتجاه اتخاذ القرارات الحكيمه و المنصفه، و التدبيرات المؤثره فى حسم

الأمور بأقل قدر ممكن من الخسائر ..

حتى نبغتها فى بلادها:

و من الواضح: أن مجرد أن يراک عدوک تطأ أرضه، و تحل فى بلاده يجعله فى موقع الدفاع بصوره تلقائيه، و يضطره ذلک إلى الإحساس الداخلى بأن ثمه درجه من الهزيمه و الخساره قد حاقت به، و ذلک يؤثر على روحه، و يطامن من عنفوانه، و يخفف من عنجهيته.

كما أنه يعطيک درجه من الهيمنه على الموقف، و يبعث فيک قدرا من الطموح، و يثير فيک حاله من العنفوان و القوه ..

و لعل هذا و ذاک هو ما يفسر لنا قول رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله):

(حتى نبغتها فى بلادها) حسبما تقدم.

لماذا الحديث عن قريش دون بنى بكر؟!:

و يلاحظ: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد ركز حديثه على قريش، دون بنى بكر، مع أن بنى بكر هم الذين ارتكبوا الجريمه، و دعوا قريشا لمشاركتهم و معاونتهم فيها، فسارع عدد من زعمائها إلى تلبيه الطلب .. فلماذا يخصصها (صلى اللّه عليه و آله) بالذكر دونهم يا ترى؟!

و نقول فى الجواب:

إن رأس الطغيان فى المنطقه العربيه كلها، و حامى حمى البغى و الظلم و التعدى هو قريش .. و لولاها لم يجرؤ بنو بكر على مهاجمه خزاعه، و يكفى مانعا و رادعا عن ذلک معرفتهم بحلف خزاعه مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و لذلک سعی بنو نفاثه إلی إشراک قریش فی هذا الأمر ..

فاستئصال کبریاء قریش، و کسر جبروتها الظالم یکفی لمنع تکرار مثل هذه الجرائم ..

أبو بکر و عائشه فی مأزق:

و قد یعتذر البعض عن إفشاء عائشه السرّ الذی أمرها رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بإخفائه، فبادرت إلی إفشائه لأبیها عند أول سؤال وجهه إلیها- یعتذر- بأنها لم تفش السر لرجل غریب، بل هو أبوها المقرّب جدا من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و الذی یعد من أهل البیت، و کانت تقطع برضی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بإطلاعه علی ما هو أهم من هذا ..

و نجیب بما یلی:

أولا: لو کان هذا صحیحا لبادر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نفسه إلی إعلام أبی بکر بالأمر.

ثانیا: هذا اجتهاد فی مقابل النص، فإن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد نص صراحه علی لزوم إخفاء هذا الأمر، فلا معنی، و لا یقبل اجتهاد عائشه فی مقابل هذا النص.

ثالثا: إن قضایا الحرب و السلم قد تطوی عن أقرب الناس، و تبیّن و تفصّل للبعداء لأسباب تعود إلی طبیعه الحرب و اقتضاءاتها ..

و من کلام علی (علیه السلام) لأصحابه: (ألا و إن لکم عندی أن لا أحتجز (أحجبن) دونکم سرا إلا فی حرب، و لا أطوی دونکم أمرا إلا فی

حکم) (1).

و قد یکون القریب ثرثارا، و البعید کتوما. و فی غیر هذه الصوره أیضا قد یثق القریب بمن لا یؤمن من اتصاله بالعدو، و إخباره بما یجری ..

بل قد یکون للقریب ما یدعوه إلی مباشره ذلک بنفسه .. و قد .. و قد ..

رابعا: إن نفس انصراف الرسول (صلی اللّه علیه و آله) عن إخبار أبی بکر بهذا الأمر یضع علامه استفهام کبیره حول صحه ما یدعونه من تقریب من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) له. فضلا عن أن یعدّ من أهل بیته ..

و بعد هذا کیف یمکن ادّعاء أنها کانت تقطع بأن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یرضی منها بإخباره بالأمر، فإن هذا من الأمور القلبیه التی لا یعرفها إلا علام الغیوب ..

خامسا: بالنسبه لقرب أبی بکر من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نقول:

إن ثمه فرقا بین قرب یأتی من إصرار أبی بکر علی حشر نفسه فی مجالس النبی (صلی اللّه علیه و آله)، و مثابرته علی نسبه نفسه إلیه، و سعیه إلی التحدث باسمه، و إظهار قربه منه .. و .. و .. الخ .. و بین تقریب النبی (صلی اللّه علیه و آله) له، و الدال علی محبته (صلی اللّه علیه و آله) له، و ثقته به ..

1- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 3 ص 79 و الأمالی للطوسی ص 217 و البحار ج 33 ص 76 و 469 و ج 72 ص 354 و میزان الحکمه للریشهری ج 1 ص 124 و أعیان الشیعه ج 1 ص 463 و المعیار و الموازنه ص 104 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 16.

و الذى يمكن التسليم به لأبى بكر هو الأول. أما الثانى، فلا مجال لإثباته.

بل هناک دلائل و شواهد تصب فى عکس هذا الاتجاه، و منها: هذه القضيه بالذات، حيث إن عدم إخبار النبى (صلى اللّه عليه و آله) له و لو بمقدار ما اطلع عليه عائشه يضع علامه استفهام کبيره حول أصل ثقته به، و اعتماده عليه ..

أبو بکر يصر على النبى صلى اللّه عليه و آله إلى حد الإحراج:

و قد رأينا فى الروايات المتقدمه: حرص أبى بکر على معرفه کنه الأمر، و لا يکتفى بتوجيه عده أسئله إلى ابنته، مثل:

أمرکن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بتجهيزه؟!

أين ترينه يريد؟!

ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد؟!

بل هو يوالى الأسئله على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. و يسمع أجوبه مقتضبه، من شأنها أن تعرّفه: أنه لا يريد أن يبوح له بشى ء. و لکنه يتابع الأسئله، و يصر على معرفه حقائق الدقائق، و من أسئلته:

أردت سفرا؟

فأتجهز؟

أتريد أن تخرج مخرجا؟

فأين تريد يا رسول اللّه؟

لعلک تريد بنى الأصفر؟

أفتريد أهل نجد؟

فلعلک تريد قريشا؟

أليس بينک و بينهم مده؟

و لم يكن من المصلحه: أن يأمره النبى (صلى اللّه عليه و آله) بالكف عن الأسئله، فربما تذهب به الظنون مذاهب مخيفه، و لربما تسوقه الأوهام إلى تكهنات لو سمعها الآخرون منه لألحقت بالمسيره ضررا بالغا ..

و لكن الذى كنا سنرتاح كثيرا لو عرفناه هو:

1- ألم يلتفت أبو بكر إلى أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا يريد ان يعرّفه شيئا مما عقد العزم عليه، حتى أصل أنه يريد سفرا؟ كما دل إخباره (صلى اللّه عليه و آله) عائشه دونه؟!

2- و بعد أن عرف أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) يريد سفرا، لماذا يصرّ على معرفه المقصد بدقه، كما ظهر من توجيهه كل تلک الأسئله إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و سماعه تلک الأجوبه المقتضبه؟! ألم يدرک أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ليس راغبا فى البوح له بشى ء؟ فلماذا يحرجه بأسئلته إذن؟!

3- هل يمكن أن نستفيد من أسئلته لابنته عائشه، أنه لم يكن واثقا من أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) سيخبره لو سأله، فحاول أن يستل بعض الأخبار منها، فلما أعياه ذلک توجه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لم يزل يحرجه بالسؤال تلو السؤال حتى حصل على ما أراد!!

4- ثم ما معنى أن يسأل ابنته عن الاحتمالات التى تراودها، فيما يرتبط بوجهه سير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)؟ و ماذا يفيده رأيها و حدسها، و أيه قيمه تكون للحدسيات و التخمينات فى أمور كهذه؟!

أليس بينک و بينهم مده؟!:

و قد حضر أبو بکر أو سمع بمجی ء عمرو بن سالم، و بديل بن ورقاء، و جماعه کبيره إلی المدينه، و عرف منهم ما جری لخزاعه علی يد قريش و بنی بکر .. و رأی أبا سفيان أيضا حين جاء يريد خداع المسلمين، و المکر بهم و برسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) للنجاه من تبعات نقض العهد ..

و قد کان لأبی بکر نفسه نصيب من النشاط الذی أثاره أبو سفيان فی هذا الاتجاه، و زعموا له موقفا شديدا مميزا تفرد به، ثم تابعه عليه زميله عمر بن الخطاب.

فما معنی اعتراضه علی رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) فيما عقد عليه العزم فی قريش، و کيف يزعم أن بين النبی و بينهم عقدا و عهدا و مده، و هو عالم بنقض قريش للعهد و العقد فی أمر خزاعه؟!

السيطره علی المسالک:

و أمر رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) جماعه أن تقيم بالأنقاب (و هی المسالک فی الجبال).

و کان عمر بن الخطاب يطوف علی الأنقاب، فيمرّ بهم، فيقول: لا تدعوا أحدا يمر بکم تنکرونه إلا رددتموه.

لکن صاحب السيره الحلبيه نقل ذلک من قول رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) ..

و کانت الأنقاب مسلّمه إلا من سلک إلی مکه فإنه يتحفظ به، و يسأل

عنه (1).

و نقول:

1- إن رصد الطرقات و المنافذ إلى مكه، و وضع الرجال على المسالک فى الجبال بصوره دائمه من شأنه أن يزيد الأمور ضبطا و انتظاما، و أن يمنع من تسرب الأخبار إلى قريش، و لا أقل من أنه يحرج من يريد أن يفعل ذلک، و يربکه، و يحد من ميله لتعريض نفسه للفضيحه، لو کشف أمره ...

2- إن هذه القوات التى کلفت بمهمه حفظ الطرقات لم تکن تضايق أحدا من سالکى تلک الطرق، فقد ذکر النص المتقدم: أن الطرق مسلّمه، لا يعترض أحد فيها سبيل أحد إلا من سلک إلى مکه.

3- و حتى من يريد مکه، فإنه لا يمنع من ذلک، و إنما يحتجز بمقدار ما يتأکد من أمره، فيسأل عنه.

4- لعل المقصود بالسؤال عن السالک إلى مکه هو: مراجعه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى أمره ..

5- إذا کان النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد حدد لتلک القوات الراصده و الضابطه للطرقات مسؤوليتها، و هو أن لا يدعوا أحدا يمر بهم ينکرونه إلا ردّوه .. فلماذا يطوف عمر بن الخطاب على الأنقاب، و يطلب منهم نفس هذا الطلب، و يصدر لهم نفس هذا الأمر؟!

و لسنا نشک فى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد حدد لأولئک

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 209 و المغازى للواقدى ج 2 ص 796 و السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 9 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 351.

الرجال المهمه التى انتد بهم لها- حتى لو لم يذكر لنا الحلبى أو غيره مضمون كلامه (صلى اللّه عليه و آله) لهم-.

فتكرار هذا الكلام على مسامعهم من عمر لا يقدم و لا يؤخر، لأن هذه هى مهمتهم التى انتدبوا لها، و هم ينفذون أوامر النبى (صلى اللّه عليه و آله) لا أوامر عمر .. إلا إذا كان عمر يريد أن يوحى لهم: بأنه قرين رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و نظيره، و أوامره كأوامره، و طاعته كطاعته ..

و اللافت هنا: أننا لا نجد هذه الحركات و أمثالها لدى أى من الصحابه الآخرين إلا من عمر بن الخطاب .. و إن شاركه غيره فى شى ء من ذلک فستجد أنه يسير فى نفس خطه، و من القريبين منه، أو من أهل الصفاء عنده، و تربطهما أو اصر موده و إلفه ..

إلى بطن إضم:

لما أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المسير إلى مكه، بعث أبا قتاده بن ربعى إلى بطن إضم، ليظن الظان: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) توجه إلى تلک الناحيه، و أن لا تذهب بذلک الأخبار (1).

و أبان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) المسير إلى قريش (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 211 عن ابن عقبه، و ابن إسحاق، و الواقدى، و غيرهم. و المغازى للواقدى ج 2 ص 296 و السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 9 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 133 و تاريخ مدينه دمشق ج 67 ص 149 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 347 و عيون الأثر ج 2 ص 177.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 211 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 353.

و أرسل إلى أهل الباديه، و من حولهم من المسلمين، يقول لهم: (من كان يؤمن باللّه و باليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينه) (1).

و هم أسلم و غفار، و مزينه و جهينه، و أشجع، و بعث إلى بنى سليم.

فأما بنو سليم فلقيته بقديد، و أما سائر العرب فخرجوا من المدينه (2).

و بعث رسلا فى كل ناحيه حتى قدموا على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (3).

قالوا: (و دعا رئيس كل قوم، فأمره أن يأتى قومه، فيستنفرهم) (4).

و قالوا أيضا: لما عزم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على فتح مكه- شرفها اللّه تعالى- كتب إلى جميع الناس فى أقطار الحجاز و غيرها، يأمرهم أن يكونوا بالمدينه فى شهر رمضان من سنه ثمان للهجره، فوافته الوفود و القبائل من كل جهه (5).

1- مكاتيب الرسول ج 1 ص 308 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 354 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 10.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 799 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 354 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 10.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 211 و المغازى للواقدى ج 2 ص 799 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 354 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 308.
4- البحار ج 21 ص 127 عن إعلام الورى (ط مؤسسه آل البيت) ج 1 ص 218.
5- شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 359 عن الواقدى، و الكافى ج 4 ص 249 و الوسائل ج 8 ص 158 و عن السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش السيره الحلبيه) ج 2 ص 298 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 308.

و قال حسان بن ثابت يحرض الناس و يذكر مصاب رجال خزاعه:

عنانى و لم أشهد ببطحاء مكهرجال بنى كعب تحز رقابها

بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم و قتلى كثير لم تجن ثيابها

ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى سهيل بن عمر و حرها و عقابها

فلا تأمننها يا ابن أم مجالدإذا احتلبت صرفا و أعصل نابها

و لا تجزعوا منها فإن سيوفنالها وقعه بالموت يفتح بابها (1) قال ابن إسحاق: و قول حسان: بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم: يعنى قريشا، و ابن أم مجالد: عكرمه بن أبى جهل (2).

و عسكر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ببئر أبى عنبه، و عقد الألويه و الرايات. فكان فى المهاجرين ثلاث رايات: رايه مع على، و رايه مع سعد بن أبى وقاص، ثم ذكر الواقدى سائر الرايات (3).

إشاره لما سبق:

و نقول:

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 211 و 212 و السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 9 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و البدايه و النهايه ج 4 ص 323 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 857 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 535.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 211 و 212 و السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 857.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 800 و إمتاع الأسماع ج 7 ص 168.

قد تحدثنا فی جزء سابق عن سریه بطن إضم، فلا نری حاجه للإعاده، و نکتفی بالإشاره إلی بضعه أمور هی التالیه:

النفیر العام:

إنه یبدو: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد استنفر جمیع العرب، بدوهم و حضرهم، قریبهم و بعیدهم، مسلمهم و کافرهم، ربما لأنه أراد أن یؤکد لهم سقوط جمیع حصون الشرک فی المنطقه، و أنه لم یعد هناک مبرر للتعامل بجفاء، أو عداء.

و علیهم الاعتراف بهیمنه الإسلام و قدرته و قوته، إذ إنهم لیسوا هدفا عسکریا له، و لا هو یرید أن یبتلعهم، أو أن یستغلهم.

بل هو یرید أن یتعاون معهم علی حل المشکلات، و ان یقف إلی جانبهم فی إقرار الأمن و السلام، و منع الظلم و التعدی. إذ هو یدعوهم إلی نصره المظلومین، و محاربه الظالمین، الذین ینقضون العهود، و یبطشون بالصبیان، و النساء، و الضعفاء .. فلماذا لا ینصرونه، و لا یکونون معه؟ فإن ذلک من مصلحتهم بلا ریب.

و یدل أنه قد جری علی استنفار جمیع العرب، النصوص المتقدمه نفسها، بالإضافه إلی أنه فی حرب خیبر، و فی غیرها، و هی حروب کبری، و صعبه و مصیریه، لم یستطع حشد أکثر من ألف و خمس مائه مقاتل مقابل أکثر من عشره آلاف مقاتل من الأعداء، کانوا مستقرین فی حصونهم، و مستعدین للمواجهه.

و لکنه جمع فی مؤته ثلاثه آلاف مقاتل ..

و قد قلنا: إن الظاهر هو: أنه قد نفر معه مئات من غير المسلمين أيضا، لأنهم أدركوا: أن خطر ملک الروم عظيم و جسيم، فلا بد لهم من الدفع عن أنفسهم، و حفظ حوزتهم، كما تقدم.

الحضور إلى المدينه فى شهر رمضان:

و قد كانت رسالته (صلى اللّه عليه و آله) إلى العرب هى: الطلب إليهم أن يحضروا إلى المدينه فى شهر رمضان، و لم يبين لهم سبب هذا الطلب، و لا الغايه من حضورهم، فهل هو يحضرهم لإبلاغهم أمرا، أو لمشاورتهم فيه، أو للاتفاق معهم على شى ء بعينه، أو لحرب أهل مكه، أو حرب غيرهم؟ إن ذلک لم تحدده لهم تلک الرسائل التى أرسلها إليهم ..

و حتى بعد أن ظهر أن القصد هو التجمع للحرب، فإن الأمر بقى غائما و مجهولا لهم، إلى أن سار بتلک الجموع مسافات طويله، ثم سلک طريق مكه ..

و لم نجد منهم أى تمرد أو تململ أو ضيق من هذا القرار القاضى بحجب معرفه المقصد عنهم، بل ربما يكون ذلک قد أشعرهم بخطوره الأمر و أهميته، و هيأهم لمواجهه أى خيار يفرض عليهم بصبر و شجاعه.

و إن هذا يشير بلا شک إلى مدى تسليم الناس لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و ثقتهم بتدبيره، رغم أنهم لم يكونوا كلهم- حسبما استظهرناه- من أهل الإيمان، و الإسلام.

إبان المسير إلى قريش:

قد تقدم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر عائشه بكتمان الأمر،

و أمر أبا بكر بذلک أيضا. و انه أرسل أبا قتاده إلى بطن إضم، و لم يعلمه بوجهه سيره لئلا تذهب بذلک الأخبار.

فما معنى قولهم هنا: إنه (صلى اللّه عليه و آله) أعلم الناس أنه سائر إلى مكه، و أمرهم بالجد و التجهيز (1)؟.

أو قولهم: (أبان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) السير إلى قريش، و أرسل إلى أهل الباديه الخ ..) (2).

و مما يؤكد التزام السريه فى هذا الأمر قولهم: (.. و أمر (صلى اللّه عليه و آله) الناس بالجهاز و طوى عنهم الوجه الذى يريده و قد قال له أبو بكر: يا رسول اللّه، أو ليس بيننا و بينهم مده؟

قال: إنهم غدروا و نقضوا العهد. واطو ما ذكرت لک ..) (3).

يضاف إلى ذلک: أن رساله حاطب بن أبى بلتعه لقريش تدل على أنه لم يكن على يقين من وجهه سيره (صلى اللّه عليه و آله)، حيث جاء فيها: (و إن محمدا قد نفر، فإما إليكم، و إما إلى غيركم).

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و (ط دار المعرفه) ص 9 و تفسير البغوى ج 4 ص 537 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و البدايه و النهايه ج 4 ص 323 و العبر و تاريخ المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 857 و عيون الأثر ج 2 ص 184 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 535.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 211 و تاريخ الخميس ج 2 ص 78 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 353 و 354 و مكاتيب الرسول ج 1 ص 308 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 10.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 74 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 352.

أو جاء فيها: (قد آذن بالغزوه، و لا أراه إلا يريدكم) (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و فتح البارى ج 12 ص 273 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 11.

الفصل الخامس: ابن أبى بلتعه .. يتجسس و يفتضح

اشاره

ص: 162

اکتشاف تجسس ابن أبی بلتعه لقریش:

و روی: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لما أجمع السیر إلی مکه، کتب حاطب بن أبی بلتعه کتابا إلی قریش یخبرهم بالذی أجمع علیه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من الأمر فی المسیر إلیهم، ثم أعطاه امرأه (1)، (سوداء کما فی البحار) زعموا أنها من مزینه.

قال محمد بن عمر: یقال لها: کنود (2).

قال ابن إسحاق: و زعم لی غیر ابن جعفر: أنها ساره مولاه لبعض بنی

1- البحار ج 21 ص 119 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 209 نیل الأوطار ج 8 ص 156 و فتح الباری ج 7 ص 400 و تخریج الأحادیث و الآثار للزیلعی ج 3 ص 450 و جامع البیان للطبری ج 28 ص 76 و تفسیر القرآن العظیم ج 4 ص 370 و الثقات لابن حبان ج 4 ص 41 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و البدایه و النهایه ج 4 ص 323 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 376 و السیره النبویه لابن هشام ج 4 ص 858 و عیون الأثر ج 2 ص 184 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 536.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 209 و المغازی للواقدی ج 2 ص 798 و تخریج الأحادیث و الآثار للزیلعی ج 3 ص 450 و نیل الأوطار ج 8 ص 156 و البدایه و النهایه ج 4 هامش ص 324 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 352.

المطلب (1).

و زعم مغلطای: أن حامله الرساله هی: أم ساره و اسمها کنود (2).

و جعل لها جعلا (3).

قال محمد بن عمر: دینارا (4).

1- فی البحار ج 21 ص 125 و 136 و 137 عن إعلام الوری: أنها مولاه أبی لهب. و عن تفسیر فرات ص 183 و 184 و المغازی للواقدی ج 2 ص 799 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 78 و نیل الأوطار ج 8 ص 156 و تخریج الأحادیث و الآثار للزیلعی ج 3 ص 450 و جامع البیان للطبری ج 28 ص 76 و تفسیر القرآن العظیم ج 4 ص 370 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 327 و البدایه و النهایه ج 4 ص 323 و السیره النبویه لابن هشام ج 4 ص 858 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 536.
2- تاریخ الخمیس ج 2 ص 79 و راجع: فتح الباری (المقدمه) ص 288 و 301 و عمده القاری ج 14 ص 254 و ج 17 ص 274 و عون المعبود ج 7 ص 223 و تفسیر الآلوسی ج 28 ص 66 و تاریخ مدینه دمشق ج 29 ص 30 و الإصابه ج 8 ص 398.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 10 ص 64 و السیره الحلبیه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 10 و البحار ج 21 ص 119 و 136 و تفسیر فرات ص 480 و تفسیر مقاتل بن سلیمان ج 3 ص 349 و عیون الأثر ج 2 ص 184 و الإرشاد ج 1 ص 56 و شجره طوبی ج 2 ص 301 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 266 و جامع البیان للطبری ج 28 ص 76 و تفسیر ابن زمنین ص 376 و تفسیر القرآن العظیم ج 4 ص 370 و تاریخ الأمم و الملوک 2 ص 327 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 376 و أعیان الشیعه ج 1 ص 275 و 408 و عیون الأثر ج 2 ص 184 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 536 و شرح إحقاق الحق ج 31 ص 8.
4- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 209 و المغازی للواقدی ج 2 ص 798 و عمده القاری ج 17 ص 274 و نیل الأوطار ج 8 ص 156 و فتح الباری ج 7 ص 400.

و قيل: عشره دنانير (1).

أضاف الحلبى قوله: و كساها بردا (2)، على أن تبلغه أهل مكه.

و عن ابن عباس: أعطاها عشره دنانير (3).

و عن مقاتل: عشره دراهم و كساها بردا (4).

و قال لها: أخفيه ما استطعت، و لا تمرى على الطريق، فإن عليه

1- السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 10 و البحار ج 21 ص 94 و نيل الأوطار ج 8 ص 156 و فتح البارى ج 7 ص 400 و ج 12 ص 273 و عمده القارى ج 14 ص 255 و تاريخ الأحاديث و الآثار ج 3 ص 447 و حقائق التنزيل و عيون الأقاويل للزمخشرى ج 4 ص 88 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 446 و تفسير الثعلبى ج 9 ص 291 و تفسير البغوى ج 4 ص 329 و تفسير النسفى ج 4 ص 235 و تفسير الرازى ج 29 ص 269.
2- السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 10 و مغازى الواقدى ج 2 ص 799 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و فتح البارى ج 12 ص 273 و عمده القارى ج 14 ص 255 و تاريخ الأحاديث و الآثار ج 3 ص 447 حقائق التنزيل و عيون الأقاويل للزمخشرى ج 4 ص 88 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 446 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 300 و تفسير الثعلبى ج 9 ص 291 و تفسير البغوى ج 4 ص 329 و تفسير النسفى ج 4 ص 235 و تفسير الرازى ج 29 ص 269.
3- البحار ج 21 ص 94 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 446 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 300 و تفسير الثعلبى ج 9 ص 291.
4- البحار ج 21 ص 94 عن مجمع البيان ج 9 ص 269 و 270 و تفسير الثعلبى ج 9 ص 291 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 370.

حرسا (1).

فجعلته فی رأسها، ثم فتلت علیه قرونها، ثم خرجت به، فسلکت غیر نقب عن یسار المحجه فی الفلوق حتی لقیت الطریق بالعقیق (2).

نص الکتاب:

و ذکر السهیلی أنه قیل: إنه کان فی کتاب حاطب: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد توجه إلیکم بجیش کاللیل، یسیر کالسیل، و أقسم باللّه لو سار إلیکم و حده لنصره اللّه تعالی علیکم، فإنه منجز له ما وعده فیکم، فإن اللّه- تعالی- ناصره و ولیه (3).

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 799 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 209 و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 10 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 79 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 352.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 209 عن أحمد، و مسلم، و البخاری، و النسائی، و الترمذی، و أبو داود عن أبی رافع عن علی، و أبو یعلی، و الحاکم و الضیاء عن عمر بن الخطاب. و الإمام أحمد، و عبد بن حمید عن جابر، و ابن مردویه عن أنس، و ابن مردویه عن سعید بن جبیر، و ابن إسحاق عن عروه، و ابن مردویه عن عبد الرحمن عن حاطب بن أبی بلتعه، و محمد بن عمر عن شیوخه. و راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 75 و البحار ج 21 ص 119 و 120 عن الإرشاد للمفید، و المغازی للواقدی ج 2 ص 799 و إمتاع الأسماع ج 2 ص 352.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 210 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 79 و السیره الحلبیه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 11 و نیل الأوطار ج 8 ص 156 و فتح الباری ج 7 ص 401 و عمده القاری ج 17 ص 173 و تفسیر القرطبی ج 18 ص 50 و تفسیر الآلوسی ج 28 ص 66 و البدایه و النهایه ج 4 ص 324 و الشفا بتعریف حقوق المصطفی ج 1 ص 342 و عیون الأثر ج 2 ص 205 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 537.

و عند الطبرسی: أنه کتب لقریش: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خارج إلیکم یوم کذا و کذا (1).

و فی تفسیر ابن سلام: أنه کان فیه: إن محمدا (صلی اللّه علیه و آله) قد نفر فإما إلیکم، و إما إلی غیرکم، فعلیکم الحذر. انتهی (2).

و ذکر ابن عقبه الواقدی: أن فیه: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد آذن بالغزو، و لا أراه إلا یریدکم، و قد أحببت أن یکون لی ید بکتابی إلیکم (3).

و عند الطبرسی: من حاطب بن أبی بلتعه إلی أهل مکه: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یریدکم، فخذوا حذرکم (4).

1- البحار ج 21 ص 125 عن إعلام الوری (ط مؤسسه الوفاء) ج 1 ص 216.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 210 و السیره الحلبیه ج 3 ص 75 و البدایه و النهایه ج 4 ص 324 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 537 و راجع: البحار ج 21 ص 137 و تفسیر فرات ص 183 و 184 و (ط مؤسسه الطبع و النشر- طهران) ص 480 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 79.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 210 و السیره الحلبیه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 11 و راجع: فتح الباری ج 12 ص 273.
4- البحار ج 21 ص 94 و مجمع البیان ج 9 ص 269 و 270 و (ط مؤسسه الأعلمی) ج 4 ص 455 و المغازی للواقدی ج 2 ص 798 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 79 و السنن الکبری للبیهقی ج 9 ص 147 و عمده القاری ج 14 ص 255 و تخریج الأحادیث و الآثار ج 3 ص 447 و تفسیر نور الثقلین ج 5 ص 300 و تفسیر المیزان ج 9 ص 63 و تفسیر الثعلبی ج 4 ص 346 و ج 9 ص 291 و تفسیر مقاتل بن سلیمان ج 3 ص 347 و أسباب نزول الآیات ص 282 و تفسیر البغوی ج 4 ص 329 و تفسیر النسفی ج 4 ص 235 و تفسیر الرازی ج 32 ص 153 و تفسیر القرطبی ج 18 ص 51 و تفسیر البیضاوی ج 5 ص 325 و تفسیر القرآن العظیم ج 2 ص 313 و الدر المنثور ج 3 ص 178 و تفسیر أبی السعود ج 8 ص 235.

التدخل الإلهى:

قال القمى: (إن حاطب بن أبى بلتعه كان قد أسلم و هاجر إلى المدينه، و كان عياله بمكه. و كانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فصاروا إلى عيال حاطب، و سألوهم أن يكتبوا إلى حاطب، يسألوه عن خبر محمد (صلى اللّه عليه و آله): هل يريد أن يغزو مكه؟! فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلک) (1).

فكتب إليهم حاطب: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يريد ذلک، و دفع الكتاب إلى امرأه تسمى (صفيه) فوضعته فى قرونها الخ ..

و أتى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبى طالب، و الزبير بن العوام (2).

1- البحار ج 21 ص 112 و ج 72 ص 388 و شجره طوبى ج 2 ص 301 و تفسير القمى ج 2 ص 361 و التفسير الصافى ج 5 ص 161 و ج 7 ص 165 و تفسير الميزان ج 19 ص 234.
2- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و ج 10 ص 64 و البحار ج 21 ص 112 و 120 و ج 72 ص 388 و تفسير القمى ج 2 ص 361 و التفسير الصافى ج 5 ص 161 و ج 7 ص 165 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 199 و تفسير الميزان ج 19 ص 134 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 266 و جامع البيان للطبرى ج 28 ص 76 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 370 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و البدايه و النهايه ج 2 324 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 352 و ج 13 ص 376 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 858 و عيون الأثر ج 2 ص 184 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 536 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 11.

زاد أبو رافع: المقداد بن الأسود (1).

و غير ابن إسحاق، يقول: بعث عليا و المقداد (2).

و فى روايه عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على: أبا مرثد، بدل المقداد (3).

و فى الحلبيه: بعث عليا (عليه السلام)، و الزبير، و طلحه، و المقداد.

و قيل: بعث عليا، و عمارا، أو الزبير، و طلحه، و المقداد، و أبا مرثد.

و لا مانع من أن يكون بعث الكل.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و ج 10 ص 64 و عيون الأثر ج 2 ص 184 و السيره الحلبيه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 11 و المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطيه الأندلسى ج 5 ص 293 و تفسير القرطبى ج 18 ص 51.
2- عيون الأثر ج 2 ص 184.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و ج 10 ص 64 و عيون الأثر ج 2 ص 184 و السيره الحلبيه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 11 و المحرر الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطيه الأندلسى ج 5 ص 293 و تفسير القرطبى ج 18 ص 51.

و بعض الرواه اقتصر على بعضهم (1).

و زاد الطبرسى: عمر.

و كانوا كلهم فرسانا (2).

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أدرک امرأه قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم) (3).

و لفظ أبى رافع: (انطلقوا حتى تأتوا روضه خاخ، فإن بها ظعينه معها كتاب) فخرجوا (4)- و فى لفظ: فخرجا- حتى إذا كان بالخليقه، خليقه بنى

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 11.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 75 و البحار ج 21 ص 94 عن مجمع البيان ج 9 ص 269 و 270 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 446 و المغازى للواقدى ج 2 ص 797 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و عمده القارى ج 14 ص 255 و ج 19 ص 229 و تفسير جوامع الجامع ج 3 ص 542 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 300 و تفسير الثعلبى ج 9 ص 291 و أسباب نزول الآيات للواحدى ص 282 و تفسير القرطبى ج 18 ص 51 و تأويل الآيات لشرف الدين الحسين ج 2 ص 683.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 858 و عيون الأثر ج 2 ص 184 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 11 موسوعه الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) فى الكتاب و السنه و التاريخ للريشهرى ج 1 ص 274.
4- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و قال فى هامشه: أخرجه البخارى 6/ (3007) (4890) و مسلم ص 3/ (1941) حديث (161) و أبو داود فى الجهاد، و أحمد 1/ 79 و الترمذى فى تفسير سوره الممتحنه، و البيهقى فى الدلائل 5/ 16. و راجع: البحار ج 21 ص 94 عن مجمع البيان ج 9 ص 269 و 270 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 446 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و كتاب الأم للشافعى ج 4 ص 264 و المجموع للنووى ج 19 ص 340 و كتاب المسند للشافعى ص 316 و مسند أحمد ج 1 ص 79 و صحيح البخارى ج 6 ص 60 و سنن أبى داود ج 1 ص 597 و سنن الترمذى ج 5

ص 82 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 146 و عمده القارى ج 14 ص 254 و ج 17 ص 273 و ج 19 ص 229 و مسند الحميدى ج 1 ص 27 و منتخب مسند عبد بن حميد ص 57 و مسند أبى يعلى ج 1 ص 316 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 424 و معرفه السنن و الآثار للبيهقى ج 7 ص 102 و تخريج الأحاديث و الآثار ج 3 ص 447 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 301 و تفسير جامع البيان ج 28 ص 74 و أسباب نزول الآيات ص 283 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 369 و أسد الغابه ج 1 ص 361 و تفسير البغوى ج 4 ص 328 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 525 و البدايه و النهايه ج 4 ص 324.

أحمد الخ ..

و فی الحلبیه: (فخذوه منها و خلوا سبیلها، فإن أبت فاضربوا عنقها) (1).

و قال المفید: فاستدعی أمیر المؤمنین (علیه السلام) و قال له: (إن بعض أصحابی قد کتب إلی أهل مکه یخبرهم بخبرنا، و قد کنت سألت اللّه أن یعمی أخبارنا علیهم. و الکتاب مع امرأه سوداء قد أخذت علی غیر الطریق، فخذ سیفک و الحقها، و انتزع الکتاب منها، و خلها، و صربه إلی).

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 11 و تفسیر فرات ص 183 و 184 و البحار ج 21 ص 136 و 137 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 89 و راجع: تفسیر الثعلبی ج 9 ص 291 و أسباب نزول الآیات ص 282 و تفسیر القرطبی ج 18 ص 51 و مطالب السؤول ص 197 و کشف الغمه ج 1 ص 179.

ثم استدعى الزبير بن العوام و قال له: (امض مع على بن أبى طالب فى هذا الوجه).

فمضيا، و أخذا على غير الطريق، فأدركا المرأه، فسبق إليها الزبير، فسألها عن الكتاب الذى معها فأنكرت، و حلفت: أنه لا شى ء معها، و بكت.

فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتابا، فارجع بنا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نخبره ببراءه ساحتها.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يخبرنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن معها كتابا و يأمرنى بأخذه منها، و تقول أنت: إنه لا كتاب معها؟!!

ثم اخترط السيف، و تقدم إليها، فقال: أما و اللّه لئن لم تخرجى الكتاب لأكشفنک، ثم لأضربن عنقک.

فقالت: إذا كان لا بد من ذلک فأعرض يا ابن أبى طالب بوجهک عنى، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها، و أخرجت الكتاب من عقيصتها، فأخذه أمير المؤمنين (عليه السلام)، و صار به إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله).

فأمر أن ينادى: (الصلاه جامعه)، فنودى فى الناس، فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم.

ثم صعد النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى المنبر، و أخذ الكتاب بيده و قال: (أيها الناس إنى كنت سألت اللّه عز و جل أن يخفى أخبارنا عن قريش، و إن رجلا منكم كتب إلى أهل مكه يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب و إلا فضحه الوحى).

فلم يقم أحد، فأعاد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مقالته ثانيه،

و قال: (ليقم صاحب الكتاب و إلا فضحه الوحى).

فقام حاطب بن أبى بلتعه، و هو يرعد كالسعفه فى يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول اللّه صاحب الكتاب، و ما أحدثت نفاقا بعد إسلامى، و لا شكا بعد يقينى.

فقال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): (فما الذى حملک على أن كتبت هذا الكتاب)؟

قال: يا رسول اللّه، إن لى أهلا بمكه، و ليس لى بها عشيره، فأشفقت أن تكون دائره لهم علينا، فيكون كتابى هذا كفا لهم عن أهلى، و يدا لى عندهم، و لم أفعل ذلک للشک فى الدين.

فقام عمر بن الخطاب و قال: يا رسول اللّه مرنى بقتله، فإنه منافق.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (إنه من أهل بدر. و لعل اللّه تعالى اطّلع عليهم فغفر لهم. أخرجوه من المسجد).

قال: فجعل الناس يدفعون فى ظهره حتى أخرجوه، و هو يلتفت إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ليرق عليه، فأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بردّه، و قال له: (قد عفوت عنک و عن جرمک، فاستغفر ربک، و لا تعد لمثل ما جنيت) (1).

و فى نص آخر: (فخرج على و الزبير، لا يلقيان أحدا حتى وردا ذا الحليفه، و كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) وضع حرسا على المدينه. و كان

1- البحار ج 21 ص 119- 121 و ص 125 و 126 عن الإرشاد للمفيد ج 1 ص 56- 59 و راجع: إعلام الورى ج 1 ص 384 و أعيان الشيعه ج 1 ص 408.

على الحرس حارثه بن النعمان، فأتيا الحرس فسألاهم، فقالوا: ما مر بنا أحد.

ثم استقبلا حطّابا فسألاه، فقال: رأيت امرأه سوداء انحدرت من الحره، فأدركاها فأخذ على منها الكتاب، وردها إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فدعا حاطبا، فقال له: انظر ما صنعت ..

قال: أما و اللّه، إنى لمؤمن الخ .. (1).

و قال ابن عقبه: أدركاها ببطن ريم، فاستنزلاها فحلفت، فالتمساه فى رحلها، فلم يجدا شيئا، فهموا بالرجوع، فقال لها على بن أبى طالب- رضى اللّه عنه-: إنى أحلف باللّه ما كذب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و ما كذبنا، و لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنک.

و عند القمى: ما كذبنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا كذب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على جبرئيل، ثم و لا كذب جبرئيل عن اللّه جل ثناؤه، و اللّه لتظهرن الكتاب أو لأوردن رأسک إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الخ .. (2). (زاد فى الحلبيه: أو أضرب عنقک).

و فى مجمع البيان: و سل سيفه و قال: (أخرجى الكتاب، و إلا و اللّه

1- البحار ج 21 ص 125 عن إعلام الورى ج 1 ص 216.
2- البحار ج 21 ص 112 و ج 72 ص 388 و تفسير القمى ج 2 ص 361 و التفسير الصافى ج 5 ص 161 و ج 7 ص 165 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 299 و تفسير الميزان ج 19 ص 234.

لأضربن عنقک) (1).

فلما رأت الجد، قالت: أعرضا. فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الکتاب منها، فدفعته إليه.

فخلوا سبيلها، و لم يتعرضوا لها و لا لما معها، فأتى به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعه إلى أناس من المشرکين من أهل مکه يخبرهم ببعض أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فدعا حاطبا، فقال: يا حاطب، ما حملک على هذا؟

قال: يا رسول اللّه. إنى و اللّه لمؤمن باللّه و رسوله، ما غيرت، و لا بدلت، و لکنى کنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل و لا عشيره، و کان لى بين أظهرهم ولد و أهل، فصانعتهم عليهم (2).

1- تفسير مجمع البيان (ط مؤسسه الأعلمى) ج 9 ص 446 البحار ج 21 ص 94 و ج 41 ص 8 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 301 و تأويل الآيات لشرف الدين الحسينى ج 3 ص 683 و عين العبره فى غبن العتره لأحمد بن طاووس ص 27 و مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج 1 ص 405 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) لأحمد الرحمانى الهمدانى ص 777.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 12 و البحار ج 21 ص 94 و 112 و 136 و 137 و مجمع البيان ج 9 ص 269 و 270 و تفسير فرات ص 183 و 184 و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 797 و 798 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 370 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و الکامل فى التاريخ ج 2 ص 242 و البدايه و النهايه ج 4 ص 324 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 858 و عيون الأثر ج 2 ص 185 و السيره النبويه لابن کثير ج 3 ص 537.

و فی نص آخر: أنها أخرجت الکتاب من حجزتها، و الحجزه معقد الإزار و السراویل (1).

و حسب نص أورد فی البحار: أن حاطبا قال: و اللّه ما کفرت منذ أسلمت، و لا غششتک منذ صحبتک، و لا أجبتهم منذ فارقتهم، و لکن لم یکن أحد من المهاجرین إلا و له بمکه من یمنع عشیرته، و کنت (عریرا) عزیزا فیهم. (العریر: الغریب)، و کان أهلی بین ظهرانیهم، فخشیت علی أهلی، فأردت أن أتخذ عندهم یدا، و قد علمت أن اللّه ینزل بهم بأسه، و إن کتابی لا یغنی عنهم شیئا.

فصدقه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و عذره، فقام عمر بن الخطاب و قال: دعنی یا رسول اللّه أضرب عنق هذا المنافق.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): و ما یدریک یا عمر، لعل اللّه اطّلع علی أهل

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 75 و (ط دار المعرفه) ص 11 و عمده القاری ج 15 ص 12 و راجع: الخرائج و الجرائح ج 1 ص 60 و البحار ج 18 ص 110 و صحیح البخاری ج 4 ص 39 و مجمع الزوائد ج 6 ص 136 و عمده القاری ج 14 ص 255 و ج 15 ص 11 و تحفه الأحوذی ج 9 ص 141 و مسند بن أبی یعلی ج 1 ص 320 و تخریج الأحادیث ج 3 ص 449 و 451 و کنز العمال ج 10 ص 523 و جامع البیان ج 28 ص 76 و أحکام القرآن لابن العربی ج 4 ص 224 و المحرر الوجیز فی تفسیر القرآن العزیز لابن عطیه الأندلسی ج 5 ص 293 و تفسیر القرطبی ج 18 ص 51 و التسهیل لعلوم التنزیل للغرناطی الکلبی ج 4 ص 112 و تفسیر القرآن العظیم ج 4 ص 370 و إمتاع الأسماع ج 9 ص 123 و ج 13 ص 376 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 280.

بدر، فغفر لهم، فقال لهم: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم (1).

و فی نص القمی: (و لكن أهلی و عيالی كتبوا إلی بحسن صنيع قريش إليهم، فأحببت أن أجازی قريشا بحسن معاشرتهم، فأنزل اللّه الخ ..) (2).

و لفظ أبی رافع، فقال: يا رسول اللّه لا تعجل علی، إنی كنت امرءا ملصقا فی قريش، و لم أكن من أنفسهم، و كان من معک من المهاجرين لهم قرابه يحمون أموالهم بها و أهليهم بمكه، و لم يكن لی قرابه، فأحببت إذ فاتنی ذلک من بينهم أن أتخذ فيهم يدا أحمی بها قرابتی. و ما فعلت ذلک كفرا بعد إسلام.

1- البحار ج 21 ص 94 و 95 عن مجمع البيان ج 9 ص 269 و 270 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و مسند أبی يعلی ج 1 ص 318 و 319 و 321 و الدرر لابن عبد البر ص 214 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 266 و تخريج الأحاديث و الآثار ج 3 ص 448 و جامع البيان للطبری ج 28 ص 77 و أسباب نزول الآيات 283 و تفسير البغوی ج 4 ص 329 و راجع: تفسير السمرقندی ج 3 ص 413 و المحرر الوجيز فی تفسير القرآن العزيز لابن عطيه الأندلسی ج 5 ص 293 و زاد المسير ج 8 ص 3 و تفسير الرازی ج 32 ص 153 و التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطی الكلبی ج 4 ص 112 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 42 و البدايه و النهايه ج 4 ص 324 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و عيون الأثر ج 2 ص 185 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 537 و السيره الحلبی (ط دار المعرفه) ج 3 ص 12 و شرح إحقاق الحق ج 31 ص 7.
2- البحار ج 21 ص 112 و ج 72 ص 388 و التفسير الأصفی ج 2 ص 1290 و التفسير الصافی ج 5 ص 161 و ج 7 ص 166 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 300 و تفسير الميزان ج 19 ص 235 و تفسير القمی ج 2 ص 362.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (إنه قد صدقكم).

فقال عمر لحاطب: قاتلک اللّه!! ترى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يأخذ بالأنقاب و تكتب إلى قريش تحذرهم؟! دعنى يا رسول اللّه أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق ..

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (ما يدريک يا عمر أن اللّه عز و جل اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)؟!

فاغر و رقت عينا عمر، و قال: اللّه و رسوله أعلم، حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 210 و 211 و تفسير الرازى ج 29 ص 297 و ج 32 ص 154 و السيره الحلبيه ج 3 ص 75 و 76 و (ط دار المعرفه) ص 12 و راجع: المغازى للواقدى ج 2 ص 798 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و راجع: كتاب الأم للشافعى ج 4 ص 264 و المجموع للنووى ج 19 ص 341 و نيل الأوطار للشوكانى ج 8 ص 154 و 156 و الإيضاح لابن شاذان ص 507 و شرح الأخبار ج 2 ص 301 و البحار ج 21 ص 95 و مواقف الشيعه ج 2 ص 255 و كتاب المسند للشافعى ص 316 و مسند أحمد ج 1 ص 80 و صحيح البخارى ج 4 ص 19 و ج 5 ص 89 و ج 6 ص 60 و صحيح مسلم ج 7 ص 168 و سنن أبى داود ج 1 ص 597 و سنن الترمذى ج 5 ص 83 و السنن الكبرى للبيهقى ج 9 ص 146 و عمده القارى ج 14 ص 254 و ج 17 ص 247 و مسند الحميدى ج 1 ص 28 و السنن الكبرى ج 6 ص 487 و مسند أبى يعلى ج 1 ص 316 و 321 و صحيح ابن حبان ج 14 ص 425 و معرفه السنن و الآثار ج 7 ص 102 و الدرر لابن عبد البر ص 214 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 266 و تخريج الأحاديث ج 3 ص 448 و كنز العمال ج 10 ص 522 و ج 14 ص 69 و تفسير مجمع البيان ج 9 ص 446 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 301 و تفسير الميزان ج 19 ص 236 و أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعى ج 2 ص 48 و جامع البيان ج 28 ص 75 و 77 و تفسير الثعلبى ج 9 ص 292 و أسباب نزول الآيات ص 283 و تفسير البغوى ج 4 ص 328 و 329 و تفسير النسفى ج 4 ص 236 و أحكام القرآن لابن العربى ج 4 ص 224 و المحرر

الوجيز فى تفسير القرآن العزيز لابن عطيه الأندلسى ج 5 ص 293 و زاد المسير ج 8 ص 3 و تفسير القرطبى ج 18 ص 50 و التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطى الكلبى ج 4 ص 112 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 369 و 370 و الدر المنثور ج 6 ص 203 و فتح القدير ج 5 ص 211 و تفسير الآلوسى ج 28 ص 66 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 42 و أسد الغابه ج 1 ص 361 و مناقب على بن أبى طالب (عليه السلام) للأصفهانى ص 154 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 242 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 526 و 527 و الوافى بالوفيات ج 11 ص 210 و البدآيه و النهايه لابن كثير ج 3 ص 398 و ج 4 ص 325 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 538.

و أنزل اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِى وَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ فِى إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَهُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ وَ ما أَمْلِکُ لَکَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْ ءٍ رَبَّنا عَلَیْکَ تَوَکَّلْنا وَ إِلَیْکَ أَنَبْنا وَ إِلَیْکَ الْمَصِیرُ (1) (2).

و نقول:

إن لنا هنا وقفات:

لعلها عده رسائل:

قد يقال: إن نصوص الروايه المختلفه تشير إلى أن حاطبا قد كتب لقريش عده رسائل، و لعل بعضها قد قصد به التعميه على الناس فيما لو انكشف الأمر، حيث يمكن لحامل الرساله أن يظهر إحدى تلك الرسائل، فينصرف المفتشون عما سواها، و ربما تكون رساله واحده، ذكر كل راو بعض فقراتها، و اقتصر عليه.

و لعله كتب الرساله على فترات، كما احتمله الحلبى (3).

و إن كنّا لم نستطع أن نفهم معنى معقولا لهذا الاحتمال الأخير ..

غير أننا رغم معقوليه سائر الاحتمالات نقول:

سيأتى: أن الأقرب هو أنه لم يرسل سوى رساله واحده، و هى تلك

1- الآيات 1- 4 من سوره الممتحنه.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و البحار ج 21 ص 112 عن تفسير القمى ص 674 و 675 و (ط مؤسسه دار الكتاب- قم) ج 1 ص 11. و المغازى للواقدى ج 2 ص 798 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و راجع: أغلب المصادر فى الهامش السابق.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 75.

التی یعبر فیها حاطب عن عدم معرفته بمقصد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أنه یرید لهم أن یکونوا علی حذر. و ستأتی مبررات ذلک عن قریب إن شاء اللّه تعالی.

مقدار الجعل علی حمل الرساله:

و نحن نشک فی أن یکون الجعل الذی أعطاه حاطب لتلک المرأه لکی تحمل الرساله إلی مکه هو دینار واحد، أو نحو ذلک، فإنها قیمه زهیده لا یرغب بها راغب، و لا سیما مع هذه الأخطار التی قد تتعرض لها.

إلا إذا فرض: أن تلک المرأه هی ساره التی قدمت من مکه، و ترید أن ترجع إلی بلدها .. أو أنها امرأه أخری مضطره للسفر علی کل حال، و قد أرادت أن تسدی هذه الخدمه للمشرکین، و تستفید بعض المال أیضا عن هذا الطریق.

هل نافق حاطب؟!:

و ذکر الحلبی: أن مراد عمر بقوله عن حاطب: قد نافق: أنه خالف الأمر، لا أنه أخفی الکفر، لقوله (صلی اللّه علیه و آله): قد صدقکم، و لا تقولوا له إلا خیرا. و علیه یشکل قول عمر المذکور، و دعاؤه علیه بقوله:

قاتلک اللّه.

إلا أن یقال: یجوز أن یکون قول عمر له ذلک کان قبل قول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) ما ذکر (1).

1- راجع: السیره الحلبیه ج 3 ص 76 و (ط دار المعرفه) ص 13.

غير أننا نقول:

إن ذلک لا يدفع الإشكال، فإن مخالفته الأمر لا توصف بأنها نفاق، فيبقى السؤال المذكور. إلا إن كان يريد أنه قد فعل فعل المنافق، من حيث إنه كان يظهر للمسلمين إخلاصه، و لكنه يفعل فى الباطن خلاف ما يظهره ..

و لكنه بعد انكشاف أمره قد صدق فى كلامه حين أخبرهم بالأسباب التى حملته على هذا الفعل النفاقى ..

المخبأ العتيد:

و يلاحظ هنا: أن تلک المرأه قد خبأت الكتاب فى شعرها، و فتلت عليه قرونها. أو خبأته فى حجزتها، و هو معقد السراويل كما فى روايه أخرى ..

لأنها كانت تدرک تحرّج المسلمين من النظر إلى شعور النساء، أو من تجريدهن بحيث يظهر لهم المخبأ فى معقد السراويل، لأن ذلک حرام شرعا، و يفترض بهم أن يلتزموا بأحكام الشرع، و حتى لو كشفوا رأسها، أو انكشف قهرا بسبب حركه عنيفه، أو بريح شديده، فإن ذلک لا يضر، لأن الكتاب كان فى داخل الشعر المفتول.

الفضل لعلى عليه السّلام:

و قد كان الفضل لعلى (عليه السلام) فى كشف أمر تلک المرأه. أما الذين كانوا معه فقد أقنعهم قولها، و أرادوا تخليه سبيلها. بل إن الزبير حكم ببراءتها من هذا الأمر الذى انتدبهم إليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و لم يطالبوها بكشف رأسها، و لا بنقض شعرها المفتول ..

و قد اخطأوا فی ذلک من جهتین:

أولاهما: أنهم لم یراعوا أوامر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) المسدد بالوحی الذی یریه الواقع کما هو.

الثانیه: أن ظاهر حالها لا بد من أن یشی بلزوم الریبه بها لأن نفس المسالک التی سلکتها لا بد من أن تثیر شکوکهم فی أمرها .. حتی لو لم یخبرهم رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بشی ء.

و ذلک لأنها ترکت الطرقات السهله، و التی اعتاد الناس سلوکها، و اختارت السیر فی القفار و الشعاب فتره طویله، ثم عادت إلی الطریق فی (العقیق) ..

فأخذوها هناک، و کشف أمرها علی (علیه السلام)، و لا یسلک هذه المسالک إلا هارب أو خائف، أو من یخفی شیئا خطیرا یرید ان ینفذه إلی بلاد أخری.

الحرس علی الطریق وشی بالخائن:

إن حاطب بن أبی بلتعه یوصی حامله رسالته بأن لا تمر علی الطریق، فإن علیه حرسا، فترکت الطریق و سارت فی القفار و الفجاج مقدارا طویلا، ثم عادت لتسلک الطریق فی منطقه (العقیق).

و من البدیهی: أنه لا یمکنها الوصول إلی مکه بسلوک متاهات الصحاری و القفار، و ترک الجاده، لأن ذلک یعرضها لکثیر من المفاجآت و الأخطار، بل هو یؤدی بها إلی الهلاک و البوار.

و لأجل ذلک أخذ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) المسالک علی کل

سالک و وضع الحرس علیها، لأنه (صلی اللّه علیه و آله) یعلم: کل من تنکّب الطریق لا بد من أن یعود إلیها و لو بعد حین.

رساله تهدید أم تحذیر؟!:

و قد ذکروا بعض النصوص لرساله حاطب التی قد یقال: إنها أشبه بالتهدید منها بالإخبار لهم مما یراد بهم. ففیها: (أقسم باللّه لو سار إلیکم وحده لنصره اللّه علیکم، فإنه منجز له ما وعده اللّه فیکم، فإن اللّه ناصره و ولیه).

ثم یقال: لو صح أن هذا هو النص الذی کتبه إلیهم حاطب لاستحق علیه المدح و الثناء، و التقدیر، لا الملامه و التوبیخ .. و لکان ینبغی إنفاد الرساله إلیهم، و عدم مصادرتها.

غیر أننا نقول:

إن هذه الکلمات لا تکفی لإعطاء هذا الانطباع، لأنها قد تکون لأجل التغطیه علی الخبر الأهم الذی أتحفهم به، أو یکون قد ساق هذه العبارات لیتذرع بها- لو انکشف الأمر- و یدّعی: أنه لا یقصد إلا بث الرعب و الیأس فی قلوب الأعداء، علما بأن ذلک لن یجدیه نفعا بعد ما صرح لهم فی رسالته بما کان الرسول (صلی اللّه علیه و آله) قد حذّر الناس من إخبارهم به، و جعل الأرصاد علی الطرقات، من أجل تلافی حصوله .. و بذلک یکون حاطب قد عرّض نفسه للإدانه علی کل حال .. و جعلها فی موضع الخذلان و الخسران، و لا ینفعه المراء و الجدل.

دقه معلومات حاطب:

و نحن لا نستطيع أن نتقبل ما ورد فی بعض المصادر من أن حاطبا قد کتب لقریش: إن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خارج إلیکم یوم کذا و کذا .. (1).

و لا أن نقبل الروایه التی تقول: إنه کتب إلیهم: إن رسول اللّه یریدکم فخذوا حذرکم (2).

و ذلک لسببین:

أحدهما: أن أحدا لم یستطع أن یعرف وجهه سیر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، حتی سار بجیشه مسافات طویله کما ظهر فی جزء سابق حین الکلام حول سریه أبی قتاده إلی بطن إضم.

الثانی: أنه حتی لو علم حاطب بأن المقصود هو غزو مکه، و لکن من أین یستطیع تحدید یوم خروج رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بذلک الجیش، و أنه یوم کذا؟ فإن ذلک لا یتلاءم مع هذه السرّیه الفائقه التی کان (صلی اللّه علیه و آله) یعتمدها.

و قد ظهرت الکثیر من الدلائل و الشواهد علی دقته البالغه فی مراعاتها و الحفاظ علیها، بحیث لا یستطیع حاطب و سواه أن یعلم بهذا التاریخ الدقیق.

1- إعلام الوری (ط مؤسسه آل البیت) ج 1 ص 216 و البحار ج 21 ص 125 عنه.
2- البحار ج 21 ص 94 عن مجمع البیان ج 9 ص 269 و 270 و المغازی للواقدی ج 2 ص 798 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 79 و مصادر کثیره تقدمت.

و الصحيح فى الأمر هو أنه كتب إليهم يقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد آذن بالغزو، إما إليكم أو إلى غيركم.

و قد أحب أن يخبرهم بذلک ليكونوا على حذر، لاحتمال أن يكون قصده إليهم.

خبر السماء:

و يأتى التأييد بالوحى الإلهى فى خصوص موضوع سريه التحرک و هدفه الأقصى ليبعث اليأس فى نفوس المنافقين، و المتزلفين، و الخانعين، و المتآمرين، و ليقول لهم: إنكم غير قادرين على اختراق حاجز الرقابه هذا، فإن المؤمنين حتى لو استنفدوا قدراتهم، فسيأتيهم المدد و التسديد و التأييد الإلهى، ليسد مواضع الخلل، و يحفظ المسيره من دون أن يباشر أى تصرف قاهر لإرادات المعاندين و المتآمرين ..

و هذا ما حصل فعلا فى قضيه حاطب بن أبى بلتعه، حيث لم يتدخل اللّه تعالى لمنع حاطب من التفكير فى مراسله قريش، و لا من التخطيط، ثم التنفيذ، كما انه لم يتصرف فى إراده المرأه حامله الرساله، و لا أعجزها عن التصرف، و لا قهرها على التزام طريق بعينها، بل هى اختارت طريقا و سلكته، و خططت لأمر، و نفذت خطتها ..

و لكنه أخبر نبيه بما جرى .. فتصرف (صلى اللّه عليه و آله) بطريقه من شأنها أن تؤدى إلى كشف المستور، و جنّب بذلک اهل الإيمان من الوقوع فى المحذور.

كما أن شعور أهل الإيمان بالتسديد و التأييد الإلهى لا بد من أن يقوى

من عزيمتهم، و يشد من أزرهم، و يرسخ من يقينهم.

ألا يكفى على عليه السلام وحده؟!:

و قد يدور بخلد أحدهم سؤال يقول: ألم يكن يكفى أن يرسل عليا وحده لأخذ الكتاب من تلك المرأه، فلماذا أرسل معه آخرين، مثل الزبير، و سواه حتى إن الأسماء قد تتجاوز عدد أصابع اليد الواحده؟! مع أن حامله الرساله مجرد امرأه، لا حول لها و لا قوه و لا تحتاج إلى كل هذا العدد.

ألا يدلنا ذلک: على أن ثمه تصرفا فى الروايات بالتضخيم، و التهويل، لحاجه فى نفس الرواه قضيت؟!

إلا أن يقال: إنه (صلى اللّه عليه و آله) أرسلهم فرقا فى مسالک مختلفه حتى لا تفوتهم تلک المرأه.

و نجيب:

بأنه لا شک فى أن ثمه أهدافا أخرى تتجاوز موضع مصادره الرساله، و منع وصولها إلى قريش، و نستطيع أن نذكر من هذه الأهداف ما يلى:

أولا: إن الأمر لا ينحصر بمنع وصول هذه الرساله إلى قريش، بل هو يتجاوز ذلک إلى إثاره جو من الرهبه يمنع أيا كان من الناس بالتفكير فى تسريب أيه معلومه عن تحركات النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين إلى أى كان من الناس ..

فكان أن اختار (صلى اللّه عليه و آله) عده أشخاص لهم خصوصيات و توجهات، و ارتباطات، و اهواء مختلفه، و متشعبه، ليروا جميعا بأم أعينهم صدق الوحى الإلهى، و ليأخذوا العبره، و ينقلوها إلى القبائل و الأفراد

الذين يعيشون فى أجوائهم، و لهم صله بهم بنحو أو بآخر ..

ثانيا: إنه لو أرسل (صلى اللّه عليه و آله) أى واحد منهم سوى على (عليه السلام)، فسيرجع بخفى حنين، كما اظهرته الوقائع، حيث صدقوا تلك المرأه و هموا بالرجوع، و ستتمكن تلك المرأه من الإفلات، و ربما لم يمكن اللحاق بها، أو ربما يصعب العثور عليها إذا سلكت مسالك معينه ..

و فى ذلک تفريط ظاهر لا مجال للقبول به، و لا لتحمله ..

ثالثا: إنه لا بد من أن يعرف الناس جميعا مدى التفاوت فيما بين تلک الجماعه التى خدعت ببكاء تلک المرأه، و صدقتها فى إنكارها، حتى هموا بالرجوع عنها و بين على (عليه السلام)، و فى معرفته، و وعيه، و صحه تدبيره، و إيمانه و يقينه بما جاء به رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و كيفيه نظرته إلى الوحى الإلهى، و إلى النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله)، و طبيعه تعامله معه، و مع أوامره، و أقواله، و إخباراته ..

و بذلک يظهر زيف ما يدّعيه الناس لغيره (عليه السلام) من مناوئيه، و مخالفيه، و حاسديه، أو ما يدّعيه هؤلاء لأنفسهم من مقامات و بطولات، و من خصائص و ميزات، و من جهاد و تضحيات، و ذلک لأنهم خالفوا صريح أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين قال لهم: خذوه منها، و خلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها.

خذوه منها، فإن أبت فاضربوا عنقها:

و هذا الأمر الذى صدر من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لهم حول كيفيه التعامل مع حامله الرساله لا يترک لهم أى مجال لتصديقها، أو توهم

براءتها مما نسب إليها، فضلا عن أن يهموا بالرجوع، لأن ذلک يتضمن تکذيب الوحی الإلهی، و الطعن بعصمه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و التخطئه له ..

و إن الأمر بضرب عنقها لو أبت أن تعطيهم الکتاب يدل علی أن حکم من يفشی سر المسلمين، و يصرّ علی التآمر علی رسول رب العالمين، هو القتل کائنا من کان، حتی لو کان امرأه ..

کما أن الأمر بتخليه سبيلها بعد اخذ الکتاب منها يتضمن إرفاقا بها، و عفوا عن جرمها، خصوصا مع محاولتها إنکار الرساله، حتی إنها لم تعطهم إياها إلا بعد تهديد علی (علیه السلام) لها ..

و القول بأنها إذا کانت لا تعلم بمضمون الرساله فإنها تکون غير مشارکه فی الخيانه، غير مقبول، فإنها- علی أقل تقدير- تحمل رساله تتضمن أسرارا يراد إيصالها سرا للمشرکين، و تعلم أن ظهور هذه الأسرار سيکون مضرا للمسلمين، حتی لو لم تعلم بتفاصيل مضمون الرساله، و هذا يکفی لإدانتها.

الصلاه جامعه لماذا؟!:

و قد صرحت روايه المفيد: بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) أمر أن ينادی فی الناس: (الصلاه جامعه)، (و هو تعبير عن دعوه عامه لأمر مهم طارئ) فلما اجتمعوا فی المسجد حتی امتلأ بهم صعد النبی (صلی اللّه علیه و آله) المنبر، و أخذ الکتاب بيده، و طلب من صاحبه أن يعلن عن نفسه، و إلا فضحه الوحی ..

و السؤال هو: لماذا هذا الإعلان بالأمر؟ و بهذه الطريقه القويه و الواسعه؟

ألم يكن الأجدر أن يعالج الأمر بهدوء يحافظ به على ماء وجه حاطب؟!

و نقول فى الجواب:

إن الإعلان عن الموضوع بهذا النحو القوى كان ضروريا، و له أسباب و فوائد عديده، نذكر منها ما يلى:

1- إن هذه الطريقه من شأنها أن تعرّف الناس بهذا الأمر الخطير على أوسع نطاق، و قد كان هذا هو مطلوب له (صلى اللّه عليه و آله) لأسباب، ربما يتضح بعضها عن قريب ..

2- إن ذلک يبقى هذا الخبر على درجه من السلامه و الصحه، و الوضوح فى أذهان الناس، و يمنع من تلاعب المتلاعبين فيه بالزياده فيه تاره، و النقيصه أخرى، حسب الأهواء، و رياح السياسه، و المصلحه، فإن تناقل أمثال هذه الأخبار بصوره فرديه أو جماعيه بلا رقيب و لا عتيد سوف يمكّن أصحاب الأهواء من التحريف فيه، بما يخدم أهواءهم و مصالحهم و خططهم!!

3- إن هذا الإعلان الواضح و الصريح قد وضع حدا أمام التكهنات و التساؤلات عن طبيعه الموقف الذى سيتخذه النبى (صلى اللّه عليه و آله) ممن أقدم على هذا العمل الخطير، كما أنه قد رسم للناس طريقه التعاطى معه، و منع من الإفراط و التفريط الذى قد تنشأ عنه إثارات غير مسؤوله، قد تضر فى مسار الأمور كما يرضاه اللّه و رسوله ..

4- إن ذلک یبین لمن تسوّل له نفسه القیام بأمثال هذه التصرفات حجم الفضیحه التی ستواجهه، و سیکون ذلک مؤثرا فی الردع عن أی تصرف من هذا القبیل ..

5- إن هذا التهدید بفضیحه الوحی لمن فعل ذلک، و لا یرضی بالإقرار و الاعتراف العلنی لا بد من أن یزید من شعور الناس بالرقابه، و عدم القدره علی إخفاء أمرهم لو سولت لهم أنفسهم الدخول فی مغامره کهذه ..

6- إن الأمر لم یقتصر علی مجرد توجیه اتهام قولی للفاعل، بل تعداه إلی تقدیم الدلیل الحسی علی هذا الأمر، و هو الکتاب الذی أخذه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بیده و هو علی المنبر، بحیث یراه کل أحد، فلا تکهنات و لا اجتهادات و لا ظنون، و لا حدسیات، و لا مجال للوسوسات الشیطانیه فی هذا الأمر ..

7- إنه (صلی اللّه علیه و آله) لم یکتف بإظهار الکتاب ثم تحدید الفاعل، بل هو قد حمل الفاعل علی أن یقر بنفسه بما فعل .. بصوره طوعیه و هو یرتعد .. و ذلک بعد أن ظهر تردده فی البدایه.

8- إن نفس دفاع حاطب بن أبی بلتعه عن نفسه، قد أثبت الجریمه علیه، و لم تعد هناک أی فرصه للتأویل و الاحتمال و الاجتهاد، و استغلال الحدث فی اتجاه انحرافی یسی ء إلی القضیه بنحو أو بآخر ..

9- إن اعتراف حاطب بما فعل، إنما جاء تحت وطأه الکشف الربانی لما حصل، حتی لقد حددت المرأه، و حدد موقعها، و أرسل الرجال فی طلبها، و لم یعد یمکن إخفاء أی شی ء .. و ذلک لا یدل علی عمق إیمان حاطب، بل هو یدل علی هزیمته بعد أن أسقط فی یده ..

حاطب ينفى الشک و النفاق:

و قد رأينا: أن أول ما دفعه حاطب عن نفسه هو تهمه النفاق و الشک فى الدين، و تأكيد التزامه بإسلامه، و يقينه به ..

و لم يناقشه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فيما ادّعاه من ذلک. بل هو قد سمع منه، ثم ساق الحديث معه فى اتجاه آخر ..

و من الواضح: أن النفاق هو التهمه الأقسى، و الأشرّ و الأضرّ بالنسبه لحاطب، لأنه كفر قوى و فاعل، يريد أن يلحق الضرر بالإيمان و بأهله، إما بأن يسقط دعوتهم بأساليب من الختل و الغدر و التخريب، أو يريد سلب المسلمين قدراتهم، و الاستئثار بها لنفسه ..

و هذا يمثل خطوره مباشره و عمليه و مؤثره، لأنه كفر مهاجم يعمل بهدوء و أناه و طمأنينه بعد ان هيأ لنفسه موجبات ذلک، حين أظهر الإسلام و أبطن الكفر ..

و أما مجرد الشک فى الدين، فهو و إن كان كفرا أيضا، لكنه كفر مهزوم و راكد و ضعيف، يصارع الحقيقه فى داخل نفسه، و لا يقدر على تجاهلها و التخلص منها ..

و قد نفى حاطب عن نفسه الشک، كما نفى عنها النفاق أيضا ..

و لم يرد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يقف معه عند هذه النقطه و لا أن يناقشه فيها .. لأنه يريد أن يبقيه فى دائره السيطره، و يعطيه فرصه، و يفسح له المجال لإعاده ترتيب أوضاعه، فإن هذا المقدار من القبول مطلوب له (صلى اللّه عليه و آله) و لا يريد التفريط فيه .. و لذلک وجّه (صلى اللّه عليه و آله) الأنظار إلى تلمّس عذر حاطب فيما أقدم عليه. و سنرى أنه

عذره أيضا ..

تهديد المتهم:

و عن تهديد على (عليه السلام) لتلك المرأه حامله الرساله، قد يقال:

كيف جاز لعلى (عليه السلام) أن يهدد إنسانا متهما لم تثبت إدانته بعد؟!

و يجاب: بأن إدانه تلك المرأه قد ثبتت بالوحى. و من أصدق من اللّه قيلا؟ و هو علام الغيوب؟! و العالم بما فى القلوب؟

و نحن نشک فى أنها لو استمرت على إنكارها فقد كان يجب على على (عليه السلام) أن يقتلها لسببين:

أحدهما: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أمره بقتلها إن أبت تسليم الكتاب، لأن القتل هو حكم اللّه فى المحارب للّه و رسوله، و من يصر على إطفاء نور اللّه تبارک و تعالى ..

الثانى: إن تركها سوف يؤدى إلى تمكينها من إيصال الرساله للأعداء، ليتمكنوا من ثم من إفشال خطه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أو من إيجاد متاعب و مصاعب كان المسلمون فى غنى عنها. و قد تنشأ عن ذلک خسائر كبرى فى أهل الإيمان، و ربما يؤدى ذلک إلى إطاله أمد هيمنه حاله البغى و الاستكبار، و الظلم و التعدى على المستضعفين من النساء و الرجال، و الصبيان بصوره عامه.

و قد يعترض على ذلک: بأنه قد كان بإمكانهم أن يفتشوها تفتيشا دقيقا، و يأخذوا منها الكتاب، و لا تصل النوبه إلى القتل ..

و لكننا قلنا: إن الإصرار على حرب اللّه و رسوله، و إطفاء نور اللّه هو

الذى جعلها تستحق القتل ..

و أما الكتاب فإن التفتيش عنه لا يكفى لحسم ماده الخطر فيه، إلا إذا كان العثور عليه حتميا، و ليس الأمر كذلک إذ هى قد تتمكن من إخفائه تحت حجر، أو مدر، أو بين أغصان الشجر، أو نحو ذلک .. ثم إنها بعد إطلاق سراحها تعود إليه، او تدل عليه من يأخذه و يوصله إلى من يتلهف عليه، و يتشوق إليه.

و لسنا بحاجه إلى التذكر: بأن هذه الإحتياطات من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا تعنى أن جهه مسيره قد عرفت، بل هى تعنى: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يرضى بتعريف قريش و غيرها من أعدائه بأصل خروجه من المدينه على هيئه الحرب، فإن ذلک يجعل الأعداء يحذرون لاحتمال أن يكونوا هم الذين يقصدهم.

كما أن نفس وجود أناس يوصلون للمشركين أخبار المسلمين مرفوض، حتى لو كانت تلک الخبار غير دقيقه أو خاطئه من أساسها.

ردها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ثم إن ما ورد فى بعض النصوص: من أنه (عليه السلام) قد رد حامله الكتاب إلى رسول اللّه، لا يتلاءم مع أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بأخذ الكتاب منها، ثم إطلاق سراحها.

إلا أن يقال: إنه قد يكون هناک خطأ فى الكتابه، فأراد الكاتب أن يكتب (ردّه) (أى الكتاب) إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فكتب ردها.

غير أننا نقول:

إنه يحتمل أن يكون (عليه السلام) قد ردها، لكى يمنعها من الوصول إلى مكه قبل حركه الجيش إليها، لكى لا تخبر أهل مكه شفاها بما رأته من اعداد و استعداد، كانت تحتمل أو تظن أنه لغزوهم.

فيكون المراد بإطلاق سراحها عدم المبادره إلى قتلها، أو ضربها، أو سجنها، لأن المطلوب هو مجرد تعطيل حركتها إلى مكه برهه يسيره، يزول فيها الداعى إلى هذا التعطيل.

حاطب يلتفت إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله ليرقّ له:

و قد صرحت الروايه عن الشيخ المفيد، و غيره: بأن حاطبا صار يلتفت إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ليرق له .. و ذلک حين كانوا يدفعون فى ظهره حتى أخرجوه من المسجد ..

فحاطب إذن لم يكن لديه أى أمل بغير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و هو حتى حين ظهرت خيانته لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه، لم يكن يتوقع النصر من قريب رحيم، و لا من صديق حميم، و لا من حليف جديد و لا قديم.

و هذا يؤكد على: أن ثمه صوره جليله و جميله قد انطبعت للنبى (صلى اللّه عليه و آله) فى نفسه و فى نفس كل من عرف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن قرب، و استقرت فى عمق وجدانه، و هى صوره قد ظهرت معالمها فى آيات قرآنيه كريمه، فى أكثر من مناسبه، و من ذلک قوله تعالى:

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (1).

و هذا من أروع الأمثله على طبيعه العلاقه بين القائد و رعيته، حيث يبلغ الأمر فى صفائها و نقائها، و سلامتها و صدقها حدا تكون وسيله المجرم و المسى ء، و شافعه إليه، هو نفس ذلک الذى كانت الإساءه إليه، و وقعت الجريمه عليه ..

قيمه العفو .. و الاستغفار:

و تتجلى له قيمه الإستغفار، و ينعم بالعفو الرحيم من النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله)، و يأتيه ما أمّل، و يهب النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) لحاطب بن أبى بلتعه جرمه، رغم خطورته، و يجعل قيمه هذا العفو:

أن يستغفر حاطب ربه، و أن لا يعود لمثل ما فعل.

أى أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يفرض عليه غرامه، و لا مارس فى حقه تعزيرا، و لا وجه إليه أيه كلمه إهانه، و لا أمر بالتضييق عليه فى سجن، و لا فى غيره، كما أنه لم يفرض عليه الإقامه فى بلد بعينه، و لا حد من حريه حركته، و لا منع الآخرين من التعاطى معه، و لا .. و لا ..

بل أراد أن لا تزيد عقوبته على إخراجه من المسجد و هى عقوبه تكاد تكون رمزيه، من حيث إنها تعبر عن إبعاد محدود عن ساحه الرضا، ما دام أن ما فعله حاطب كان سيؤدى إلى الإضرار بأهل الإيمان. و هو قد ميّز نفسه عنهم، و أراد أن يكون هو فى معزل عن أجوائهم، و لا يريد أن يناله ما

1- الآيه 128 من سوره التوبه.

ينالهم. لقد أرادها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عقوبه إصلاحيه تربويه، مضمونها ترميم علاقته باللّه، بالتوبه و الاستغفار، باعتبار أن الجرأه إنما كانت عليه تبارک و تعالى ..

فإذا استطاع أن يصلح سريرته، و أن يرضى ربه، فإنه يكون قد بلغ الغايه التى يريد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يبلغه إياها.

عذر حاطب:

و عن اعتذار حاطب عما صدر منه نقول: إنه أراد أن يتخذ بما صنعه يدا لدى أهل مكه ليحفظ بذلک أهله، إذ ليس له عشيره تمنعه ..

و لم يناقشه النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و لا اعترض عليه أحد من المسلمين فى ذلک .. لكن هذا الانصراف عن المناقشه لا يعنى أنه منطق سليم و مقبول .. بل هو انصراف إرفاقى بالدرجه الأولى، فلاحظ ما يلى:

1- إن وجود أهله فى مكه لا يحتم عليه القيام بعمل خيانى، يلحق الضرر بالكيان الإسلامى كله، و يوجب إفساد التدبير النبوى، و إضعاف هيبته (صلى اللّه عليه و آله) لدى الأعداء، و فتح أبواب التجريح و التشكيک لأهل النفاق، و لا يجوز لأحد فى أى ظرف كان أن يمكنهم من إثاره الشكوک بسلامه المسيره، و فى حسن السياسه، و صواب الرأى النبوى الشريف.

2- إن الضرر إذا توجه لإنسان مّا، فإن بإمكانه أن يدفعه عن نفسه، و لكن ليس له أن يقذف به على غيره، فلو أراد أسد أن يدخل بيتا و يفترس شخصا، فإن بإمكانه أن يتحرز منه بالطريقه التى تدفعه عنه. و ليس له أن يدخله بيت جاره، ليكون جاره هو الضحيه ..

3- لقد كان هناک الكثيرون من الضعفاء الذين لم يكن لهم عشائر تمنعهم، و قد تعرضوا للعذاب على يد فراعنه قريش حتى قتل بعضهم، و منهم آل ياسر، و لم يجوّز لهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لا خطر فى بالهم أن يحملوا جلاديهم على التوجه بالعذاب إلى غيرهم من المؤمنين ..

4- من الذى قال: إن قريشا كانت تنوى إلحاق الأذى بأهل حاطب فإن ذلک مجرد و هم وقع فيه حاطب، رغم أنه و هم علّق حصوله على أمر تقديرى افتراضى، و هو أن تكون لقريش الدائره على المسلمين، و ليس ثمه ما يشير إلى حصول أمر من هذا القبيل، بل الدلائل تشير إلى عكس ذلک تماما.

و حتى لو حصل ذلک، فإن حاطبا لا يستطيع أن يجزم بتعرض أحد من أهله لأى سوء.

5- ألم يفكر حاطب فى أن ما فعله سوف يؤدى إلى زياده القتل فى صفوف أهل الإيمان؟ فكيف فرط بالنبى (صلى اللّه عليه و آله)، و بكل أهل الإيمان من أجل حفظ بعض أهله ممن هم على الشرک بحسب الظاهر؟!

و حتى لو كانوا مسلمين، فإن إلحاق الأذى بهم يبقى فى دائره الاحتمال، بينما هو يقدم لقريش معلومات من شأنها أن تمكنها من أن تلحق الخسائر بالمسلمين بصوره قطعيه و يقينيه.

للنبى صلّى اللّه عليه و آله أن يعفو عن حاطب:

إننا لسنا بحاجه إلى الاستدلال على مشروعيه العفو عن حاطب بأى دليل، بل نحن نستدل على ذلک بنفس العفو الذى صدر عن النبى (صلى

اللّه علیه و آله) فی حق هذا الرجل .. فمنه (صلی اللّه علیه و آله) التشریع، و إلیه یرجع فی معرفه الأحکام، و قوله و فعله و تقریره (صلی اللّه علیه و آله) حجه و دلیل ما بعده دلیل ..

غیر أن البعض قد یتساءل عن إمکان العفو عن حاطب فی حین أن جرمه یرتبط بأشخاص آخرین و هم المسلمون، و أهل الإیمان ..

و الجواب:

أولا: إن جرم حاطب یرتبط أولا و بالذات بالسیاسه النبویه العامه، و بقرار الحرب و السلم، و لا یرتبط بحق شخصی لأحد من الناس ..

ثانیا: لو فرضنا: أن جرمه یرتبط بحق شخصی لبعض الأفراد، فإن اللّه تعالی قد جعل الولایه لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) علی الناس کلهم، فقال: النَّبِیُّ أَوْلی بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .. (1).

عمر: مرنی بقتله:

قد ذکرت فی العدید من الموارد فی تاریخ الإسلام، و فیها هذا المورد بالذات: أنه قد کان من عاده عمر بن الخطاب أن یصدر حکمه علی الأشخاص، ثم یطلب من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یأمره بتنفیذه ..

فکم من مره ینبری فیها لیقول لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): دعنی أقتله یا رسول اللّه ..

و اللافت هنا: أن النبی (صلی اللّه علیه و آله) لم یستجب له و لو لمره واحده فی کل تلک المناسبات الکثیره .. الأمر الذی یعنی کثره خطأ هذا

1- الآیه 6 من سوره الأحزاب.

الرجل فی معرفه الحکم الشرعی، أو فی معرفه المصلحه فی الشأن العام، فی حین أن هذه الأمور تمس حیاه الناس و مصیرهم.

و هذا یجعلنا نتساءل عن حاله بعد تولیه الخلافه لأکثر من عقد من الزمن: کم أخطأ فی أحکامه التی کان یصدرها، و لم یصب الحکم الشرعی فیها، أو أنه لم یصب وجه المصلحه فی الشأن العام؟!

لا ندری!!

و لعل الفطن الذکی یدری!!

منقبه عظیمه لحاطب:

قال الحلبی: (.. و فی قوله: عدوی و عدوکم منقبه عظیمه لحاطب ..

بأن فی ذلک الشهاده له بالإیمان) (1).

غیر أننا نقول:

أولا: إن اللّه سبحانه قد خاطب من أظهر الإسلام فی زمن الرسول (صلی اللّه علیه و آله) بقوله: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ .. (2).

ثانیا: إنه لا مانع من أن یعود الذی آمن إلی الکفر، کما هو الحال فی عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح، و طلیحه بن خویلد، و غیرهما ..

و قد صرح القرآن الکریم بذلک أیضا، فقال: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا کُفْراً لَمْ یَکُنِ اللَّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ (3).

1- السیره الحلبیه ج 3 ص 76 و (ط دار المعرفه) ص 13.
2- الآیه 136 من سوره النساء.
3- الآیه 137 من سوره النساء.

و قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ (1).

ثالثا: قد صرح القرآن الكريم بأن من يتولى اليهود و النصارى فهو منهم، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَهٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ (2).

و هذا تقريبا هو نفس حال حاطب، و هو نفس ما اعتذر به، فراجع الكلمات المنقوله عنه فيما تقدم ..

رابعا: إن نفس الآيه أو الآيات فى سوره الممتحنه، و التى ذكروا أنها نزلت فى حاطب، قد صرحت: بأن من يفعل فعل حاطب فقد ضل سواء السبيل .. ثم تواصل الآيات الشريفه بياناتها، و تضرب الأمثال المبينه لكيفيات التعامل مع الكفار، لتختم بالقول: .. وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ (3).

خامسا: إن مما يدل على أن حاطبا قد ارتكب جرما: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد أمر بإخراجه، و لم يمنع الناس من التعامل معه بخشونه، حيث صاروا يدفعونه فى ظهره حتى أخرجوه، و هو يلتفت إلى النبى (صلى

1- الآيه 54 من سوره المائده.
2- الآيتان 51 و 52 من سوره المائده.
3- الآيه 9 من سوره الممتحنه.

اللّه عليه و آله) ليرق له ..

ثم إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد صرح بسوء فعل حاطب، و بجرمه، حين قال له: (قد عفوت عنک، و عن جرمک، فاستغفر ربک، و لا تعد لمثل ما جنيت ..).

فلماذا يحرص الحلبى على اعتبار هذا الجرم فضيله لحاطب لمجرد كون الخطاب فى الآيه الكريمه قد وجه إلى المؤمنين؟!

سادسا: إن الآيه إنما جاءت على سبيل الإرشاد للمسلمين إلى سوء هذا الفعل، و تحذيرهم من الوقوع فيه .. مع غض النظر عن الأحكام التى تنشأ عنه، فلو أن أحدا تعمد الوقوع فيه، فالآيات لم تبين حال هذا الشخص، و أنه هل يبقى على حال الإيمان، أو أنه يكفر بذلک.

لعل اللّه اطلع على أهل بدر!!:

و أما قول النبى (صلى اللّه عليه و آله) لعمر: لعل اللّه اطلع على أهل بدر، فقد جاء ردا على عمر بن الخطاب، و ردعا له عن أن يقول شيئا بغير علم. أى أن مضمون هذه الكلمه صحيح فى نفسه، إذ لم يكن يحق لعمر أن يخبر عما فى الضمائر، و ما تكنّه السرائر.

و لكن ذلک لا يعنى أن ذلک قد حصل فعلا، فإن صدق الشرطيه لا يلزم منه صدق وقوع طرفيها ..

و لكن أهل الحقد و الشنآن قد حاولوا أن يستفيدوا من هذه الكلمه فى اتجاهين:

أحدهما: ادّعاء تحقق المغفره لأهل بدر فعلا، و أن كل ما صدر و يصدر

منهم مغفور لهم، مع أن هذه الكلمه لا تفيد ذلک .. و ذلک للأمرين التاليين:

أولا: لما ذكرناه آنفا من أن المقصود: هو نفى أن يكون عمر قد اطّلع على الغيب، و علم بما أجراه اللّه لأهل بدر، و مارسه فى حقهم. فلعله قد غفر لهم صغائر ذنوبهم، مكافأه لهم على جهادهم و تضحياتهم ..

و لعل هذا الذنب من حاطب لم يكن من الكبائر، بسبب قصوره عن فهم حقيقه الأمور، و توهمه أن ذلک لا يخل بإيمانه، و لا يضر بالمسلمين.

و لذلک صدقه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قال: (صدق لا تقولوا له إلا خيرا).

و لكن صدقه هذا لا يعنى أنه لم يكن مستحقا للعقوبه بسبب إقدامه على أمر معلوم السوء لدى كل أحد.

ثانيا: إن المراد بهذه الكلمه: هو أن يستأنفوا عمل الخير، و أن يزدادوا منه، فإن سيآتهم السابقه قد محيت .. و أصبح مصيرهم مرهونا بما يكون منهم فى المستقبل ..

ثانيهما: إن أولئک الحاقدين قد اتخذوا ذلک ذريعه للطعن فى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد روى البخارى فى صحيحه، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانه عن حصين، عن فلان، قال: تنازع أبو عبد الرحمن و حبان بن عطيه، فقال أبو عبد الرحمن لحبان: لقد علمت الذى جرأ صاحبک على الدماء، يعنى عليا.

قال: ما هو؟ لا أبا لک.

قال: شى ء سمعته يقوله.

ص: 204

قال: ما هو؟

قال: بعثنى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و الزبير، و أبا مرثد، و كلنا فارس.

قال: انطلقوا حتى تأتوا روضه حاج. قال أبو سلمه: هكذا قال أبو عوانه: حاج. فإن فيها امرأه معها صحيفه من حاطب بن أبى بلتعه إلى المشركين فأتونى بها.

فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) تسير على بعير لها، و كان كتب إلى أهل مكه بمسير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إليهم. فقلنا: أين الكتاب الذى معک؟

قالت: ما معى كتاب.

فأنخنا بها بعيرها، فابتغينا فى رحلها، فما وجدنا شيئا، فقال صاحبى:

ما نرى معها كتابا.

فقلت: لقد علمنا ما كذب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ثم حلف على: و الذى يحلف به، لتخرجن الكتاب أو لأجردنک.

فأهوت إلى حجزتها و هى محتجزه بكساء، فأخرجت الصحيفه، فأتوا بها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال عمر: يا رسول اللّه، قد خان اللّه، و رسوله، و المؤمنين، دعنى فأضرب عنقه. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 21 204 لعل الله اطلع على أهل بدر!!: ..... ص : 202

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): يا حاطب، ما حملک على ما صنعت؟

قال: يا رسول اللّه، ما لى أن لا أكون مؤمنا باللّه و رسوله، و لكنى أردت أن يكون لى عند القوم يد يدفع بها عن أهلى و مالى. و ليس من أصحابک

أحد إلا له هنالک من قومه من يدفع اللّه به عن أهله و ماله.

قال: صدق. لا تقولوا إلا خيرا.

قال: فعاد عمر، فقال: يا رسول اللّه، قد خان اللّه و رسوله و المؤمنين، دعنى فلأضرب عنقه.

قال: أو ليس من أهل بدر؟ و ما يدريک لعل اللّه اطّلع عليهم، فقال:

اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنه.

فاغر و رقت عيناه، فقال: اللّه و رسوله أعلم

قال أبو عبد اللّه: (خاخ) أصح، و لكن كذلک قال أبو عوانه: حاج.

و حاج تصحيف. و هو موضع. و هشيم يقول: خاخ.

و نقول:

إن لنا هنا وقفات هى التاليه:

إصرار عمر لماذا؟!:

إن أول ما يستأثر بنظر القارئ الكريم فى روايه البخارى المتقدمه، مبادره عمر بن الخطاب إلى الحكم على حاطب باستحقاق القتل، و الطلب إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أن يدعه يضرب عنقه، على اعتبار أنه قد خان اللّه و رسوله.

و لكن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يبال بكلام عمر، و وجه كلامه إلى حاطب، يسأله عن سبب إقدامه على ما أقدم عليه، فأجابه حاطب بما تقدم.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): صدق، لا تقولوا إلا خيرا ...

و لكن عمر بن الخطاب رغم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يجبه فى المره الأولى. و رغم أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد حكم بصدق حاطب. و رغم أنه (صلى اللّه عليه و آله) أمرهم أن لا يقولوا إلا خيرا.

نعم، رغم ذلک كله يعود عمر فيقول: يا رسول اللّه، قد خان اللّه و رسوله، و المؤمنين، دعنى فلأضرب عنقه ..

فجاءه الجواب الصريح و الواضح من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ليخطّئه فى تصرفه هذا، و قد شرحنا هذا الجواب فيما سبق.

الجرأه على الدماء:

و أما بالنسبه لما زعموه: من أن ما جرى فى قصه حاطب هو الذى جرأ عليا (عليه السلام) على الدماء، فهو كلام باطل، من غر حاقد جاهل، إذ قد تناسى هؤلاء الحقائق التاليه:

أولا: إن عليا (عليه السلام) لم يكن هو المبادر إلى الحرب، لا فى حرب الجمل، و لا فى صفين، و لا فى النهروان، بل الناكثون هم المبادرون لشن حرب الجمل، بقياده أم المؤمنين عائشه بنت أبى بكر، و معها طلحه و الزبير.

ثم شنها القاسطون بقياده معاويه فى حرب صفين ..

ثم كان خروج المارقين عليه فى النهروان.

فهى حروب مفروضه و باغيه على الخليفه الشرعى. و قد حاول (عليه السلام) إقناعهم بالعوده إلى الشرعيه، و لزوم الطاعه، و لكن لا حياه لمن تنادى، وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا

يَهْتَدُونَ (1).

و صدق اللّه و رسوله حين أخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) عليا (عليه السلام) بأنه يقاتل بعده الناكثين، و القاسطين، و المارقين (2).

1- الآيه 24 من سوره النمل.
2- راجع على سبيل المثال المصادر التاليه: مجمع الزوائد ج 6 ص 235 و ج 7 ص 238 و ج 5 ص 186 و ج 9 ص 111 و مستدرک الحاکم ج 3 ص 139، و تلخيص الذهبى بهامشه، و أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج 2 ص 297 و ترجمه الإمام على (عليه السلام) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى) ج 3 ص 172 و 170 و 169 و 165 و 163 و 162 و 160 و 161 و 158 و 159 و اللآلى المصنوعه ج 1 ص 213 و 214 و تاريخ بغداد ج 13 ص 186 و ج 8 ص 340 و 341 و كنز العمال ج 11 ص 278 و راجع ص 287 و 318 و 343 و 344 و ج 15 ص 96 و شرح النهج للمعتزلى ج 3 ص 207 و 345 و ج 4 ص 221 و 462 و ج 18 ص 27 و ج 6 ص 130 و ج 13 ص 183 و 185 و ج 1 ص 201 و المناقب للخوارزمى ص 125 و 106 و 282 و البدايه و النهايه ج 7 ص 206 و 207 و 305 و 304 و ج 6 ص 217 و فرائد السمطين ج 1 ص 332 و 285 و 283 و 282 و 281 و 280 و 279 و 150 و مروج الذهب ج 2 ص 404 و المحاسن و المساوئ ج 1 ص 68 و الغدير و ج 3 ص 192 و 194 و ج 1 ص 337 و ذخائر العقبى ص 110 عن الحاكمى و الرياض النضره ج 3 ص 226 و كفايه الطالب ص 168 و 169 و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج 5 ص 451 و 435 و 437 و ج 4 ص 244 و لسان الميزان ج 2 ص 446 و ج 6 ص 206 و ميزان الاعتدال ج 1 ص 126 و 174 و ينابيع الموده ص 104 و 128 و 81 و النهايه فى اللغه ج 4 ص 185 و لسان العرب ج 2 ص 196 و ج 7 ص 378 و تاج العروس ج 1 ص 651 و ج 5 ص 206 و نظم درر السمطين ص 130 و أسد الغابه ج 4 ص 33 و الجمل ص 35 و الإفصاح فى إمامه على بن أبى طالب ص 82 و إحقاق الحق ج 6 ص 37 و 59 و 79 و ج 5 ص 71 عن مصادر كثيره تقدمت، و عن: تنزيه الشريعه المرفوعه ج 1 ص 387 و مفتاح النجا ص 68 مخطوط و أرجح المطالب ص 602 و 603 و 624 و موضح أوهام الجمع و التفريق ج 1 ص 386 و شرح المقاصد للتفتازانى ج 2 ص 217 و مجمع بحار الأنوار ج 3 ص 143 و 195

و شرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدى ص 209 مخطوط و الروض الأزهر ص 389.

ثانيا: إن أبا بكر قد قاتل الذين لم يعترفوا بخلافته، و لم يعطوه زكاه أموالهم، و قالوا: إنهم سوف يعطونها لفقرائهم (1).

و قد قتلهم رغم معارضه الصحابه له، بما فيهم عمر بن الخطاب (2).

و هو القائل: لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم أو لجاهدتهم على منعه (3).

1- راجع: المصنف للصنعانى ج 4 ص 43 و كنز العمال ج 6 ص 538.
2- مسند أحمد ج 1 ص 35 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 43 و ج 6 ص 67 و ج 10 ص 172 و تاريخ مدينه دمشق ج 16 ص 79 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 586 و أعيان الشيعه ج 6 ص 292 و الأحكام لابن العربى ج 1 ص 575 و ج 2 ص 416.
3- بدائع الصنائع لأبى بكر الكاشانى ج 2 ص 35 و صحيح مسلم باب 8 ج 1 ص 51 و (ط دار الفكر) ج 1 ص 38 و النص و الإجتهاد ص 109 عنه و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 153 و 209 و الدر المنثور ج 2 ص 292 و ج 3 ص 241 و تاريخ خليفه بن خياط ص 64 و رياض الصالحين للنووى ص 502 و المواقف للإيجى ج 3 ص 651 و نصب الرايه ج 4 ص 225 و كنز العمال ج 5 ص 660 و 662 و 719 و ج 6 ص 527 و 531 و ج 12 ص 494 و فيض القدير ج 2 ص 239 و جامع البيان للطبرى ج 24 ص 117 و أحكام القرآن للجصاص ج 3 ص 31 و 107 و تفسير الثعلبى ج 8 ص 286 و أحكام القرآن لابن عربى ج 2 ص 416 و 575 و مواقف الشيعه ج 1 ص 24 و كتاب المسند للشافعى ص 208 و صحيح البخارى ج 8 ص 141 و سنن أبى داود ج 1 ص 347 و سنن الترمذى ج 4 ص 117 و سنن النسائى ج 5 ص 15 و ج 7 ص 77 و السنن الكبرى للبيهقى ج 8 ص 176 و ج 9 ص 182 و عمده القارى ج 25 ص 30 و المصنف للصنعانى ج 4 ص 44 و السنن الكبرى للنسائى ج 2 ص 8 و 280 و مسند أبى يعلى ج 1 ص 69 و صحيح ابن حبان ج 1 ص 451 و معرفه السنن و الآثار ج 7 ص 109 و الإستذكار لابن عبد البر ج 3 ص 213 و الفايق فى غريب الحديث ج 2 ص 388 و المصنف لابن أبى شيبه ج 3 ص 111 و ج 7 ص 595 و 596 و راجع: مقارنه الأديان للدكتور أحمد الشلبى ص 286 و المغنى لابن قدامه ج 2 ص 434 و 437 و الشرح الكبير ج 2 ص 434 و 671 و نيل الأوطار ج 1 ص 366 و فقه السنه للسيد سابق ج 1 ص 334 و الإيضاح لابن شاذان ص 132 و شرح الأخبار ج 1 ص 364 و الفصول المختاره للشريف المرتضى

ص 120 و الطرائف لابن طاووس ص 436 و ذخائر العقبى ص 97 و الصوارم المهرقه للتسترى ص 86 و 121 و البحار ج 10 ص 436 و ج 30 ص 351 و خلاصه عبقات الأنوار ج 9 ص 299 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 165 و تاريخ مدينه دمشق ج 9 ص 134.

و قد جرى على مالک بن نويره و قومه ما هو معروف، فقد قتلهم خالد بعد الأمان، و زنى بامرأه مالک فى نفس ليله قتله (1).

1- راجع: تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 110 و وفيات الأعيان ج 6 ص 15 و قاموس الرجال ج 4 ص 146 و 147 عن تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 278 و 279 و (ط مؤسسه الأعلمى) ج 2 ص 504 و الغدير ج 7 ص 159 و راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 204- 206 و النص و الإجتهاد ص 119 و 123 و عن أسد الغابه ج 4 ص 295 و 296 و معجم البلدان ج 1 ص 455 و عن البدايه و النهايه ج 6 ص 354 و 355 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 73 و البحار ج 30 ص 476 و 477 و 491 و 493 و الثقات ج 2 ص 169 و تاريخ مدينه دمشق ج 16 ص 274 و عن الإصابه ج 2 ص 218 و ج 5 ص 560 و 561 و الإستغاثه ج 2 ص 6 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 42 و 43 و بيت الأحزان ص 104.

و قد أصر عمر على معاقبه خالد، و قال له: لأرجمنک بأحجارک (1).

و لکن أبا بکر رفض ذلک، و أطلق کلمته المعروفه: (تأول فأخطأ) (2).

1- النص و الإجتهاد ص 125 و فی هامشه عن: تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 110 و تاریخ أبی الفداء ج 1 ص 158 و الإصابه ج 3 ص 336 و تاریخ الأمم و الملوک ج 3 ص 280 و (ط مؤسسه الأعلمی) ج 2 ص 504. و راجع: نسب قریش ص 301 و البحار ج 30 ص 477 و 492 و الغدیر ج 7 ص 159 عن الطبری، و شرح النهج ج 17 ص 206 و أسد الغابه ج 4 ص 295 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 358 و تاریخ الإسلام للذهبی ج 3 ص 36 و راجع: البدایه و النهایه ج 6 ص 355 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 240 و أعیان الشیعه ج 1 ص 432 و الکنی و الألقاب ج 1 ص 43.
2- وفیات الأعیان ج 6 ص 15 و المختصر فی أخبار البشر ج 1 ص 158 و روضه المناظر لابن الشحنه (مطبوع بهامش الکامل فی التاریخ) ج 7 ص 167 و الکامل فی التاریخ (ط دار صادر) ج 3 ص 49 و ج 2 ص 358 و شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج 1 ص 179 و تاریخ الأمم و الملوک (ط لیدن) ج 4 ص 1410 و (ط مؤسسه الأعلمی) ج 2 ص 503 و البدایه و النهایه ج 6 ص 323 و البحار ج 30 ص 492 و أسد الغابه ج 4 ص 295 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 239 و الکامل فی التاریخ ج 2 ص 359 و راجع: البدایه و النهایه ج 6 ص 355 و الغدیر ج 7 ص 160 عن تاریخ أبی الفداء ج 1 ص 158 و ص 161 عن تاریخ الخمیس ج 2 ص 233 و تاریخ الإسلام للذهبی ج 3 ص 37 وفیات الوفیات ج 2 ص 243 و إمتاع الأسماع ج 14 ص 239 و مکاتیب الرسول ج 1 ص 665 و کنز العمال ج 5 ص 619 و تاریخ خلیفه بن خیاط ص 68 و تاریخ مدینه دمشق ج 16 ص 256 و الإصابه ج 5 ص 561.

لقد حصل كل هذا، رغم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم ينص على خلافه أبى بكر، و لكنه نص على إمامه و خلافه أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده، و بايعه الناس بأمره (صلى اللّه عليه و آله) فى يوم الغدير ..

كما أن البيعه لأبى بكر قد اكتنفتها عقبات كبيره، لم يستطع أبو بكر أن يتغلب عليها إلا بالهجوم على بيت فاطمه الزهراء (عليها السلام)، و ضربها، و إسقاط جنينها و .. و .. الخ .. ثم استشهدت متأثره بما جرى عليها (صلوات اللّه و سلامه عليها) (1). و ذلک بعد استقدام عده ألوف من حمله السلاح إلى المدينه، ليقاتلوا من يرفض البيعه لأبى بكر، و ليستخرجوا الناس من بيوتهم لحملهم على هذه البيعه جبرا و قهرا (2).

فما الذى جرأ أبا بكر على الدماء يا ترى؟! و لماذا لا يسجلون هذه الملاحظه عليه، فإنه أولى بها من على (عليه السلام)؟!

ثالثا: إن كان تهديد على (عليه السلام) لحامله الرساله بالقتل إن لم تظهر الرساله جرأه على الدماء، كما يدّعيه هؤلاء السحره، فإن المتجرئ على الدماء فى الحقيقه- حسب منطقهم- هو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفسه، لأنه هو الذى أمرهم بقتلها إن لم تعطهم الرساله ..

1- راجع كتابنا: مأساه الزهراء (عليها السلام) بمجلديه الأول و الثانى.
2- راجع كتابنا: مختصر مفيد ج 5 ص 62- 67 تحت عنوان: (السقيفه إنقلاب مسلح).

رابعا: لماذا لا يكون المتجرئ على الدماء هو عمر بن الخطاب نفسه، فإنه هو الذى قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله): مرنى بقتله، فإنه قد نافق.

و قد طلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) مثل هذا الطلب فى العديد من المناسبات، و بالنسبه للعديد من الناس، كما أشرنا إليه فيما سبق.

الفصل السادس: على طريق مكه

اشاره

إستخلف على المدينه و خرج !!:

قيل: إنه (صلى اللّه عليه و آله) استخلف على المدينه أبا لبابه بن عبد المنذر (1).

و قيل: استخلف رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على المدينه أبارهم كلثوم بن حصين الغفارى (2).

1- البحار ج 21 ص 127 عن إعلام الورى (ط مؤسسه أهل البيت لإحياء التراث) ج 1 ص 218 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 58.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 212 عن أحمد و الطبرانى، عن ابن عباس. و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و مجمع الزوائد ج 6 ص 164 و صححه، و البحار ج 21 ص 102 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و المعجم الكبير للطبرانى ج 8 ص 9 و ج 19 ص 182 و الدرر لابن عبد البر ص 214 و تفسير البغوى ج 4 ص 538 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 42 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص 231 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 527 و البدايه و النهايه ج 4 ص 325 و 326 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 539 و 540 و عيون الأثر ج 2 ص 185 و مسند أحمد ج 1 ص 226 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 859 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 539.

و يقال: ابن أم مكتوم. و به جزم الدمياطى (1).

و خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يوم الأربعاء بعد العصر، لعشر خلون من شهر رمضان، و نادى مناديه: (من أحب أن يصوم فليصم، و من أحب أن يفطر فليفطر). و صام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (2). فما حل عقده حتى انتهى إلى الصلصل.

و خرج فى المهاجرين و الأنصار، و طوائف من العرب، و قادوا الخيل، و امتطوا الإبل، و قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أمامه الزبير بن العوام فى مائتين من المسلمين (3).

و لما بلغ رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) البيداء قال، فيما رواه محمد بن عمر عن أبى سعيد الخدرى: (إنى لأرى السحاب يستهل بنصر بنى

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 212 عن ابن سعد و البلاذرى، و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و عيون الأثر ج 2 ص 185 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 135 و المسترشد للطبرى ص 128 و الطرائف لابن طاووس ص 233 و البحار ج 28 ص 169.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 212 و السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 15 و المغازى للواقدى ج 2 ص 801 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 355 و ج 13 ص 374 و المصنف للصنعانى ج 2 ص 569 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 135.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 212 و السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 7 و المغازى للواقدى ج 2 ص 801 و تاريخ الخميس ج 2 ص 79 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 267 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 354.

کعب) (1).

و قدم (صلی اللّه علیه و آله) بمائه جریده من خیل، تکون أمام المسلمین.

فلما کانوا بین العرج و الطلوب أتوا بعین من هوازن، فاستخبره رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فأخبره أن هوازن تجمع له (و قد أجابتهم ثقیف، و قد بعثوا إلی الجرش- و هو مکان فی الیمن- فعملوا الدبابات و المنجنیق) فقال:

(حسبنا اللّه و نعم الوکیل).

فأمر رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خالد بن الولید أن یحسبه، لئلا یذهب فیحذر الناس، و قد أسلم حین فتح مکه، ثم خرج مع المسلمین إلی هوازن، فقتل فی أوطاس.

و لما بلغ (صلی اللّه علیه و آله) قدیدا (2) لقیته سلیم هناک، فعقد الألویه و الرایات، و دفعها إلی القبائل (3).

و نقول:

إن لنا بعض الملاحظات حول ما تقدم، نجملها فیما یلی:

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 212 و المغازی للواقدی ج 2 ص 801 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 267 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 374.
2- قدید: موضع قرب مکه. مراصد الإطلاع ج 3 ص 1070.
3- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 212 و المغازی للواقدی ج 2 ص 804-806 و 801 الطبقات الکبری لابن سعد ج 2 ص 135 و إمتاع الأسماع ج 8 ص 385 و أعیان الشیعه ج 1 ص 275.

عشره آلاف مقاتل:

ثم إن هناک من يقول- کابن إسحاق-: إن من شهد الفتح من المسلمين عشره آلاف (1)، و نحو من أربع مائه فارس، و لم يتخلف من

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 65 و 214 و 256 و قال: رواه البخارى فى صحيحه عن عروه، و إسحاق بن راهويه، من طريق آخر بسند صحيح عن ابن عباس. و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و البحار ج 21 ص 102 و 118 و 127 و 128 عن الخرايج و الجرايح، و إعلام الورى، و المغازى للواقدى ج 2 ص 801 و 815 و 822 و تاريخ الخميس ج 2 ص 80 و 89. و راجع: الطبقات الكبرى ج 2 ص 139 و التنبيه و الإشراف للمسعودى ص 231 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 244 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 535 و البدايه و النهايه ج 4 ص 325 و السيره النبويه لابن هشام ج 3 ص 787 و ج 4 ص 859 و أعيان الشيعه ج 1 ص 275 و العبر و تاريخ المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و الكامل لابن عدى ج 1 ص 272 و لسان الميزان ج 1 ص 115 و عيون الأثر ج 2 ص 185 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 324 و 539 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و الخرائج و الجرائح ج 1 ص 162 و البحار ج 21 ص 102 و 118 و النص و الإجتهاد ص 183 و مسند أحمد ج 1 ص 226 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 43 و مجمع الزوائد ج 6 ص 164 و 165 و فتح البارى ج 7 ص 340 و شرح معانى الآثار ج 3 ص 320 و المعجم الكبير للطبرانى ج 8 ص 10 و الدرر لابن عبد البر ص 214 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 259 و فيض القدير ج 3 ص 632 و تفسير مجمع البيان ج 5 ص 34 و ج 10 ص 470 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 693 و تفسير الميزان ج 9 ص 231 و ج 18 ص 253 و ج 20 ص 380 و تفسير البغوى ج 1 ص 290 و المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ج 3 ص 19 و ج 5 ص 138 و تفسير القرطبى ج 16 ص 261 و تفسير البحر المحيط ج 5 ص 25 و تفسير الثعالبى ج 3 ص 172 و ج 5 ص 260 و تفسير الآلوسى ج 26 ص 84.

المهاجرين و الأنصار عنه أحد (1).

و هناک من يقول: إنهم كانوا اثنى عشر ألفا (2).

و جمع: بأن العشره آلاف خرج بها من نفس المدينه، ثم تلاحق الألفان (3).

و نقول:

قد يقال: إننا نشک فى صحه كلا هذين الرقمين .. فإن المسلمين لم يكونوا قد بلغوا إلى الحد الذى يستطيعون معه ان يجهزوا هذا المقدار من الرجال للحرب، ثم يبقى فى بلادهم من يحرسها، من غاره أهل الأطماع.

1- مجمع البيان ج 10 ص 555 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 470 و البحار ج 21 ص 102 و 127 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 693 و تفسير الميزان ج 20 ص 380 و تاريخ الخميس ج 2 ص 80 و عن مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب، و عن إعلام الورى ج 1 ص 219 و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 107 و راجع: تفسير البغوى ج 4 ص 538.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 266 عن عروه، و الزهرى، و ابن عقبه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و تفسير البحر المحيط ج 2 ص 437 و السيره النبويه لابن هشام (ط مكتبه محمد على صبيح) ج 4 ص 891 و ج 5 ص 107 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 615 و عيون الأثر ج 2 ص 215 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 262 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 347.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 266 و تفسير الآلوسى ج 30 ص 256.

و يشير إلى ذلک: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يستطع أن يجهز لخيبر أكثر من ألف و خمسمائه مقاتل، ثم جهز لمؤته- كما يقولون- ثلاثه آلاف .. مع أن تجهيز العشره آلاف كان فى مؤته أيسر منه فى فتح مكه، إلا إن كان (صلى اللّه عليه و آله) قد استنفر العرب من البلاد، فنفروا معه مسلمهم و كافرهم، لأنهم أيقنوا: أنه يريد الخير لهم، و أن فى الخروج معه منافع تهمهم، خصوصا بعد أن ظهر ضعف قريش فى تصدياتها له ..

فإذا نفر الناس من سائر القبائل معه، فإن من بقى منهم فى البلاد لا يخشى منه، و قد كان (صلى اللّه عليه و آله) عارفا بالمنطقه و بمن يسكنها من القبائل ..

و لم يكن ليجرؤ أحد من أى قبيله على مهاجمه المدينه إذا كان لدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) طائفه من تلک القبيله تقاتل معه، إذ إن ذلک سوف يسهّل على النبى (صلى اللّه عليه و آله) الظفر بمن يقوم بأى تحرک من هذا القبيل و معاقبته، لأن نفس أهل تلک القبيله سيكونون أعوانا و أنصارا له على الخارجين عليه، حتى إذا كانوا من قبائلهم، فكيف إذا كانوا من غيرها.

يضاف إلى هذا كله: أنه لا بد أن يبقى فى المدينه قوه قادره على حمايتها من هجوم فئات صغيره، لو فرض أن أحدا يجرؤ على القيام بشى ء من ذلک.

تأويلات و تفاصيل:

و قد ذكروا هنا: بعض التفاصيل التى قد لا تملک من الدقه ما يكفى للاعتماد عليها، فقد قالوا:

أنه (صلى اللّه عليه و آله) كان فى عشره آلاف. أى باعتبار من لحقه فى الطريق من القبائل، كبنى أسد، و سليم، و لم يتخلف عنه أحد من المهاجرين و الأنصار.

و كان المهاجرون سبع مائه، و معهم ثلاث مائه فرس.

و كانت الأنصار أربعه آلاف، و معهم خمس مائه فرس.

و كانت مزينه ألفا، و فيها مائه فرس و مائه درع.

و كانت أسلم أربع مائه، و معها ثلاثون فرسا.

و كانت جهينه ثمان مائه، و معها خمسون فرسا (1).

و عن ابن عباس: من بنى سليم سبع مائه، و قيل: ألف. و من غفار أربع مائه، و من أسلم أربع مائه و من مزينه ألف و ثلاث مائه، و سائرهم من قريش و الأنصار، و حلفائهم، و طوائف من العرب، من بنى تميم، و قيس، و أسد (2).

و نقول:

إن هذا يثير لدى الباحث أكثر من سؤال. فمتى صار المهاجرون سبع مائه؟

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 76 و (ط دار المعرفه) ص 13 و المغازى للواقدى ج 2 ص 800 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 354 و أعيان الشيعه ج 1 ص 275.
2- تاريخ الخميس ج 2 ص 89 عن شفا الغرام، و راجع: تفسير الثعالبى ج 10 ص 319 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 340 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 244 و البدايه و النهايه ج 4 ص 354 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 877 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 587.

و كيف أصبح الأنصار أربعه آلاف؟ فى حين أنه لم يستطع أن يجند منهم و من المهاجرين و ممن حولهم من الأعراب أكثر من ألف و خمس مائه مقاتل إلى ألف و ثمان مائه، فراجع: حرب خيبر و الحديبيه و غيرهما ..

إلا إن كان سكان المدينه يتكاثرون كما يتكاثر بعض فصائل الحيوان؟

و لماذا كان من المهاجرين ثلاث مائه فرس، و هم سبع مائه رجل فقط، و كان من الأنصار خمس مائه فرس و هم أربعه آلاف؟

فهل كان المهاجرون أكثر مالا من الأنصار؟

و كيف حصلوا على هذه الثروات، و لم يحصل الأنصار على مثلها؟! و هم يعيشون فى بلد واحد، و يجاهدون عدوهم معهم. مع كون المهاجرين قد قدموا إلى المدينه بدون أموال، حتى تكفل الأنصار بهم، و شاركوهم فى أموالهم و بيوتهم؟!

أم أن المهاجرين كانوا مهتمين بأمر الجهاد أكثر من الأنصار؟!

و يلاحظ: أن هذه النسبه من الأفراس مع المهاجرين قد بقيت متفوقه فيهم على جميع الفئات و القبائل الأخرى .. إذ لا مجال للمقايسه بينهم و بين جهينه، التى كانت ثمان مائه، و معها خمسون فرسا فقط .. و كانت أسلم أربع مائه، و معها ثلاثون فرسا فقط .. و كانت مزينه ألفا و فيها مائه فرس فقط ..

فما هذا التفاوت بين المهاجرين و كل هذه الفئات؟!

ألا يشير ذلک إلى أن هذه كانت أرقاما سياسيه، و ليست واقعيه؟!

لا يزال المقصد مجهولا:

و قالوا: لما نزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) العرج، و الناس لا

يدرون أين توجه (صلى اللّه عليه و آله)، إلى قريش، أو إلى هوازن، أو إلى ثقيف. فهم يحبون أن يعلموا.

فجلس فى أصحابه بالعرج، و هو يتحدث، فقال: كعب بن مالک: آتى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأعلم لكم علم وجهه.

فجاء كعب بن مالک فبرک بين يدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على ركبتيه، ثم قال:

قضينا من تهامه كل ريب و خيبر ثم أحمينا السيوفا

نسائلها و لو نطقت لقالت قواضبهن دوسا أو ثقيفا

فلست بحاضر إن لم تروهابساحه داركم منها ألوفا

فننتزع الخيام ببطن وج و نترک دوركم منها خلوفا فتبسم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و لم يزد على ذلک.

فجعل الناس يقولون: و اللّه ما بين لک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) شيئا، ما ندرى بمن يبدأ بقريش، أو ثقيف، أو هوازن؟! (1).

و كان عيينه بن حصن فى أهله بنجد، فأتاه الخبر: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يريد وجها، و قد تجمعت العرب إليه، فخرج فى نفر من قومه حتى قدم المدينه، فوجد أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد خرج قبله بيومين ..

فسلک يسأل عن مسيره، فبلغ إلى العرج، ثم وصل النبى (صلى اللّه عليه و آله) بعده إلى هناک ..

فقال عيينه: يا رسول اللّه، بلغنى خروجک، و من يجتمع إليک، فأقبلت

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 802 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 375.

سریعا و لم أشعر، فأجمع قومی، فیکون لنا جلبه کثیره. و لست أری هیأه الحرب، و لا أری ألویه و لا رایات! فالعمره تریدؤ فلا أری هیأه الإحرام! فأین وجهک یا رسول اللّه؟!

قال: حیث یشاء اللّه.

و ذهب و سار معه. و وجد الأقرع بن حابس بالسقیا فی عشره من قومه. فساروا معه، فلما نزل قدیدا عقد الألویه، و جعل الرایات.

فلما رأی عیینه القبائل تأخذ الرایات و الألویه عض علی أنامله، فقال أبو بکر: علام تندم؟

قال: علی قومی ألا یکونوا نفروا مع محمد. فأین یرید محمد یا أبا بکر؟

قال: حیث یشاء اللّه.

فدخل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) مکه یومئذ بین الأقرع و عیینه (1).

و ذکر الواقدی: أنه لما نزل (صلی اللّه علیه و آله) قدیدا لقیته سلیم، و هم تسعمائه علی الخیول جمیعا، مع کل رجل منهم رمحه و سلاحه.

و یقال: إنهم ألف (2).

فقالت سلیم: یا رسول اللّه، إنک تقصینا، و تستغشّنا، و نحن أخوالک- أم هاشم بن عبد مناف، عاتکه بنت مره، بن هلال، بن فالح، بن ذکوان، من بنی سلیم- فقدمنا یا رسول اللّه حتی تنظر کیف بلاؤنا، فإنّا صبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، فرسان علی متون الخیل.

1- المغازی للواقدی ج 2 ص 803 و 804.
2- راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 358.

قال: و معهم لواءان و خمس رايات، و الرايات سود.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): سيروا! فجعلهم فى مقدمته.

و كان خالد بن الوليد مقدمه النبى (صلى اللّه عليه و آله) حين لقيته بنو سليم بقديد، حتى نزلوا مر الظهران و بنو سليم معه.

و يقال: إنهم قد طووا ألويتهم، و راياتهم، و ليس معهم لواء و لا رايه معقوده.

فقالوا: يا رسول اللّه، اعقد لنا وضع رايتنا حيث رأيت.

فقال: يحمل رايتكم اليوم من كان يحملها فى الجاهليه!

و نادى عيينه بن حصن، فقال: أنا عيينه، هذه بنو سليم قد حضرت بما ترى من العدّه و العدد و السلاح، و إنّهم لأحلاس الخيل، و رجال الحرب، و رماه الحدق.

فقال العباس بن مرداس: أقصر أيها الرجل، فو اللّه إنک لتعلم أنّا أفرس على متون الخيل، و أطعن بالقنا، و أضرب بالمشرفيه منک و من قومک، فقال عيينه: كذبت و لؤمت، نحن أولى بما ذكر منک، قد عرفته لنا العرب قاطبه.

فأومأ إليهما النبى (صلى اللّه عليه و آله) بيده حتى سكتا.

و نقول:

إن علينا أن نشير هنا إلى الأمور التاليه:

توضيح عن المقدمه:

قد يتوهّم: أن النص المتقدم قد ذكر أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد

جعل بنى سليم فى مقدمته، مع أنهم يقولون: إن الذى كان على المقدمه إلى أن دخل النبى (صلى اللّه عليه و آله) مكه هو خالد بن الوليد، و هذا لا يتلاءم مع ذاک.

و يزول هذا التوهم بالكامل فى النص المذكور آنفا، حيث قال: إنه (صلى اللّه عليه و آله) قد جعل بنى سليم فى مقدمته، أى أنه قد ضمهم إلى الرجال الذين كانوا بقياده خالد، فصار خالد أميرا على المجموع، و بما أنه كان لكل قبيله حامل لوائها، فقد حمله عيينه بن حصن.

إلى أين يا رسول اللّه؟!:

إن الإنسان مهما كان دينه، و أيّا كانت ميوله ليقف خاشعا أمام عظمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و مبهورا و عاجزا عن إدراک دقه تدبيره، مذعنا لصوابيه كل حركه و كل سكون، و كل لفته، و إشاره و .. و ..

و بديهى: أن الناس إذا أدركوا أن ثمه حرصا على إخفاء شى ء، فإنهم يجهدون لاستكناه حقيقته، و الوقوف على واقعه، و استشراف دقائقه و تفاصيله.

فإذا كانت ألوف من الناس تلاحق هذا الأمر، و تبحث عنه، و تريد كشفه، و الوقوف على كنهه بكل حرص و اندفاع.

و إذا كان هذا الأمر يعنيهم كلهم أفرادا و جماعات.

و إذا كان يفترض فيهم هم أن يشاركوا فى صنع نفس هذا الحدث ..

و إذا كانت قد بدأت بعض التسريبات تظهر منذ اللحظه الأولى التى تفوّه الرسول (صلى اللّه عليه و آله) فيها بأنه يريد سفرا، حيث قال لعائشه:

(جهزينا، و أخفى أمرک).

ثم جرى بين عائشه و أبيها، ثم بين أبى بكر و رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ما قدمناه فيما سبق.

و إذا كانت هذه التسريبات قد دعت النبى بدأ إلى التحفظ على مسالك المدينه فى سهولها و جبالها، و وضع الحرس عليها، و ضبطها.

و إذا كانت الاحتمالات و التكهنات بدأت تؤتى ثمارها على شكل رسائل تحذير لقريش، حيث تجلى ذلک فى قصه حاطب بن أبى بلتعه.

و إذا كانت قصه حاطب قد انتهت على ذلک النحو المثير لكل الناس الذين حضروا و شاهدوا أو سمعوا بما جرى، حيث نودى بالناس: (الصلاه جامعه)، فاجتمعوا فى المسجد، ثم كان ما كان ..

و إذا كان عشره آلاف مقاتل قد بدأوا يتحركون باتجاه المقصد ..

و إذا كانوا قد ساروا أياما و ليالى عديده نحوه ..

فإننا لا بد أن نتوقع: أن الأمور قد اتضحت لكل أحد، و أسفر الصبح لذى عينين ..

و لكن المفاجأه الهائله و العظيمه هى: أن تسير هذه الألوف المؤلفه على هيأتها و وفق ما هو مرسوم فى تدبير الجيوش، و فى كيفيه سيرها نحو العدو، حيث الطلائع تقدم، تبث الأرصاد .. و تؤخذ عيون العدو، و يستفاد من المعلومات التى لديها، ثم يحتفظ بهم للوقت المناسب ..

إن المفاجأه هى: أن هذا الجيش يسير باتجاه مقصده، و يصل إلى قديد (و هى قريه جامعه قريب مكه) (1)، و لا يزال يجهل الجهه التى يقصدها،

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 281 و معجم البلدان ج 4 ص 313 و راجع: عمده القارى ج 9 ص 287 ج 17 ص 276 و تحفه الأحوذى ج 8 ص 242 و عون المعبود ج 10 ص 144 و تنوير الحوالک ص 342 و فتح البارى ج 3 ص 399.

و الفئه التى سيناجزها القتال.

رغم أن محاولات بذلت فى السقيا لاستنطاق رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لكنها تبوء بالفشل ..

فهل يمكن أن نضع هذا الإنجاز فى مجال الاستطلاع و الحفاظ على السريه إلا فى عداد المعجزات، و خوارق العادات، التى لا يقدر عليها إلا نبى، أو وصى نبى؟!

لا بد من جواب:

و يبقى أن نشير إلى أن كل هذا الذى ذكرناه لا يعفينا من الإجابه على سؤال: كيف لنا أن نتصور جمعا يزيد على عشره آلاف مقاتل، يجتمعون من مختلف البلاد و القبائل، و يسيرون أياما و ليالى إلى أن يصلوا إلى قديد، ثم لا يعرفون مقصدهم، و يستمر جهلهم بوجهه سيرهم، و بحقيقه العدو الذى يقصدونه ..

و يمكن أن نجيب على ذلک: بأن بعض النصوص المتقدمه قد صرحت: بأن الناس كانوا متحيرين بين ثلاثه احتمالات، هى: مكه، و ثقيف، و هوازن.

و هذه الخيارات كلها تحتاج لمثل هذا الجمع العظيم من المقاتلين. كما أنها كلها تقع فى منطقه واحده، و فى أمكنه متقاربه، و الطريق من المدينه إليها هى نفس هذه الطريق التى سلكها (صلى اللّه عليه و آله) إلى قديد. و إنما

تتميز الطرقات إلى تلک المناطق بدءا من سرف، التى كانت تبعد عن مكه أميالا يسيره (1).

و ربما يكون من أسباب تعزيز احتمال أن يكون القصد إلى هوازن، و صرف نظر الناس عن مكه: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أخذ عينا لهوازن، فأقر له أنهم يجمعون الجموع لحربه؛ فيأمر خالدا بحبس ذلک العين، خوفا من أن يذهب و يحذّر الناس (2).

حيث يشاء اللّه:

و قد أظهرت قضيه كعب بن مالک، و توسله بالشعر فى محاوله معرفه الوجه الذى يريده النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى سفره ذاک أظهرت مدى اهتمام الناس بمعرفه هذا الأمر .. رغم أن كعبا لم يفلح فى استخراج السر من النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

و الذى زاد فى حيرتهم: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يخرج بهذه الألوف على هيئه الحرب، فهو لم يعقد ألويه، و لا رفع رايات، و لا رتب هذا الجيش العرمرم ترتيبا قتاليا ..

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 805 و مجمع البحرين ج 2 ص 365 و معجم ما استعجم ج 3 ص 957 و عمده القارى ج 14 ص 291 و شرح إحقاق الحق ج 32 ص 441 و مستدرک سفينه البحار ج 7 ص 558 و سبل الهدى و الرشاد ج 8 ص 492 و النهايه فى غريب الحديث ج 2 ص 362 و لسان العرب ج 9 ص 150.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 212 و المغازى للواقدى ج 2 ص 805 و إمتاع الأسماع للمقريزى ج 1 ص 356 و ج 9 ص 234.

و لكنه كان يرسل الطلائع .. و يأخذ رصد هوازن الذى وجده فى طريقه، و يستجوبه، ثم يأمر بحبسه، و لا يتركه يرجع إلى من وراءه لينذرهم به ..

و من جهه ثانيه: فإنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يخرج على هيئه من يريد العمره، فلم يحرم و لم يسق البدن كما فعل فى الحديبيه، و عمره القضاء ..

و هذا معناه: أنه لا يقصد مكه فى مسيره ذاک ..

و يسأله عيينه بن حصن عن مقصده فى مسيره، و يصرح له بحيرته فى الأمر، فيجيبه (صلى اللّه عليه و آله) بقوله: حيث يشاء اللّه.

بل إنه (صلى اللّه عليه و آله) حتى حين بلغ قديدا، و عقد الرايات و الألويه، و عرف عيينه و غيره أن المهمه قتاليه، و ليست شيئا آخر .. قد أبقاه فى حيره من أمره، فسأل أبا بكر: فأين يريد محمد يا أبا بكر؟!.

قال: حيث يشاء اللّه (1).

و هى إجابه واقعيه، إذ لم يكن المسؤول بأعلم من السائل، فإن أبا بكر أيضا لم يكن يعلم بمقصد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. و لعل الناس قد بقوا على ترددهم حتى وصلوا إلى مر الظهران، و أخذوا أبا سفيان و من معه.

إستنفار العرب:

قد ذكرنا فيما سبق: أن الظاهر هو: أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد استنفر العرب إلى مكه، مسلمهم و كافرهم ..

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 804.

و قد يمكن الإستشهاد على ذلک بالنص المتقدم الذى يقول: إن عيينه بن حصن قد سمع- و هو بنجد-: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يريد وجها، و قد تجمعت العرب إليه ..

فعباره تجمعت العرب إليه، يشير إلى أن هذا التجمع قد شمل المسلم و غيره.

و لعل استنفار النبى (صلى اللّه عليه و آله) للعرب قد أفهمهم: أن ثمه أمرا خطيرا لا بد لهم من مواجهته، كذلک الذى جرى فى غزوه مؤته ..

و قد أشرنا إلى ذلک فيما سبق.

و ربما يكون مجى ء عيينه بن حصن بمجرد سماعه بالأمر شاهدا آخر على ذلک ..

سليم تريد الحظوه عند النبى صلّى اللّه عليه و آله:

و قد ظهر من كلام بنى سليم: أنهم كانوا يسعون لتكون لهم الحظوه عند النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و يريدون الفوز بثقته من خلال أفعالهم و مواقفهم المؤثره التى تشهد لهم بصحه ما يدّعونه.

و قد صرحوا فى كلامهم: بأن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يستغشهم و يقصيهم، رغم أنهم أخواله، بسبب عاتكه بنت مره، فإنها أم هاشم بن عبد مناف ..

و لا يمكن الأخذ بظاهر كلامهم هذا إلا بتقدير: أن يكون (صلى اللّه عليه و آله) قد رأى فى تصرفات بنى سليم غشا يوجب الإقصاء و الحذر، فإن هذا هو مقتضى الحزم.

كما أنه لا بد من ملاحظه: أن هذا الإقصاء لم يتخذ أسلوب التنفير، المؤسس للكره، و للعقده، بل كان إقصاء يدعوهم إلى مراجعه حساباتهم، و يزيد من رغبتهم فى إصلاح أمرهم معه (صلى اللّه عليه و آله). حتى إنهم لينفرون إليه حين يستنفر العرب، و هم مصممون على أن يزيلوا هذه الصبغه عن أنفسهم، بأفعالهم قبل أقوالهم ..

و قد أفسح لهم النبى (صلى اللّه عليه و آله) المجال للوفاء بتعهداتهم، حيث جعلهم مقدمه له .. كما صرحت به الروايه.

و قد أظهروا بعضا من الأدب مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين طووا ألويتهم، و طلبوا منه (صلى اللّه عليه و آله) أن يعقدها لهم، و أن يضعها حيث يشاء ..

فجعل عليهم عيينه بن حصن كما تقدم ..

نخوه الجاهليه:

و لكن نخوه الجاهليه قد تحركت لدى عيينه و العباس بن مرداس حيث افتخر عيينه ببنى سليم الذين فاز عيينه بتأمير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) له عليهم، فلم يرق ذلک لعباس بن مرداس، فافتخر بقومه، و فضّلهم على بنى سليم ..

فقال له عيينه: كذبت و لؤمت.

إلى أن تقول الروايه: فأومأ لهما النبى (صلى اللّه عليه و آله) حتى سكتا ..

فهذا الحدث يدل على أن هؤلاء الناس رغم أنهم قاده و رؤساء فى قومهم، لم يكونوا يملكون الشى ء الكثير من أدب الخطاب، أو من تقدير

الأمور، فهم لم يراعوا الأدب فى محضر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى بلغ الأمر بهم إلى التفوه بالشتائم .. دون أى مبرر معقول أو مقبول لكل ما جرى.

فلم يكن هناک مبرر لتفضيل عباس بن مرداس قومه على بنى سليم،، فإن عيينه و إن كان قد مدح قومه، و لكنه لم يفضلهم على أحد ..

كما أنه لم يكن يجوز لعيينه أن يشتم عباسا بحضره رسول اللّه، تأدبا مع الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، و تسليما لأمره ..

و لعل هذه الهفوات الصادره من كلا الرجلين، كانت كافيه لأمرهما بالسكوت، دون توجيه اللوم إلى أحد بعينه، فإن الخطأ قد صدر منهما معا، و عليهما معا أن يراجعا حساباتهما، ليجدا أنهما على غير سبيل هدى.

بيض النساء و أدم الإبل فى بنى مدلج:

و روى محمد بن عمر، عن يزيد بن أسلم، و أبى الحويرث: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما انتهى إلى قديد، قيل له: يا رسول اللّه، هل لک فى بيض النساء، و أدم الإبل، بنى مدلج؟!

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (إن اللّه عز و جل حرّمهن على بصله الرحم).

و فى لفظ: (ببر الوالد، و وكزهم فى لبات الإبل) (1).

و نقول:

إن هذا الذى أشار إليه النص آنفا، لهو أمر فى غايه الأهميه فيما يرتبط

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 213 و المغازى للواقدى ج 2 ص 803 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 355 و ج 13 ص 375.

بسیاسه الإسلام و مفاهیمه، فقد عرض علیه (صلی اللّه علیه و آله) أن یهاجم بنی مدلج، تحت وطأه إغراء قوی فی اتجاهین:

أحدهما: إغراء الجنس، ففی بنی مدلج بیض النساء.

و الآخر: إغراء المال، لأن لدی بنی مدلج أدم الإبل.

و لکن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) رفض ذلک، و لم یکن رفضا مبهما، و من دون توضیح، بل هو رفض معلل، یعطی قاعده هامه فیما یرتبط بسیاسه الإسلام تجاه الآخرین.

حیث قرر أن التشریع الإسلامی لا یبیح مهاجمه الآخرین بصوره عشوائیه، و بلا ضابطه. بل ذلک له منطلقات و ضوابط أحکامیه لا تجوز مخالفتها، و من یفعل ذلک یعرض نفسه للعقوبه الإلهیه.

و هذه القاعده هی: أن لأعمال العباد تأثیرا فی اتخاذ أی موقف منهم ..

فلا تجوز مهاجمه بنی مدلج، حتی لو کانوا علی الشرک، و فی حاله عداء للمسلمین، لأن فیهم خصالا تمنع من ذلک، ذکرت الروایات منها:

أولا: أنهم یصلون رحمهم و یبرون آباءهم ..

الثانی: أنهم لا یقتلون الإبل کیفما اتفق، من أجل الاستفاده من لحمها، و إنما ینحرونها بالطریقه الصحیحه، وفق أحکام الشرائع التی بلغتهم، أی بالوکز فی لباتها ..

و بعد ما تقدم نقول:

1- إنک تجد لمحه من الرقه، و الرفق، و الرحمه، و الشعور الإنسانی ظاهره فی کلا هذین الأمرین .. و قد جاء الحکم الناشئ عن ذلک بعدم جواز مهاجمه هذا النوع من الناس منسجما مع خصوصیه الرحمه و الرقه

و الرفق .. و مع ضروره حفظ الإنسانيه، و تنميتها، و إفساح المجال لها لتؤثر فى مسار الحياه ..

2- و نحن فى غنى عن التذكير: بأن للعمل الصالح و الملائم لمرتكزات الخلق و التكوين آثارا وضعيه، و أخرى أحكاميه فى هذه الدنيا كما أظهرته هذه القضيه نفسها، بل ربما تؤسس هذه الأعمال لحدوث تغيرات جذريه فى حالات النفس، و فى إدراكاتها، و تعطيها جرعه من الواقعيه، تتمكن من خلالها من بلوغ الحق، و من الانصياع و البخوع له، الأمر الذى لا يتوفر للنفوس الأخرى، التى عزفت عن السير فى هذا الاتجاه، و لم تتقبل هذه التوفيقات، و انتهى الأمر بها إلى أن تسير فى طريق الجحود و الإنكار، عن سابق علم و تصميم و إصرار.

3- و فى سياق آخر: لا بد لنا من التوقف قليلا عند هذا التوجيه التربوى النبوى لأهل الإيمان، الهادف إلى دفعهم نحو الالتزام بمبدأ الرحمه و الرقه و الرأفه، و صله الرحم، و البر بالوالدين، و الالتزام بأحكام الشرائع، ليكون ذلک أساسا أخلاقيا و عمليا لنظرتهم للآخر، و للتعامل معه ..

4- يضاف إلى ذلک: أن من الطبيعى أن تنتاب أولئک الذين عرضوا على النبى (صلى اللّه عليه و آله) الفوز ببيض النساء، و أدم الإبل، صحوه تجعلهم يقارنون بين ما عرضوه عليه (صلى اللّه عليه و آله)، و بين ما أجابهم به، لكى يكتشفوا ما يصح أن يكون معيارا للحرب و السلم، و الإقدام، و الإحجام تجاه الذين يدينون بغير دين الإسلام، و يضعون أنفسهم فى مواضع المناوئ له ..

5- و قد أظهرت هذه الحادثه: أن ثمه أمورا يحسبها الإنسان ثانويه،

و غير ذات قيمه، فى حين أنها قد تصبح الأساس الذى يرتكز عليه أخطر قرار، و أهم موقف يرتبط بالمصير، و بالحياه كلها ..

و قد تجلى ذلک فى التزام بنى مدلج الوكز فى لبات الإبل، وفقا لما قررته الشرائع فى كيفيه نحرها.

الرفق بالحيوان .. مسؤوليه شرعيه:

و لما سار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن العرج- و كان فيما بين العرج و الطلوب- نظر إلى كلبه تهر عن أولادها، و هن حولها يرضعنها، فأمر جميل (و الصحيح: جعيل) (1) بن سراقه: أن يقوم حذاءها، لا يعرض لها أحد من الجيش، و لا لأولادها (2).

و نقول:

قد تحدثنا فى جزء سابق من هذا الكتاب عن بعض ما يتصل بموضوع الرفق بالحيوان، و صدر لنا كتاب بعنوان: (حقوق الحيوان فى الإسلام) و يمكننا أن نكتفى بما ذكرناه هناک عن إعاده الكلام عن ذلک هنا ..

غير أننا نود أن نذكر القارئ الكريم بما يلى:

1- إن علينا أن نرصد مشاعر هذا الجيش العرمرم، الذى اختلطت فيه الفئات، و الثقافات، و القبائل. و فيهم الحاضر و البادى، و الجاهل و العالم،

1- سبل الهدى و الرشاد ج 7 ص 29 و المغازى للواقدى ج 2 ص 804 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 356 و ج 2 ص 225.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 212 و ج 7 ص 29 و المغازى للواقدى ج 2 ص 804 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 356 و ج 2 ص 225.

و الكبير و الصغير، و الغنى و الفقير، و الرئيس و المرؤوس و .. و .. الخ .. و قد عاش هؤلاء و لا يزال كثير منهم يعيش حياه جاهليه بكل مفاهيمها، و حالاتها، و عاداتها، و بكل ما فيها من مآس، و كوارث، و قد تربوا على استحلال السلب و النهب، و الغاره، و قتل الرجال، و سحق الضعفاء من الرجال، و النساء، و الأطفال.

وهاهم، و هم الجناه الجفاه القساه، يواجهون قرارا حاسما و حازما لا بالتجاوز و إطلاق سراح البشر، بل بمراعاه حال البهائم، و حراستها من أن ينالها أى سوء أو أذى، أو حتى مجرد تكدير لصفاء أجوائها.

2- إن هذا الذى جرى لا بد من أن يفهمهم أيضا: أن ثمه أمورا يحسبها الإنسان صغيره فى حين أنها قد تكون على درجه كبيره من الأهميه و الخطوره ..

3- إن هذا الذى يرونه يتجاوز موضوع الرحمه، و الرفق بالحيوان، ليكون دليلا على ثبوت حق، و أن ثمه مسؤوليه تجاه هذه المخلوقات .. وفقا للحديث الشريف الذى يقول: (إنكم مسؤولون حتى عن البقاع و البهائم) (1).

4- إن على هؤلاء الناس الذين رأوا هذا الموقف أن يعودوا إلى أنفسهم، ليقارنوا بين قسوتهم على البشر، حتى الضعفاء، و بين الرحمه

1- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 2 ص 80 و البحار ج 22 ص 9 و 41 و ج 65 ص 290 و الكامل فى التاريخ ج 3 ص 194 و أعيان الشيعه ج 1 ص 446 و شرح النهج للمعتزلى ج 9 ص 288 و تفسير نور الثقلين ج 4 ص 402 و تفسير الميزان ج 17 ص 142 و تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 457 و البدايه و النهايه ج 7 ص 254.

و الرقه و المسؤوليه التى أظهرها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على الحيوان، لتكون الرحمه هى الأساس الذى لا بد من أن يبنوا عليه علاقاتهم بالحيوان ..

و إذا كانت علاقاتهم بالحيوان لا بد من أن تصل إلى هذا الحد، فما بالک بعلاقاتهم ببنى الإنسان.

5- لقد كان بإمكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يوقف الجيش، ثم يطلب إقصاء تلک الكلبه عن ذلک المكان، ليمر الجيش و تكون هى و أولادها منه فى مأمن و سلام ..

و لكنه لم يفعل ذلک، لأن الذين سوف يعرفون سبب إيقاف الجيش، و يعاينون مبرراته عن قرب سيكونون قله قليله من الناس، و هو يريد إشاعه هذه السياسه، و تعريف أكبر قدر ممكن من الناس بها، فكان أن وضع لها حارسا يرشد الجيش إلى لزوم الابتعاد عنها، و لو باختيار مسار آخر .. ربما لأن إبعادها عن الطريق ليس بأولى من الابتعاد عن طريقها، و كلا الأمرين يرجعان إلى اختيار السالكين، و لا تكون حقوقها مرهونه بإرادات الناس، بل لا بد لإراداتهم من أن تنطلق و تتبلور على أساس المفروغيه عن ثبوت تلک الحقوق و مراعاتها ..

6- لا بد لذلک الجيش من أن يدرک أن انشغال القائد بالقضايا الكبرى لا يبرر له تضييع ما عداها، ما لم يضر الاهتمام بها بالقضيه الكبرى، إذ إن الأمر الصغير كبير فى حد ذاته و فى موقعه، و لا يغنى عنه سواه، و لا يصح التخلى عنه إلا إذا تصادم مع ما هو أكبر و أخطر، بحيث يشكل خطوره عليه، كما هو ظاهر.

صیام النبی صلّی اللّه علیه و آله فی السفر:

و روی بسند صحیح عن أبی هریره قال: (رأیت رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالعرج یصب الماء علی رأسه من الحر و هو صائم) (1).

و عن جابر، عن ابن عباس: أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) خرج من المدینه فی غزوه الفتح فی شهر رمضان یصوم و یصومون، حتی بلغ الکدید (2)، بین عسفان و قدید (3).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 212 عن مالک و الواقدی، و عن الحاکم فی الإکلیل و ج 8 ص 423 عن أحمد و أبی داود، و ص 426 عن مالک و الشافعی و أحمد، و السیره الحلبیه ج 3 ص 77 و المغازی للواقدی ج 2 ص 801 و 802 و نیل الأوطار للشوکانی ج 4 ص 287 و مسند أحمد ج 4 ص 63 و ج 5 ص 376 و راجع: کتاب الموطأ ج 1 ص 294 و المغنی لابن قدامه ج 3 ص 45 و فتح الباری ج 4 ص 133 و الإستذکار لابن عبد البر ج 3 ص 298 و إمتاع الأسماع ج 13 ص 374 و التمهید لابن عبد البر ج 22 ص 47 و المصنف للصنعانی ج 4 ص 207 و الشرح الکبیر لابن قدامه ج 3 ص 45 و لسان المیزان لابن حجر ج 1 ص 377.
2- (الکدید): قیل: بالفتح، و بالکسر، و آخره دال أخری: موضع بالحجاز علی اثنین و أربعین میلا من مکه، بین عسفان و أمج. مراصد الإطلاع ج 3 ص 1152 و معجم البلدان ج 4 ص 442 و تاج العروس ج 5 ص 219 و راجع: فتح الباری (المقدمه) ص 174.
3- تاریخ الخمیس ج 2 ص 79 و تنویر الحوالک للسیوطی ص 281 و تلخیص الحبیر ج 6 ص 427 و نیل الأوطار ج 4 ص 304 و الطرائف لابن طاووس ص 528 و تلخیص الحبیر ج 6 ص 427 و تنویر الحوالک ص 281 و عوالی اللآلی ج 1 ص 203 و مسند أحمد ج 1 ص 334 و السیره الحلبیه (ط دار المعرفه) ج 3 ص 14 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 213 و تاریخ الإسلام للذهبی ج 2 ص 537 و التنبیه و الإشراف ص 230 و تذکره الحفاظ ج 4 ص 1214 و تفسیر القرطبی ج 2 ص 299 و منتخب مسند عبد بن حمید ص 216 و المصنف للصنعانی ج 5 ص 373 و السنن الکبری للبیهقی ج 4 ص 241 و صحیح البخاری (ط دار الفکر) ج 2 ص 238 و ج 5 ص 90 و عمده القاری ج 11 ص 46 و ج 17 ص 276 و فی القاموس: الکدید ما بین الحرمین.

(و فی روایه: بین عسفان و أمج (1). و فی حدیث جابر: کراع الغمیم (2))،

1- تاریخ الخمیس ج 2 ص 79 و مسند أحمد ج 1 ص 266 و مجمع الزوائد ج 6 ص 165 و عمده القاری ج 9 ص 234 و المعجم الکبیر ج 8 ص 10 و الدرر لابن عبد البر ص 214 و جامع البیان للطبری ج 2 ص 202 و تفسیر البغوی ج 4 ص 538 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 43 و معجم البلدان ج 4 ص 442 و تاریخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و تاریخ الإسلام للذهبی ج 2 ص 527 و البدایه و النهایه ج 4 ص 325 و 326 و السیره النبویه لابن هشام ج 4 ص 859 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 539 و 540 و النهایه فی غریب الحدیث ج 1 ص 65 و لسان العرب لابن منظور ج 2 ص 208 و تاج العروس ج 3 ص 288. و (أمج) بفتحتین، و الجیم: بلد من أعراض المدینه. مراصد الإطلاع ج 1 ص 115.
2- البحار ج 21 ص 127 عن إعلام الوری و المجموع للنووی ج 6 ص 264 و المغنی لابن قدامه ج 3 ص 34 و الشرح الکبیر ج 3 ص 19 و المحلی ج 6 ص 253 و بدایه المجتهد ج 1 ص 238 و نیل الأوطار ج 4 ص 306 و 308 و الطرائف ص 529 و اختلاف الحدیث للشافعی ص 493 و صحیح مسلم ج 3 ص 141 و سنن الترمذی ج 2 ص 106 و سنن النسائی ج 4 ص 177 و السنن الکبری للبیهقی ج 4 ص 241 و 246 و عمده القاری ج 11 ص 47 و مسند أبی داود ص 232 و السنن الکبری للنسائی ج 2 ص 101 و مسند ابی یعلی ج 3 ص 400 و ج 4 ص 98 و صحیح ابن خزیمه ج 3 ص 255 و شرح معانی الآثار ج 2 ص 65 و صحیح ابن حبان ج 6 ص 423 و ج 8 ص 318 و 319 و معرفه السنن و الآثار ج 3 ص 390 و الإستذکار لابن عبد البر ج 3 ص 301 و التمهید لابن عبد البر ج 9 ص 68 و ج 22 ص 52 و تفسیر الثعلبی ج 2 ص 73 و تفسیر السمعانی ج 1 ص 184 و تفسیر البغوی ج 1 ص 153 و البدایه و النهایه ج 4 ص 327 و 542 و سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 213 و ج 8 ص 426 و نهج الحق للعلامه الحلی ص 442 و إحقاق الحق (الأصل) ص 383.

بلغه أن الناس شق عليهم الصيام، و قيل له: إنما ينظرون فيما فعلت.

فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناء من لبن، أو ماء، و جزم جابر بأنه ماء، و كذا ابن عباس (1).

و فى روايه: فوضعه على راحلته ليراه الناس، فشرب فأفطر، فناوله

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 213 و ج 8 ص 428 و إحقاق الحق (الأصل) ص 383 و السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و راجع: صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج 5 ص 90 و فتح البارى ج 4 ص 158 و صحيح مسلم ج 3 ص 141 و صحيح ابن خزيمه ج 3 ص 255 و صحيح ابن حبان ج 8 ص 318 و 319 و نصب الرايه ج 3 ص 27 و العهود المحمديه ص 716 و نيل الأوطار ج 4 ص 309 و 310 و الطرائف لابن طاووس ص 529 و عمده القارى ج 17 ص 276 و المعجم الكبير ج 11 ص 274 و راجع: الكافى ج 4 ص 127 و من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 141 و الوسائل (ط مؤسسه آل البيت) ج 10 ص 176 و (ط دار الإسلاميه) ج 7 ص 125 و الفصول المهمه ج 1 ص 691 و جامع أحاديث الشيعه ج 9 ص 293 و منتقى الجمان ج 2 ص 527 و نهج الحق و كشف الصدق ص 442.

رجلا إلى جنبه، فشرب فقيل له بعد ذلک: إن بعض الناس صام، فقال:

(أولئک العصاه، أولئک العصاه)، فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر (1).

و عن أبی سعيد الخدری قال: سافرنا مع رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) و نحن صيام، فنزلنا منزلا، فقال رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله):

(إنكم قد دنوتم من عدوكم، و الفطر أقوی لكم).

و كانت رخصه، فمنا من صام، و منا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر، فقال: (إنكم مصبحو عدوكم، و الفطر أقوی لكم، فأفطروا).

فكانت عزيمه، فأفطرنا (2).

1- سبل الهدی و الرشاد ج 8 ص 426 و ج 5 ص 213 و فی هامشه عن: مسلم من حديث ابن عباس 2/ 784 (88/ 1113) و من حديث جابر أخرجه مسلم فی الصيام 2/ 785 (90/ 1114) و البخاری (4275)، و الترمذی (710) و النسائی فی الصيام باب (47) و الطيالسی كما فی المنحه (912) و الطحاوی فی معانی الآثار 2/ 65 و الشافعی فی المسند (158) و البيهقی فی الدلائل 5/ 25 و فی السنن 4/ 241، و انظر التلخيص 2/ 203 و راجع: السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و المغازی للواقدی ج 2 ص 802 و بدايه المجتهد و نهايه المقتصد لابن رشد الحفيد ج 1 ص 238 و عوالی اللآلی ج 1 ص 204 و راجع: شرح معانی الآثار ج 2 ص 64 و نيل الأوطار ج 4 ص 309 و 312 و الطرائف ص 528 و نهج الحق ص 442 و صحيح البخاری (ط دار الفكر) ج 5 ص 90 و عمده القاری ج 17 ص 275 و نصب الرايه ج 3 ص 28.
2- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 213 و فی هامشه عن: مسلم 2/ 789 (102/ 1120) و السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 15 و راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 802 و تلخيص الحبير ج 6 ص 431 و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 3 ص 144 و السنن الكبری ج 4 ص 242 و فتح البارى ج 4 ص 160 و تحفه الأحوذی ج 3 ص 328 و ج 5 ص 271 و المصنف لابن أبی شيبه ج 7 ص 627 و صحيح ابن خزيمه ج 3 ص 257 و شرح معانی الآثار ج 2 ص 65 و مسند الشاميين ج 3 ص 130 و نيل

الأوطار ج 4 ص 304 و فقه السنه لسيد سابق ج 1 ص 442 و سنن أبى داود ج 1 ص 538 و السنن الكبرى ج 4 ص 242.

أين أفطر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!:

و قد اختلفوا فى الموضع الذى أفطر فيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) هل هو قديد؟ أو كديد؟ أو كراع الغميم؟ أو عسفان؟ (1).

قال الصالحى الشامى و غيره: (يجوز أن يكون قد وقع منه (صلى اللّه عليه و آله) الفعل فى المواضع الأربعه، و الفطر فى موضع منها، لكن لم يره جميع الناس فيه لكثرتهم، و كرره ليتساوى الناس فى رؤيه الفعل الخ ..) (2).

و قال الحلبى: (لا منافاه لتقارب الأمكنه) (3).

و نقول:

إن تقارب الأمكنه لا يجدى شيئا، فإنه إذا كان الفعل قد وقع منه (صلى اللّه عليه و آله) فى كراع الغميم، فلماذا عدل الناقل عنها إلى عسفان، أو قديد، أو كديد؟

و إذا كان قد حصل ذلک فى عسفان، فلماذا يذكر الراوى كراع الغميم، أو قديدا؟!

و أما ما ذكروه من احتمال تكرر الفعل منه (صلى اللّه عليه و آله) ليراه

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 267 و السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 14.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 267 و السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 14.
3- السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 14.

الناس، فيحتاج إلى شاهد و قرينه تدل على هذا التعدد.

على أن ظاهر الروايات هو: أنها تتحدث عن فعل واحد صدر منه (صلى اللّه عليه و آله) بما له من خصوصيات و تفاصيل ..

حديث الصيام باطل من أصله:

و نظن أننا لن نفاجى ء القارى ء الكريم إذا قلنا: إن هذا الذى ذكروه عن أمر الصيام و الإفطار باطل من أساسه، فلاحظ ما يلى:

1- إن المسافه التى توجب القصر فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) هى ثمانيه فراسخ إمتداديه، أو ملفقه من الذهاب و الإياب.

و الفرسخ: ثلاثه أميال.

و المسافه بين المدينه و الأماكن التى يدّعى أنه (صلى اللّه عليه و آله) قد أفطر فيها، هى أضعاف المقدار الذى يجب فيه القصر، وفق ما عليه أهل البيت (عليهم السلام)، و أهل البيت أدرى بما فيه، و هم سفينه النجاه، و الثقل الذى أمر اللّه تعالى بالتمسک به مع القرآن ..

2- و المسافه الموجبه للقصر عند أهل السنه: المالكيه، و الحنابله، و الشوافع، هى: مسيره يوم و ليله، و قدروها بسته عشر فرسخا، التى هى حوالى اثنين و ثمانين كيلومترا أى ثمانيه و أربعون ميلا.

و عند الحنفيه هى: مسيره ثلاثه أيام من أقصر أيام السنه بدأ من الصباح إلى الزوال فقط.

و قدرها بعضهم: بأربعه و عشرين فرسخا (1).

و المسافه بين المدينه و المواضع التى زعموا أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أفطر فيها: هى أضعاف هذه المسافه ..

3- تقدم أن الحلبى يقول: إن هذه المواضع المذكوره فى الروايات متقاربه بحيث يصح ذكر بعضها مكان بعض.

و قد قلنا: إن ذلک لا يصح، إذ لا نجد مبررا لترک اسم الموضع الأصلى، و ذكر اسم الموضع المجاور له.

و لكننا نقول:

إن عسفان تبعد عن مكه سته و ثلاثين ميلا فقط (2) .. فهى على مسافه يومين من مكه (3).

و كديد: تبعد عن مكه اثنين و أربعين ميلا (4).

1- راجع: الفقه على المذاهب الأربعه ج 1 ص 472 و 473 و راجع: تذكره الفقهاء (ط ج) ج 4 ص 371 و (ط ق) ج 1 ص 188 و تفسير مجمع البيان ج 2 ص 16 و زاد المسير ج 1 ص 168 و تفسير الرازى ج 5 ص 82.
2- مراصد الإطلاع ج 2 ص 940 و شرح مسلم للنووى ج 7 ص 230 و عمده القارى ج 9 ص 203 و الديباج على مسلم ج 3 ص 215 و عون المعبود ج 4 ص 74.
3- وفاء الوفاء ج 4 ص 1266 و الشرح الكبير لابن قدامه ج 2 ص 93 و كشاف القناع ج 1 ص 616.
4- مراصد الإطلاع ج 3 ص 1152 و معجم البلدان ج 4 ص 442 و شرح مسلم للنووى ج 7 ص 230 و فتح البارى (المقدمه) ص 174 و تارج العروس ج 5 ص 219.

و كراع الغميم: أمام عسفان بثمانيه أميال (1).

و قد صرح أبو هريره: بأنه (صلى اللّه عليه و آله) كان بالعرج لا يزال صائما، و هى تبعد عن المدينه ثمانيه و سبعين ميلا (2).

و قديد: موضع قرب مكه (3)، و بينها و بين ضجنان يوم (4).

و ضجنان: على بعد خمسه و عشرين ميلا من مكه (5).

و قيل: على بعد بريد منها (6).

و هذا معناه: أن ثمه مسافات طويله فيما بين هذه الأمكنه، قد تصل إلى عشره أو خمسه عشر كيلومترا ..

علما بأن هذه الأماكن التى تتحدث الروايات عنها تبعد عن المدينه مئات الكيلومترات، كما يظهر من ملاحظه ما ذكرناه ..

1- مراصد الإطلاع ج 3 ص 1153 و معجم البلدان ج 4 ص 443 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1279 و الديباج على مسلم ج 3 ص 216.
2- وفاء الوفاء ج 4 ص 1264 و شرح مسلم للنووى ج 15 ص 15 و عمده القارى ج 10 ص 177 و الديباج على مسلم ج 5 ص 274 و سبل الهدى و الرشاد ج 12 ص 77.
3- مراصد الإطلاع ج 3 ص 1070 و معجم البلدان ج 4 ص 313.
4- وفاء الوفاء ج 4 ص 1257 و فتح البارى ج 2 ص 93 و فى عمده القارى ج 5 ص 146 و معجم ما استعجم: ليله.
5- وفاء الوفاء ج 4 ص 1257 و مراصد الإطلاع ج 2 ص 865 و معجم البلدان ج 3 ص 453.
6- مراصد الإطلاع ج 2 ص 865 و معجم البلدان ج 3 ص 453 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 1 ص 480.

أی أن عسفان تبعد عن المدینه حوالی ثمانی مراحل. أی بما یزید عن ثلاث مائه کیلومتر، و کذلک الحال بالنسبه لکدید، فضلا عن کراع الغمیم، و قدید.

فإذا لاحظنا النصوص فی المصادر المختلفه، فسنجد: أن القادم من المدینه إلی مکه یمر بالعرج، ثم بالجحفه، ثم بکدید، ثم بعسفان.

و الجحفه أقرب إلی مکه منها إلی المدینه، فإنها تبعد عن مکه أربع مراحل و نصفا (1)، و تبعد عن المدینه خمس مراحل و ثلثی مرحله (2).

و المرحله هی فی الحقیقه: مسیره یوم (3).

و بعد عسفان تأتی کراع الغمیم، ثم أمج .. و تأتی أخیرا قدیدا، و ضجبان.

و ذلک کله یوضح لنا: أن کدیدا و عسفان، و کراع الغمیم، و قدید، تبعد عن المدینه أضعاف المسافه التی توجب الإفطار و قصر الصلاه، و ذلک ظاهر لا یخفی.

و الأخذ بهذه الروایات یقتضی طرح جمیع الروایات الأخری التی اعتمد علیها فقهاء المذاهب الأربعه فیما یرتبط بتقدیر المسافه التی توجب

1- وفاء الوفاء ج 4 ص 1174 و راجع: مراصد الإطلاع ج 1 ص 315 و معجم البلدان ج 3 ص 62 و (ط دار إحیاء التراث العربی) ج 2 ص 111.
2- وفاء الوفاء ج 4 ص 1174 و راجع: مراصد الإطلاع ج 1 ص 315 و معجم البلدان ج 3 ص 62 و (ط دار إحیاء التراث العربی) ج 2 ص 111.
3- الفقه علی المذاهب الأربعه ج 1 ص 473 و الحدائق الناضره ج 14 ص 326 عن المصباح للفیومی.

الفطر و القصر، فضلا عن مخالفتها لما يقوله أهل بيت العصمه و الطهاره صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين ..

حديث شق عليهم الصوم:

و عن الحديث الذى يقول: إنه (صلى اللّه عليه و آله) إنما أفطر حين بلغه أن الصوم شق على الناس، نقول:

إننا نضيف إلى ما قدمناه ما يلى:

أولا: إن فطره (صلى اللّه عليه و آله) لأجل التخفيف على الناس غير مقبول؛ لأن الصوم إن كان مفروضا و واجبا، فلا يصح إفطار من لا يشق عليه الصوم لإغراء من شق عليه بالإفطار.

بل الواجب هو: إرشادهم إلى أن من بلغ مقدار المشقه عليه حدا يقتضى الإفطار، فعليه أن يفطر، و من لم تبلغ به المشقه هذا الحد، لم يجز له الإفطار ..

و إن كان الصوم ليس واجبا عليهم، فلا معنى لإناطه الإفطار بالمشقه ..

و المفروض: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن الصوم شاقا عليه، فكيف جاز له أن يفطر؟!

ثانيا: إن حديث مشقه الصوم لا ينسجم مع الحديث الآخر، الذى تحدث عن الرخصه تاره، و العزيمه أخرى .. لأن هذا الحديث يدل على أن السبب فى أمره (صلى اللّه عليه و آله) لهم بالإفطار هو: أنه يريد أن يجد فيهم المزيد من القوه فى مواجهه عدوهم.

إلا أن يقال: إن هذه الروايه لم تصرح بأن ذلک كان فى غزوه الفتح.

و ليس فيها أيضا: أن صيامهم كان فى شهر رمضان ..

فلعلها قصه أخرى، غير هذه ..

لا سيما و أنه لم تكن هناک حرب حقيقيه فى غزوه الفتح.

ثالثا: إن اعتبار الذين صاموا عصاه، يتوقف على أن يكون الصوم واجبا عليهم، فوجوب الإفطار يدور بين احتمالات:

الأول: أن تكون المسافه التى قطعت من موجبات الإفطار.

و قد تقدم بطلان هذا الاحتمال.

الثانى: أن يكون الصوم واجبا، لكن المشقه هى التى حتمت إفطارهم.

الثالث: أن يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد حتّم عليهم الإفطار من موقع كونه أولى بهم من أنفسهم، لكى تظهر قوتهم للأعداء، التى هى بنظره أهم من مصلحه الصوم. فهم قد خالفوا أمره الولائى، و لم يخالفوا أمر اللّه تعالى لهم فى صيام شهر رمضان المبارک.

الرابع: أن يكون وجوب الصوم قد كان بنذر و نحوه، و قد حل النبى (صلى اللّه عليه و آله) نذرهم، من حيث إنه أولى بهم من أنفسهم ..

و كل هذا بعيد .. و الإعتماد على احتمالات كهذه غير سديد و لا رشيد.

ص: 250

الفصل السابع: هجره العباس .. و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمه

اشاره

ص: 252

إسلام العباس و هجرته:

و قدم العباس على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعياله مسلما مهاجرا.

قال ابن هشام: لقيه بالجحفه (1).

و قيل: بذى الحليفه، و أرسل أهله و ثقله إلى المدينه، و رجع مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى مكه (2).

و عند الواقدى: لقيه بالسقيا هو و مخرمه بن نوفل، فدخل العباس، فلم يخرج حتى رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله). و كان ينزل معه فى كل منزل حتى دخل مكه (3).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 213 و السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و البحار ج 21 ص 118 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 357 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 242 و الإستذكار ج 5 ص 151.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 213 و السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و البحار ج 21 ص 118 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 357 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 42 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 242.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 812 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 330 و راجع: إمتاع الأسماع ج 1 ص 357 و أعيان الشيعه ج 1 ص 275.

قال البلاذری: و قال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (هجرتک یا عم آخر هجره، کما أن نبوتی آخر نبوه) (1).

و لکننا نجد فی مقابل ذلک من یقول عن العباس: (الصحیح: أنه منذ یوم بدر کان بالمدینه) (2).

و قالوا: إن العباس خرج یتلقی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و معه أبو سفیان بن الحارث، و عبد اللّه بن أبی أمیه، و قد تلقاه بثنیه العقاب، و رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی قبته، و علی حرسه زیاد بن أسید، فاستقبلهم زیاد، فقال: أما أنت یا أبا الفضل فامض إلی القبه، و أما أنتما فارجعا.

فمضی العباس حتی دخل علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فسلم علیه، و قال: بأبی أنت و أمی، هذا ابن عمک قد جاء تائبا، و ابن عمتک.

قال: لا حاجه لی فیهما، إن ابن عمی انتهک عرضی، و أما ابن عمتی فهو الذی یقول بمکه: لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ یَنْبُوعاً (3).

فلما خرج العباس کلمته أم سلمه، و قالت: بأبی أنت و أمی، ابن عمک قد جاء تائبا، لا یکون أشقی الناس بک، و أخی إبن عمتک و صهرک، فلا یکونن شقیا بک.

1- راجع: سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 213 و السیره الحلبیه ج 3 ص 78 و (ط دار المعرفه) ص 15 و مواقف الشیعه ج 1 ص 171 عن عیون الأخبار لابن قتیبه ج 1 ص 5.
2- الخرایج و الجرایح ج 1 ص 162 و البحار ج 21 ص 118 عنه.
3- الآیه 90 من سوره الإسراء.

و نادى أبو سفيان بن الحارث النبى (صلى اللّه عليه و آله): كن لنا كما قال العبد الصالح: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ فدعاه و قبل منه، و دعا عبد اللّه بن أبى أميه، فقبل منه (1).

وساطه أم سلمه:

كان أبو سفيان بن الحارث أخا النبى (صلى اللّه عليه و آله) من الرضاعه، أرضعته حليمه السعديه أياما، و كان لا يفارق النبى (صلى اللّه عليه و آله) قبل النبوه. و كان له تربا.

و كان عبد اللّه بن أبى أميه أخا لأم سلمه، و هو ابن عاتكه بنت عبد المطلب عمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و كان هذان الرجلان من أكبر القائمين عليه، و من أشد الناس إذايه له (صلى اللّه عليه و آله). فقدما على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بنبق العقاب، أو بالأبواء، فالتمسا الدخول عليه (صلى اللّه عليه و آله) فأعرض عنهما.

فكلمته أم سلمه فيهما، و قالت له: لا يكون ابن عمک، و ابن عمتک أشقى الناس بک.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): (لا حاجه لى بهما.

أما ابن عمى، فهتک عرضى.

و أما ابن عمتى و صهرى فهو الذى قال لى بمكه ما قال).

(أى أنه كان قد قال له: إنه لا يؤمن به إلا إذا عرج بسلم إلى السماء، و هو

1- مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 178 و إعلام الورى ج 1 ص 219 و البحار ج 21 ص 127 و 128 عنه، و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 108.

ينظر إليه، ثم يأتيه بصک، و أربعه من الملائکه يشهدون له: أن اللّه أرسله (1)).

فلما خرج الخبر، قال أبو سفيان: ليأذنن لى أو لآخذن بيد ابنى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت جوعا و عطشا.

فلما بلغ ذلک رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) رق لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه، و أسلما (2).

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 14 و المغازى للواقدى ج 2 ص 810 و 811 و سيره ابن إسحاق ج 4 ص 180 و السيره النبويه لابن هشام ج 1 ص 193 و عيون الأثر ج 1 ص 141 و السيره النبويه لابن كثير ج 1 ص 481 و سبل الهدى و الرشاد ج 2 ص 340 و راجع: الكشاف للزمخشرى ج 2 ص 466 و تفسير القمى ج 2 ص 27 و البحار ج 9 ص 222 و ج 18 ص 179 و التفسير الصافى ج 3 ص 217 و تفسير نور الثقلين ج 3 ص 226 و تفسير الرازى ج 21 ص 58 و تفسير القرطبى ج 10 ص 330 و تفسير البحر المحيط ج 6 ص 78 و الدر المنثور ج 4 ص 203 و تفسير أبى السعود ج 5 ص 195 و تفسير الآلوسى ج 15 ص 171 و البدايه و النهايه ج 3 ص 67 و أعيان الشيعه ج 1 ص 276 و 408 و ج 10 ص 272 و موسوعه التاريخ الإسلامى ج 1 ص 524.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 14 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و البحار ج 21 ص 102 و 103 و المغازى للواقدى ج 2 ص 810 و 811 و المعجم الكبير للطبرانى ج 8 ص 10 و تفسير الميزان ج 20 ص 380 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 329 و الكامل فى التاريخ ج 2 ص 243 و البدايه و النهايه ج 4 ص 328 و أعيان الشيعه ج 1 ص 276 و 408 و ج 10 ص 272 و السيره النبويه ج 4 ص 860 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 544 و تاريخ الخميس ج 2 ص 80 عن ذخائر العقبى، و المواهب اللدنيه، و أبى عمر.

و قيل: إن عليا (عليه السلام) قال لأبى سفيان: ائت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوه يوسف ليوسف:

.. تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَکَ اللَّهُ عَلَيْنا وَ إِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ؛ فإنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يرضى بأن يكون أحد أحسن قولا منه، ففعل، فقال (صلى اللّه عليه و آله):

لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (1).

و كان أبو سفيان قد عادى النبى (صلى اللّه عليه و آله) نحو عشرين سنه، يهجوه، و لم يتخلف عن قتاله (2).

و قال الواقدى: فلما خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى فتح مكه استقبل عبد اللّه بن أبى أميه، فسلم على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلم يرد عليه السلام، فأعرض عنه و لم يجبه بشى ء.

و كانت أخته أم سلمه مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، فدخل إليها فقال: يا أختى! إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد قبل إسلام الناس كلهم ورد إسلامى، فليس يقبلنى كما قبل غيرى.

فلما دخل رسول اللّه صلى (صلى اللّه عليه و آله) على أم سلمه قالت:

بأبى أنت و أمى يا رسول اللّه! سعد بک جميع الناس إلا أخى من بين قريش و العرب، رددت إسلامه، و قبلت إسلام الناس كلهم.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (يا أم سلمه، إن أخاک كذّبنى تكذيبا لم يكذبنى أحد من الناس، هو الذى قال لى:

1- الآيتين 91 و 92 من سوره يوسف.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و (ط دار المعرفه) ص 14 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 356.

وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ یَنْبُوعاً إلی قوله: کِتاباً نَقْرَؤُهُ (1).

قالت أم سلمه: بأبی أنت و أمی یا رسول اللّه ألم تقل: إن الإسلام یجب ما کان قبله؟

قال: نعم.

فقبل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إسلامه (2).

و لم یزل أبو سفیان عشرین سنه عدوا لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، یهجو المسلمین و یهجونه، و لا یتخلف عن موضع تسیر فیه قریش لقتال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، ثم إن اللّه ألقی فی قلبه الإسلام.

قال أبو سفیان: فقلت من أصحب؟! و مع من أکون؟! قد ضرب الإسلام بجرانه، فجئت زوجتی و ولدی فقلت: تهیأوا للخروج، فقد أظل قدوم محمد.

قالوا: قد آن لک أن تبصر أن العرب و العجم قد تبعت محمدا، و أنت موضع فی عداوته، و کنت أولی الناس بنصره.

فقلت لغلامی مذکور: عجل بأبعره و فرس.

قال: ثم سرنا حتی نزلنا الأبواء، و قد نزلت مقدمه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) الأبواء، فتنکرت، و خفت أن أقتل.

و کان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد نذر دمی، فخرجت علی

1- الآیات 90 إلی 93 من سوره الإسراء.
2- البحار ج 9 ص 222 و ج 21 ص 114 و تفسیر القمی ج 2 ص 27 و القواعد الفقهیه ج 1 ص 48 و مستدرک سفینه البحار ج 2 ص 5 و مستدرک الوسائل ج 7 ص 448 و جامع أحادیث الشیعه ج 9 ص 326 و تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 226.

قدمی نحوا من میل و أقبل الناس رسلا رسلا، فتنحیت فرقا من أصحابه، فلما طلع فی موکبه تصدیت له تلقاء وجهه، فلما ملأ عینیه منی أعرض عنی بوجهه إلی الناحیه الأخری.

فتحولت إلی ناحیه وجهه الأخری، فأعرض عنی مرارا، فأخذنی ما قرب و ما بعد، و قلت: أنا مقتول قبل أن أصل إلیه.

و أتذکر بره و رحمه فیمسک ذلک منی. و قد کنت لا أشک أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) و أصحابه سیفرحون بإسلامی فرحا شدیدا لقرابتی منه.

فلما رأی المسلمون إعراض رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) عنی أعرضوا عنی جمیعا، فلقینی ابن أبی قحافه معرضا عنی.

و نظرت إلی عمر یغری بی رجلا من الأنصار، فقال لی: یا عدو اللّه، أنت الذی کنت تؤذی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و تؤذی أصحابه، قد بلغت مشارق الأرض و مغاربها فی عداوته.

فرددت بعض الرد عن نفسی، و استطال علی و رفع صوته حتی جعلنی فی مثل الحرجه من الناس یسرون بما یفعل بی.

قال: فدخلت علی عمی العباس، فقلت: یا عم، قد کنت أرجو أن یفرح رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بإسلامی لقرابتی و شرفی، و قد کان منه ما رأیت، فکلمه فیّ لیرضی عنی.

قال: لا و اللّه، لا أکلمه کلمه أبدا بعد الذی رأیت منه.

فقلت: یا عمّی إلی من تکلنی؟

قال: هو ذاک.

قال: فلقیت علیا رحمه اللّه علیه، فکلمته، فقال لی مثل ذلک.

قال أبو سفيان: فخرجت، فجلست على باب منزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، حتى خرج إلى الجحفه و هو لا يكلمنى و لا أحد من المسلمين. و جعلت لا ينزل منزلا إلا أنا على بابه، و معى ابنى جعفر قائم، فلا يرانى إلا أعرض عنى.

فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكه، و أنا فى خيله التى تلازمه حتى هبط من أذاخر، حتى نزل الأبطح، فدنوت من باب قبته فنظر إلى نظرا هو ألين من ذلک النظر الأول، قد رجوت أن يبتسم، و دخل عليه نساء بنى عبد المطلب، و دخلت معهن زوجتى فرقّقته علىّ.

و خرج إلى المسجد و أنا بين يديه لا أفارقه على حال، حتى خرج إلى هوازن، فخرجت معه و قد جمعت العرب جمعا لم تجمع مثله قط.

و خرجوا بالنساء و الذريه و الماشيه، فلما لقيتهم قلت: اليوم يرى أثرى إن شاء اللّه. فلما لقيناهم حملوا الحمله التى ذكر اللّه: ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (1).

و ثبت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على بغلته الشهباء، و جرد سيفه.

فاقتحمت عن فرسى و بيدى السيف صلتا، قد كسرت جفنه، و اللّه يعلم أنى أريد الموت دونه، و هو ينظر إلى، فأخذ العباس بن عبد المطلب بلجام البغله، فأخذت بالجانب الآخر، فقال: من هذا؟

فقال العباس: أخوک و ابن عمک أبو سفيان بن الحارث! فارض عنه، أى رسول اللّه!

قال: قد فعلت، فغفر اللّه كلّ عداوه عادانيها!

1- الآيه 25 من سوره التوبه.

فأقبّل رجله فی الرکاب، ثم التفت إلی، فقال: أخی لعمری! ثم أمر العباس، فقال: ناد یا أصحاب سوره البقره! یا أصحاب السمره یوم الحدیبیه! یا للمهاجرین! یا للأنصار! یا للخزرج!

فأجابوا: لبیک داعی اللّه!

و کروا کره رجل واحد، قد حطموا الجفون، و شرّعوا الرماح، و خفضوا عوالی الأسنه، و أرقلوا إرقال الفحول، فرأیتنی و إنی لأخاف علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) شروع رماحهم حتی أحدقوا برسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و قال لی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): تقدم فضارب القوم.

فحملت حمله أزلتهم عن موضعهم، و تبعنی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قدما فی نحور القوم، ما یألو ما تقدم، فما قامت لهم قائمه حتی طردتهم قدر فرسخ، و تفرقوا فی کل وجه.

و بعث رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) نفرا من أصحابه علی الطلب، فبعث خالد بن الولید علی وجه، و بعث عمرو بن العاص فی وجه، و بعث أبا عامر الأشعری إلی عسکر بأوطاس، فقتل، و قتل أبو موسی قاتله (1).

و نقول:

إن لنا وقفات عدیده مع هذه النصوص کلها، و نجمل ذلک علی النحو التالی:

1- قاموس الرجال ج 5 ص 237 عن أنساب الأشراف للبلاذری، و کتاب التوابین ص 113 و 114.

هجره العباس آخر هجره:

و قد صرحت الروايات المتقدمه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد قال للعباس: (هجرتک يا عم آخر هجره كما أن نبوتى آخر نبوه) (1).

و نقول:

إننا نسجل هنا الملاحظات التاليه:

ألف: لماذا اعتبر (صلى اللّه عليه و آله) هجره العباس آخر هجره، و لم يعتبر هجره عبد اللّه بن أبى أميه آخر هجره؟!

أو لماذا لا يعتبر هجره أبى سفيان بن الحارث آخر هجره؟!

بل لقد كان الأولى اعتبار هجره هؤلاء جميعا آخر هجره ..

و قد يقال فى الجواب عن ذلک: إن العباس كان فى مكه مسلما، و لم يهاجر إلا حين الفتح، أما هؤلاء فقد كانوا على الكفر، و إنما جاؤوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى هذا الوقت لكى يسلموا، و كان بعضهم قد أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمه. و إنما يصح إطلاق كلمه المهاجر على من أسلم و آمن، ثم هاجر .. لا على من لم يسلم أصلا، و لكنه يعد بأن يسلم حين يلقى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ..

غير أن صحه هذا الجواب تتوقف على ثبوت إسلام العباس قبل يوم الفتح، و دون ذلک خرط القتاد، لا سيما مع ما سيأتى من وجود روايه صحيحه مصرحه بكونه من الطلقاء.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 213 و السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و (ط دار المعرفه) ص 15 و مواقف الشيعه ج 1 ص 171 عن عيون الأخبار لابن قتيبه ج 1 ص 5.

ب: إننا لم نعرف ماذا كان مصير مخرمه بن نوفل، فإنه لم يدخل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فإن كان قد أسلم فلماذا لم يذكروا لنا ذلک؟!

و إن كان لم يسلم، فهل تركوه؟ أم أسروه؟!

ج: إن حديث هجره العباس فى هذا الوقت موضع شک:

أولا: لما تقدم من أن ثمه من يقول عن العباس: (الصحيح: أنه منذ يوم بدر كان فى المدينه). و إن كانت النصوص و الوقائع لا تساعد على قبول هذا القول ..

ثانيا: قد عرفت الخلاف فى المكان الذى التقى فيه العباس بالنبى (صلى اللّه عليه و آله)، فهل لقيه بالسقيا و هى تبعد عن المدينه أربعه أيام؟!

أم لقيه بالجحفه، و هى تبعد عن مكه أربع مراحل و نصف مرحله، كما تقدم؟!

أم لقيه فى ثنيه العقاب؟!

أم فى الجحفه؟!

أم فى ذى الحليفه؟!

و سيأتى بيان ذلک إن شاء اللّه تعالى ..

ثالثا: إن كلام المعتزلى يشير إلى أن آخر من هاجر هو نعيم بن مسعود، و ليس العباس.

فقد ذكر: أن العباس شفع فى نعيم بن مسعود: أن يستثنيه النبى (صلى اللّه عليه و آله) من قوله: (لا هجره بعد الفتح)، فاستثناه، فراجع (1).

رابعا: ما معنى مقارنه هجره العباس بالنبوه الخاتمه؟! فإن للنبوه

1- البحار ج 66 ص 230 عن شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 103.

الخاتمه فضلها على سائر النبوات، و لم يكن لهجره العباس أى فضل على غيرها من الهجرات، بل كانت تلك الهجرات أفضل عند اللّه تعالى، و لا سيما هجره رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و هجره أمير المؤمنين (عليه السلام). و قد كان (عليه السلام) يذكر سبقه إلى الهجره فى جمله فضائله و كراماته التى منّ اللّه تعالى عليه بها (1).

خامسا: إنهم يقولون: إن العباس خرج يلتقى النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و معه عبد اللّه بن أبى أميه، و أبو سفيان، و قد تلقاه بثنيه العقاب حسبما تقدم.

و هذا معناه: أنه لم يخرج مهاجرا، و إنما خرج متلقيا .. و إن كان لنا كلام حتى بالنسبه لهذا المقدار أيضا، و نظن أنه قد خرج يتنسم الأخبار ففوجئ بجيوش الإسلام فاستسلم كما سنرى.

سادسا: روى عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن على بن النعمان، عن عبد اللّه بن مسكان، عن سدير، قال:

(كنا عند أبى جعفر (عليه السلام)، فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيهم

1- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 1 ص 106 و الوسائل (ط مؤسسه آل البيت) ج 16 ص 228 و (ط دار الإسلاميه) ج 11 ص 478 و فرحه الغرى لابن طاووس ص 5 و البحار ج 38 ص 255 و 292 و ج 39 ص 325 و ج 72 ص 421 و جامع أحاديث الشيعه ج 14 ص 581 و مستدرک سفينه البحار ج 10 ص 486 و دراسات فى نهج البلاغه للشيخ محمد مهدى شمس الدين ص 178 و موسوعه أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للشيخ هادى النجفى ج 5 ص 27 و شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 54 و تفسير ابن عربى ج 2 ص 345 و ينابيع الموده للقندوزى الحنفى ج 1 ص 205.

(صلى اللّه عليه و آله)، و استذلالهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال رجل من القوم: أصلحک اللّه، فأين كان عز بنى هاشم و ما كانوا فيه من العدد؟!

فقال أبو جعفر (عليه السلام): و من كان بقى من بنى هاشم؟ إنما كان جعفر و حمزه فمضيا، و بقى معه رجلان ضعيفان ذليلان، حديثا عهد بالإسلام: عباس، و عقيل. و كانا من الطلقاء.

أما و اللّه، لو أن حمزه و جعفرا كانا بحضرتهما، ما وصلا إلى ما وصلا إليه، و لو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما) (1).

و قد وصف السيد الخوئى (رحمه اللّه) سند هذه الروايه بالصحه (2).

و وصفه العلامه المجلسى بالحسن، و لكنه فسر كلمه: (كانا من الطلقاء)- تبعا للمازندرانى- بقوله: أى أطلقهما النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى غزاه بدر، بعد أسرهما، و أخذ الفداء منهما (3).

و هذا الكلام خلاف الظاهر: فإن كلمه (الطلقاء) اصطلاح خاص، منتزع من كلمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لأهل مكه يوم الفتح: (اذهبوا فأنتم

1- الكافى (مطبعه النجف سنه 1385 ه) ج 8 ص 165 و (ط دار الكتب الإسلاميه) ص 189 الحديث رقم 216 و البحار ج 28 ص 251 و معجم رجال الحديث ج 10 ص 252 و مجمع النورين للمرندى ص 89 و بيت الأحزان ص 128 و موسوعه الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) فى الكتاب و السنه و التاريخ للريشهرى ج 3 ص 65 و عقيل بن أبى طالب للأحمدى الميانجى ص 78.
2- معجم رجال الحديث ج 9 ص 235.
3- مرآه العقول ج 26 ص 83 و 84 و راجع: شرح الكافى للمولى محمد صالح المازندرانى ج 12 ص 236 و (ط دار إحياء التراث العربى) ص 247.

الطلقاء). و هو مؤيد بشواهد أخرى تدل على أن العباس لم يهاجر.

فإن إسلام العباس و عقيل فى بدر فلا مجال لإثباته، فيبقى فى دائره الظنون و الحدسيات، فراجع ما ذكرناه فى غزوه بدر و غيرها.

الهجره لم تنقطع:

قد ذكرت الروايات: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال: لا هجره بعد الفتح.

و ذكروا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) استثنى نعيم بن مسعود من هذا الإطلاق.

و لكن ذلک غير صحيح: فإن الهجره باقيه إلى يوم القيامه، كما نص عليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد روى أنه قال فى خطبه له:

(و الهجره قائمه على حدها الأول. ما كان للّه فى أهل الأرض حاجه من مستسرّ الأمه و معلنها، لا يقع اسم الهجره على أحد إلا بمعرفه الحجه فى الأرض، فمن عرفها و أقربها فهو مهاجر

و لا يقع اسم الإستضعاف على من بلغته الحجه، فسمعتها أذنه، و وعاها قلبه، إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان، و لا تعى حديثنا إلا صدور أمينه، و أحلام رزينه ..) (1).

فهذا النص يدل على أنه (عليه السلام) يريد أن ينفى ما يزعمونه من

1- نهج البلاغه (بشرح عبده) ج 2 ص 128 الخطبه رقم 189 و البحار ج 66 ص 227 و الإيجاز و الإعجاز للثعالبى ص 32 و شرح النهج للمعتزلى ج 13 ص 101 و ينابيع الموده ج 3 ص 452.

انتفاء الهجره، و هو الزعم الذى أيدوه بما نسبوه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): لا هجره بعد الفتح.

و قد قرر (عليه السلام): أن الهجره باقيه لم تنقطع .. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 21 267 الهجره لم تنقطع: ..... ص : 266

و أما ما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) لمعاويه: من أن الهجره قد انقطعت يوم أسر أخوه، فيمكن أن يكون (عليه السلام) قد أورده وفق مزاعم معاويه و أضرابه، من أن الهجره قد انقطعت بفتح مكه.

هذا، و قد وقع الملتزمون بأنه لا هجره بعد الفتح فى حيص بيص فى توجيه كلام على (عليه السلام) هذا. و يظهر ذلک جليا مما نقله العلامه المجلسى عن ابن الأثير و ابن أبى الحديد المعتزلى و غيرهما، فقد قال فى شرحه للكلام السابق ما ملخصه:

أصل الهجره المأمور بها الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام.

و قال فى النهايه فيه: لا هجره بعد الفتح، و لكن جهاد ونيه.

و فى حديث آخر: لا تنقطع الهجره حتى تنقطع التوبه.

و الهجره هجرتان:

إحداهما: التى وعد اللّه عليها الجنه فى قوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ (1)، فكان الرجل يأتى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و يدع أهله و ماله لا يرجع فى شى ء منه، و ينقطع بنفسه إلى مهاجره.

و كان النبى (صلى اللّه عليه و آله) يكره أن يموت الرجل بالأرض التى هاجر منها، فمن ثم قال: (لكن البائس سعد بن خوله)، يرثى له أن مات بمكه.

1- الآيه 11 من سوره التوبه.

و قال حين قدم مكه: (اللهم لا تجعل منايانا بها)، فلما فتحت مكه صارت دار إسلام كالمدينه، و انقطعت الهجره.

و الهجره الثانيه: من هاجر من الأعراب و غزا مع المسلمين، و لم يفعل كما فعل أصحاب الهجره الأولى، فهو مهاجر. و ليس بداخل فى فضل من هاجر تلك الهجره، و هو المراد بقوله: (لا تنقطع الهجره حتى تنقطع التوبه).

فهذا وجه الجمع بين الحديثين.

و إذا أطلق فى الحديث ذكر الهجرتين، فإنما يراد بهما: هجره الحبشه، و هجره المدينه، انتهى كلام ابن الأثير.

و قال ابن أبى الحديد: هذا كلام من أسرار الوصيه يختص به على (عليه السلام)، لأن الناس يروون أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال: (لا هجره بعد الفتح)، فشفّع (1) عمه العباس فى نعيم بن مسعود الأشجعى أن يستثنيه، فاستثناه.

و هذه الهجره التى أشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) ليست تلك، بل هى الهجره إلى الإمام.

و قال بعض الأصحاب: تجب المهاجره عن بلد الشرک على من يضعف عن إظهار شعائر الإسلام مع المكنه. و يستحب للقادر على إظهارها، تحرزا عن تكثير سواد المشركين.

و المراد بها: الأمور التى تختص بالإسلام، كالأذان و الإقامه، و صوم شهر رمضان، و غير ذلک.

1- أى قبل (صلى اللّه عليه و آله) شفاعه عمه.

و ألحق بعضهم ببلاد الشرک بلاد الخلاف التی لا یتمکن فیها المؤمن من إقامه شعائر الإیمان مع الإمکان.

و لو تعذرت الهجره لمرض أو عدم نفقه أو غیر ذلک فلا حرج، لقوله تعالی: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَهً وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلًا فَأُولئِکَ عَسَی اللَّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ کانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (1).

إلی أن قال: (لا یقع اسم الهجره الخ ..). أی یشترط فی صدق الهجره معرفه الإمام و الإقرار به.

و المراد بقوله: (فمن عرفها الخ ..)، أنه مهاجر بشرط الخروج إلی الإمام، و السفر إلیه، أو المراد بالمعرفه: المعرفه المستنده إلی المشاهده و العیان.

و یحتمل أن یکون المراد: أن مجرد معرفه الإمام و الإقرار بوجوب اتباعه کاف فی إطلاق اسم الهجره، کما هو ظاهر الجزء الأخیر من الکلام.

و یدل علیه: بعض أخبارنا، فمعرفه الإمام و الإقرار به فی زمانه قائم مقام الهجره المطلوبه فی زمان الرسول (صلی اللّه علیه و آله).

و قال بعض الإصحاب: الهجره فی زمان الغیبه سکنی الأمصار، لأنها تقابل الباذیه مسکن الأعراب، و الأمصار أقرب إلی تحصیل الکمالات من القری و البوادی، فإن الغالب علی أهلها الجفاء و الغلظه، و البعد عن العلوم و الکمالات، کما روی عن النبی (صلی اللّه علیه و آله): (أن الجفاء و القسوه

1- الآیتان 98 و 99 من سوره النساء.

فی (الفدادین) (1) (2).

و قیل: هی الخروج إلی طلب العلوم، فیعم الخروج عن القری و البوادی، و الخروج عن بلد لا یمکن فیه طلب العلم (3).

و فی جمیع الأحوال نقول:

إن هذه التأویلات و التقسیمات تبرعیه، لیس لها مبرر سوی أنهم یعتقدون بصحه حدیث: لا هجره بعد الفتح.

و لکن ما ورد فی خطبه أمیر المؤمنین (علیه السلام) یضع علامه استفهام کبیره حول صحه هذه الکلمه المنسوبه إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله).

مع ملاحظه: أن المطلوب کان هو الهجره من بلاد الشرک إلی بلاد الإیمان، حفظا لإیمان الناس، و لا مبرر للطلب من الناس الهجره من بلاد الإیمان إلی بلاد أخری حتی لو کانت من بلاد الإیمان أیضا ..

1- الفدادون: الجمالون، و الرعیان، و البقارون، و الحمارون، و الفلاحون، و أصحاب الوبر، و الذین تعلو أصواتهم فی حروثهم و مواشیهم، و المکثرون من الإبل.
2- الکافی ج 8 ص 70 و البحار ج 22 ص 136 و ج 57 ص 232 و ج 66 ص 231 و عمده القاری ج 15 ص 191 و تخریج الأحادیث الآثار للزیلعی ج 2 ص 94 و الذکری للشهید الأول ج 4 ص 417 و تفسیر البحر المحیط ج 5 ص 94 و غریب الحدیث ج 1 ص 202 و تفسیر النسفی ج 2 ص 105 و روض الجنان للشهید الثانی (ط ق) ص 312 و مسالک الأفهام ج 1 ص 316 عن: غریب الحدیث للهروی ج 1 ص 125 و الصحاح ج 2 ص 518 و النهایه فی غریب الحدیث ج 3 ص 419.
3- البحار ج 66 ص 229- 231.

الطلقاء ليسوا من الصحابه:

و قد يقال: إن حديث: لا هجره بعد الفتح ثابت بدليل: أنه حلف رجل بخراسان بالطلاق إن كان معاويه من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأفتى الفقهاء بطلاقها.

فسئل الرضا (عليه السلام) عن ذلک، فأفتى: أنها لا تطلق.

فكتب الفقهاء رقعه أنفذوها إليه، يسألونه عن ذلک، فوقع فى رقعتهم:

قلت: هذا من روايتكم، عن أبى سعيد الخدرى: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قال لمسلمه الفتح، و قد كثروا عليه: أنتم خير، و أصحابى خير، و لا هجره بعد الفتح (1).

فأبطل الهجره و لم يجعل هؤلاء أصحابا له، فرجعوا إلى قوله (2).

فحكم الإمام الرضا (عليه السلام) بعدم صحه الطلاق استنادا إلى هذا الحديث، يدل على ثبوته، فلا معنى للتشكيک به أو إنكاره.

غير أننا نقول:

إننا لا نريد أن نتكلم فى سند هذا الحديث نقضا و إبراما، إذ يكفينا القول: بأن حكم الإمام الرضا (عليه السلام) لا يدل على صحه حديث

1- عيون أخبار الرضا ج 1 ص 93 و البحار ج 19 ص 89 و ج 33 ص 167 و ج 101 ص 158 و مستدرک سفينه البحار ج 6 ص 569 و إحقاق الحق (الأصل) ص 256 و راجع: مسند أبى داود الطيالسى ص 84 و 130 و 293 و كنز العمال ج 2 ص 560 و الدر المنثور ج 6 ص 406 و المستدرک للحاكم ج 2 ص 257.
2- البحار ج 19 ص 90 و ج 33 ص 167 و 101 ص 158 و مستدرک سفينه البحار ج 6 ص 569 و عيون أخبار الرضا (ط مؤسسه الأعلمى سنه 1404 ه) ج 1 ص 93 و 94.

انقطاع الهجره بالفتح، لأنه جار على قاعده: ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

و يشير إلى ذلک قوله (عليه السلام): (قلت: هذا من روايتكم عن أبى سعيد الخ ..)، فإن هذا القول لو كان ثابتا عنده و عندهم، لكان الأولى أن يقول: (قلت: هذا من الحديث الثابت عن رسول اللّه).

و أما حكم الإمام (عليه السلام): بأن معاويه ليس من الصحابه، فيتلخص فى أن كلام النبى (صلى اللّه عليه و آله) قد تضمن جعل مسلمه الفتح فى مقابل أصحابه، فدل ذلک على أنهم ليسوا منهم، و قد كان معاويه من مسلمه الفتح، فهو إذن ليس من أصحابه (صلى اللّه عليه و آله).

العباس يتلقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و بعد .. فإننا كما نشكک بقوه فى ان يكون العباس قد خرج مهاجرا، لوجود الروايه الصحيحه سندا، و المصرحه بكونه من الطلقاء، بالإضافه إلى قرائن أخرى، فإننا نشک أيضا: فى دقه التعبير الذى ورد فى نصوص أخرى، من أنه خرج يتلقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و سبب شكنا فى ذلک هو الأمور التاليه:

1- إن العباس لم يكن يعلم بقدوم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إلى مكه، بل إن الجيش القادم نفسه لم يكن يعلم بحقيقه مقصد رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله). و قد أوضحنا ذلک أكثر من مره.

2- إن الاختلاف فى المكان الذى التقى فيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يؤكد شكنا فى نوايا الرواه لهذا الأمر ..

3- إن تلک الروايه الصحيحه السند التى اعتبرته من الطلقاء، تؤكد

على أنه إنما أسلم تحت وطأه الخوف من هذا الجيش القادم، و لم يسلم طوعا، و من يكون من الطلقاء لا يخرج لتلقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

فالظاهر هو: أنه قد جرى للعباس مثلما جرى لأبى سفيان و بديل بن ورقاء و غيرهما. أى أنه إنما خرج يتنسم الأخبار .. فأبعد عن مكه أكثر من أبى سفيان، فواجه الجيش العظيم القادم، فاضطر إلى الاستسلام، و إظهار الإسلام، ثم عاد مع ذلک الجيش إلى مكه، و لقى أبا سفيان و من معه فى الطريق، و كان ما كان مما سيأتى بيانه إن شاء اللّه.

أين لقى العباس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!:

و قد ذكرت النصوص المتقدمه مواضع مختلفه ادّعت أن العباس لقى النبى (صلى اللّه عليه و آله) فيها.

ففى بعضها: أنه لقيه بالأبواء ..

و فى بعضها: أنه لقيه بالجحفه.

و قيل: بذى الحليفه.

و قيل: بالسقيا.

و قيل: بثنيه العقاب.

و الأبواء بالنسبه للآتى من المدينه إلى مكه تقع قبل الجحفه مما يلى الجحفه بثلاثه و عشرين ميلا (1). فتكون على بعد خمسه أيام من المدينه.

و الجحفه تقع على أربع مراحل و نصف من جهه مكه، و تبعد خمس

1- معجم البلدان ج 1 ص 79 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1118 و مراصد الإطلاع ج 1 ص 19 و فتح البارى ج 4 ص 28 و عمده القارى ج 14 ص 260.

مراحل و ثلثی مرحله من المدینه (أو ست مراحل) (1).

و ذو الحلیفه یبعد عن المدینه سته أمیال أو سبعه (2).

و أما السقیا، فهی علی نحو أربعه أیام من المدینه، و هی بالنسبه للآتی من المدینه إلی مکه، قبل الأبواء بأحد عشر میلا (3).

أما ذکر ثنیه العقاب فهو غلط، لأن ثنیه العقاب قرب غوطه دمشق (4) و لیست بین مکه و المدینه.

و بعد ما تقدم نقول:

لا بد من تحدید الموضع الذی التقی فیه النبی (صلی اللّه علیه و آله) بالعباس، و بأبی سفیان بن الحارث، و عبد اللّه بن أبی أمیه إذ لا یمکن أن یلتقی به فی جمیع هذه المواضع المتباعده عن بعضها البعض بما قد یصل إلی عشرات الأمیال.

1- راجع: معجم البلدان ج 3 ص 62 و (ط دار إحیاء التراث العربی) ج 2 ص 111 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1174 و راجع: مراصد الإطلاع ج 1 ص 315. راجع: مراصد الإطلاع ج 1 ص 315.
2- معجم البلدان ج 2 ص 295 و 325 و ج 5 ص 155 و أعیان الشیعه ج 1 ص 416 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1193 و مراصد الإطلاع ج 1 ص 420 و موسوعه التاریخ الإسلامی ج 2 ص 154 و القاموس المحیط ج 3 ص 129 و تاج العروس ج 12 ص 148.
3- وفاء الوفاء ج 4 ص 1234 و سبل الهدی و الرشاد ج 4 ص 135 و فی معجم ما استعجم ج 3 ص 954 من السقیا إلی الأبواء تسعه عشر میلا.
4- مراصد الاطلاع ج 1 ص 301 و راجع: معجم البلدان ج 2 ص 85 و ج 3 ص 21 و ج 4 ص 133.

تناقض و اختلاف الروايات:

إننا نلمح اختلافا و تناقضا فى قصه عبد اللّه بن أبى أميه، و أبى سفيان بن الحارث.

و هذا يشير إلى: أن ثمه تصرفا، بل تعمدا للكذب فى النصوص، باستثناء واحده من الروايات، قد يمكن للباحث تحديدها، و قد لا يمكن ..

و على سبيل المثال لا الحصر نقول: هناک روايه تقول: إن العباس قد كلم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بشأن عبد اللّه بن أميه، و أبى سفيان بن الحارث ..

لكن روايه أخرى تصرح: بأن العباس رفض أن يكلم النبى (صلى اللّه عليه و آله) بشأن ابن أبى أميه، رغم أن ابن أبى أميه قد طلب من العباس ذلک ..

و هناک روايه تقول: إنه لما كلمت أم سلمه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قبل منها و رضى عنه، و دعاه و قبل توبته ..

لكن روايه أخرى تقول: إنه لم يرض عنه، و لم يقبل منه، رغم ملازمته له، إلى أن جرى ما جرى فى حرب حنين.

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يرد السلام و لا يقبل التوبه:

و من الأمور التى تثير أكثر من سؤال: ما زعمته بعض الروايات المتقدمه، من أن عبد اللّه بن ابى أميه سلم على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فلم يرد عليه السلام، و أعرض عنه، و لم يجبه بشى ء ..

كما أنها صرحت: بأنهم أخبروه بأنه قد جاء تائبا. و لكنه (صلى اللّه عليه

و آله) أعرض عنه، و خشى عبد اللّه أن يقتل، فشكى ذلک إلى أخته أم سلمه ..

و نقول:

1- إننا نشک فى صحه ذلک، إذ لم نعهد من أخلاق الرسول الكريم (صلى اللّه عليه و آله) أن يسلّم عليه أحد، ثم لا يجيبه.

كيف، و قد أنزل اللّه تعالى فى كتابه الكريم: وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّهٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها ..؟! (1).

2- إن نفس مجى ء هؤلاء إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) مستسلمين، تائبين- كما صرحت به الروايه- ملتمسين منه أن يقبلهم يجعلهم مصداقا لقوله تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياهِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَهٌ .. (2).

3- إن المفروض: كما صرح به العباس و أم سلمه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أن هذا المذنب قد جاء تائبا .. و لا نجد مبررا لعدم قبول توبته ..

و قد قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ .. (3).

و أصرح من ذلک قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ

1- الآيه 86 من سوره النساء.
2- الآيه 25 من سوره الشورى.
3- الآيه 94 من سوره النساء.

اللَّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِیماً .. (1).

و هؤلاء قد ظلموا أنفسهم، و قد جاؤوا النبی (صلی اللّه علیه و آله) تائبین مستغفرین .. فلماذا یعرض عنهم، و یرفض إجابه طلبهم، و قبول توبتهم؟!

فکیف إذا أخذنا بالروایه التی أکدت علی إصرار عبد اللّه بن أبی أمیه علی الفوز برضی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و استمر ملازما للنبی (صلی اللّه علیه و آله) ملتمسا رضاه إلی أن صار إلی حنین، و خاض تلک الحرب، و واجه الأهوال فیها (2).

و ماذا نصنع بالکثیر الکثیر من الآیات و الروایات الشریفه التی تأمر بالعفو، و تبشر الناس بقبول توبه التائبین ..

إلا أن یدّعی: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أراد أن یظهر صدق ذلک الرجل فیما یدّعیه من التوبه، لیقطع دابر الإشاعات المغرضه التی ربما تثار حول سبب العفو، و أنه هو القرابه التی کانت لابن الحارث أو لابن أبی أمیه، و أنها إنما قبلت منهما لأنها کانت توبه نصوحا، لا لأجل القرابه.

و لکن لو صحت هذه الدعوی لکان یجب أن یعامل العباس بنفس هذه المعامله، لیثبت أن قبوله لا لأجل قرابته من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

1- الآیه 64 من سوره النساء.
2- راجع: الإستیعاب ج 3 ص 868 و الإصابه ج 4 ص 10- 12 و مستدرکات علم رجال الحدیث ج 4 ص 446 و عمده القاری ج 17 ص 17 و ج 20 ص 216 و ج 22 ص 43 و الخصائص الفاطمیه للکجوری ج 2 ص 134.

و أما بالنسبه للسؤال عن كيفيه وصول الذين أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمهم إليه، فيجاب: بأن طرق الوقايه من الأذى متيسره لهم، و يكفى أن يحتمى بأحد المسلمين، و يأتى معه، كما فعل عثمان بالنسبه لعبد اللّه بن سعد بن أبى سرح.

تاللّه لقد آثرک اللّه علينا:

و حينما كلّم العباس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بشأن أبى سفيان بن الحارث و ابن أبى أميه قد ركّز على أن هذا ابن عم النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و ذاک ابن عمته .. ظنا منه أن القربى النسبيه وحدها تكفى للتجاوز عن ذنب ذينک الرجلين ..

و لكن الحقيقه هى: أن الإساءه تختلف فى طبيعتها و فى أحكامها. فإن كانت إساءه للشخص، كان للصفح عنها، و لمراعاه القربى الرحميه فيها مجال، بل لا مجال لسوى ذلک من نبى كريم لم يزل يحث الناس على صله القربى، و الصفح عن المسيئين ..

و إن كانت الإساءه منهما للدين، و للأمه، و تمثل جرأه عظيمه على اللّه تبارک و تعالى، فلا يحق لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أن يصفح عن مرتكب ذلک، إذا لم يكن الندم و التوبه من نفس هذ الذنب العظيم .. و لم يظهر من أولئک التائبين و لا من الطالبين للصفح عنهم، أن هذا هو ما جاؤوا من أجله.

بل الذى ظهر هو: أنهم يريدون استجلاب رضى شخص رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بهدف إصلاح العلاقه معه كشخص، من أجل حفظ

نفوسهم و مصالحهم، و بغض النظر عن أى شى ء آخر.

فجاء الرفض النبوى لقبولهما، منسجما مع طبيعه ذنبهما، و موجها لحقيقه ما يطلب منهما، حيث لم يظهر منهما ما يدل على الرغبه فى إصلاح علاقتهما باللّه سبحانه، و الإعتراف بخطأهما فى ممارساتهما التى كانت تهدف إلى إضعاف دين اللّه، و زعزعه يقين الناس بهذا الدين.

و قد أشار النبى (صلى اللّه عليه و آله) إلى هذه الحقيقه حين أعلن عن سبب موقفه منهما، و هو: أن أحدهما قد هتک عرضه، لأنه كان يهجوه، و يظهر الإستهانه به، و يصغّر من شأنه كشخص، توصلا لإسقاط هيبته، و إضعاف دعوته و تكذيب نبوته.

كما أن الآخر قد اقترح عليه اقتراحات تهدف هى الأخرى إلى تكذيبه فى نبوته، من حيث إنها تدخل الشبهه على الضعفاء، و تجعلهم يصدقون المقوله الباطله فى لزوم كون النبى (صلى اللّه عليه و آله) من غير البشر.

أى أنه يريد أن يفهم الناس: أن من يرقى إلى السماء، و يفعل تلک الخوارق لا يمكن أن يكون بشرا ..

و على هذا الأساس: إن استجاب النبى (صلى اللّه عليه و آله) لتلک المطالب، فإما أن يكون ليس من جنس البشر، أو يكون ساحرا كذابا، و العياذ باللّه .. و إن لم يستجب لها ظهر أنه ليس صادقا فى ادّعائه النبوه.

مع أنه لو جاء بكتاب يقرؤونه و نحو ذلک لفتح لهم باب الجدال بالباطل و التكذيب و الاتهام على مصراعيه ..

و بذلک تكون الشبهه قد دخلت على الناس فى جميع الأحوال .. و هذه جريمه كبرى، و جرأه عظيمه على اللّه سبحانه و تعالى و على رسوله، و على دينه ..

و لذلک جاءه الرد الإلهی، لیؤکد بشریه الرسول (صلی اللّه علیه و آله):

.. قُلْ سُبْحانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا (1).

مع العلم: بأن النبی (صلی اللّه علیه و آله) کان قد فعل من المعجزات ما یکفی لإسقاط جمیع هذه المطالب، فقد عرج به إلی السماء، و أثبت لهم صدق ذلک بما أخبرهم به من أمور حصلت لقافلتهم .. و قد نبع لهم الماء من بین أصابعه، کما أنه قد جاءهم بکتاب قد عجزوا عن مجاراته، و عن الإتیان بسوره من مثله، و لو بمقدار سوره الکوثر ..

و قد ظهر بذلک کله: أن ذنب عبد اللّه بن أبی أمیه کان عظیما فی حق الدین و الرساله، و کان جرأه علی اللّه تبارک و تعالی، و لیس أمرا شخصیا لیصح الصفح عنه لمجرد القرابه و الرحم ..

و لکن النبی (صلی اللّه علیه و آله) قد استجاب و أنعم بالرضا حین عملوا بمشوره علی (علیه السلام)، بأن یقولوا للنبی (صلی اللّه علیه و آله) ما قاله إخوه یوسف (علیه السلام): تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَکَ اللَّهُ عَلَیْنا وَ إِنْ کُنَّا لَخاطِئِینَ (2).

و ذلک لأن هذه المبادره تعنی أمرین:

أحدهما: الاعتراف بالخطأ فی اختیار الخط و النهج الذی کانوا علیه، لا الخطأ فی الممارسه الجزئیه تجاه شخص بعینه، و قد ظهر هذا من خلال ربط هذا الخطأ- علی سبیل المقابله- بالفقره الأولی المتضمنه لبعثه اللّه تعالی له

1- الآیه 93 من سوره الإسراء.
2- الآیه 91 من سوره یوسف.

بالنبوه، و الإعتراف بصدقه (صلى اللّه عليه و آله).

الثانى: الإقرار بنبوته (صلى اللّه عليه و آله)، و أنه سبحانه هو الذى أرسله، و آثره بهذا الأمر دون سائر البشر ..

و هذا هو الذى يصلح ما أفسدوه، و يبطل كيدهم، و يكسر شوكتهم، و تكون كلمه الباطل هى السفلى، و كلمه اللّه هى العليا ..

و من أحسن قولا من اللّه:

و بعد .. فقد قال اللّه تعالى: وَ قُلْ لِعِبادِی یَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ (1).

و قال عز و جل: وَ أَحْسِنْ کَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَیْکَ (2).

فالتوجيه الإلهى للناس كلهم يقضى بإلزامهم باختيار الأحسن من القول و الفعل، و هذا يحتم عليهم معرفه الأمور، و التمييز بين حسنها و قبيحها، ثم الوقوف على الحسن و الأحسن منها.

و النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو أولى الناس بالالتزام بالتوجيه الإلهى، بحيث لا يرضى إلا أن يختار أحسن القول، و أحسن الفعل؛ ليكون ذلک هو طبيعته و سجيته، و هو الذى يفيد فى رسم أجمل صوره للحياه، و يعطيها معناها اللائق بها، الذى أراده اللّه تعالى لها.

و قد كان على (عليه السلام) يريد ان يعرّف الناس على هذه الحقيقه، و لا سيما من كان يجحد و يعاند ..

1- الآيه 53 من سوره الإسراء.
2- الآيه 77 من سوره القصص.

هنات و هنات فی روایه الواقدی:

اشاره

و قد نلمح فی روایه الواقدی العدید من القرائن التی تضعف من درجه الإعتماد علیها، فإضافه إلی ما تقدم من شکنا فی صحه ما ورد فیها، من عدم جواب النبی (صلی اللّه علیه و آله) لابن أبی أمیه حینما سلم علیه نشیر إلی الأمور التالیه:

ألف: اعتراض أم سلمه:

إن من دلائل وضع الروایه المشار إلیها: أنها تضمنت اعتراض أم سلمه علی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بشمول قاعده: الإسلام یجب ما قبله لهذه الموارد. ثم تسلیمه (صلی اللّه علیه و آله) بصحه اعتراضها.

إذ لا یمکن أن یغفل النبی (صلی اللّه علیه و آله) عن قرار أو حکم إلهی ثابت، فکیف إذا کان هو الذی جاء بتشریعه، و صدر عنه مباشره، ثم تذکّره به امرأه، أو تکون هی المرشده له فی تطبیقه الصحیح !!

و یزید فی بشاعه هذا الأمر أن هذا الحکم أو القرار له ارتباط بنحو أو بآخر بحقوق الناس، و بمصائرهم، أو بکراماتهم و مواقعهم فی الدنیا و الآخره.

إذ من البدیهی: أن خطأه (صلی اللّه علیه و آله) أو غفلته، ینافیان عصمته، و یضعان نبوته و أهلیته لها أمام ألف سؤال و سؤال.

ب: أبو سفیان بن الحارث، و الإسلام:

و لا نجد حرجا فی تقریر أن لدینا بعض الریب فیما ذکرته الروایه: من

أن اللّه ألقى الإسلام فى قلب أبى سفيان بن الحارث ..

فإنه هو نفسه يتابع الحديث ليدلل فيه: على أن خروجه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يكن رغبه منه بالإسلام، بل كان خوفا من القتل بعد أن أهدر النبى (صلى اللّه عليه و آله) دمه، و قد ضاقت عليه الدنيا، و لم يعد يجد أحدا يصحبه، أو يكون معه بعد أن ضرب الإسلام بجرانه.

ج: علم ابن الحارث بقدوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و قد زعمت الروايه المتقدمه: أن ابا سفيان بن الحارث قال لزوجته و ولده: تهيأوا للخروج، فقد أظل قدوم محمد عليكم ..

و نحن نشک کثيرا فى صحه ذلک، فإن أحدا من أهل مکه لم يکن يعلم بقدوم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، بل من أهل المدينه أنفسهم، حتى ذلک الجيش العرمرم الذى کان مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لم يکن يعرف مقصد النبى (صلى اللّه عليه و آله)، حتى بلغ مشارف مکه، حسبما أوضحناه فيما سبق، فمن أين علم أبو سفيان بن الحارث بقدومه (صلى اللّه عليه و آله) ليخبر زوجته و ولده بذلک؟!

و لعل الصحيح هو: أن هذا الرجل کان يعيش حاله من الرعب، بسبب هدر دمه من قبل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فکان يتوقع القتل عند رؤيه أى إنسان يحتمل أن يکون من المسلمين.

و قد صرحت الروايه: بأنه قد أظهر خوفه من القتل مرات عديده، فخرج يطلب الأمان لنفسه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، متوسلا إليه بقرابته منه، ظنا منه أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يتأثر بذلک،

حتى على حساب دينه، و إسلامه، فالتقى برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و جرى له معه ما تذكره الروايات التى تقدمت.

د: هل سيفرح المسلمون بإسلام ابن الحارث؟!:

و قد زعمت الروايه: أن أبا سفيان بن الحارث يقول: إنه كان على يقين بأن المسلمين سيفرحون بإسلامه فرحا شديدا، لقرابته من النبى (صلى اللّه عليه و آله) .. و أنه كان يرجو أن يفرح رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بإسلامه لقرابته و شرفه ..

و نقول:

إنه سواء أكان هذا الكلام صحيحا، أو كان راويه قد افتراه كله أو بعضه، فإنه يعبر عن طبيعه تفكير قائله، و عن المفاهيم و الإنطباعات التى يعيشها فى نفسه .. حتى إنه ليظن أن ما يفرح النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين بإسلام أبى سفيان بن الحارث هو مجرد قرابته منه (صلى اللّه عليه و آله)، و شرفه فى قومه، و ليس هو نجاه هذا الرجل من غضب اللّه تعالى، و خروجه من ذل معصيته إلى عز طاعته جل و علا ..

إنه يفكر كما يفكر الجاهلون، و ينطلق من معاييرهم و مفاهيمهم، مع أن الإسلام لم يقم وزنا لقرابه أبى لهب، و لا لشرفه فى قومه، و أنزل فيه سوره قرآنيه خالده تذكر الناس بخزيه إلى يوم القيامه ..

و لسنا بحاجه إلى التذكير بما ورد فى القرآن عن ابن نوح، و عن زوجتى نوح و لوط ..

ه: بطولات أبى سفيان بن الحارث فى حنين:

و أما فيما يرتبط ببطولات أبى سفيان بن الحارث التى يدّعيها لنفسه فى معركه حنين، فسيأتى فى حينه أنها لا يمكن أن تصح، و سنرى أن الناس كلهم قد فروا فى تلك الغزوه باستثناء على (عليه السلام) ..

فلا حاجه لاستباق الأمور .. لكننا نقول:

إنه يكفى للحكم على هذه الروايه بالكذب و الوضع: أنها تدّعى أن أبا سفيان بن الحارث قد طرد جيش الأعداء فى حنين قدر فرسخ، و تفرقوا فى كل وجه ..

و: يا للأنصار! يا للخزرج!!:

و من أمارات سوء النوايا فى هذه الروايه أيضا: أنها تزعم: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أمر العباس بأن ينادى: يا للمهاجرين! يا للأنصار! يا للخزرج! فأجابوا ..

فإن الاقتصار على ذكر الخزرج من فئه الأنصار، و عدم نداء الأوس مما لا يمكن قبوله من النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، لأن هذا الأمر من شأنه أن يحدث أسوأ الأثر فى نفوس و فى مواقف قبيله الأوس، التى كانت قبل مجى ء النبى (صلى اللّه عليه و آله) تتصاول مع الخزرج تصاول الفحلين، على حد تعبير النصوص التاريخيه ..

ز: سؤال النبى صلّى اللّه عليه و آله عن أبى سفيان بن الحارث:

و ذكرت الروايه المتقدمه أيضا: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لما رأى أبا سفيان مجردا سيفه فى حنين و قد أخذ بلجام بغله النبى (صلى اللّه عليه و آله)

قال لعمه العباس: من هذا؟!

قال أبو سفيان: فذهبت أكشف المغفر.

فقال العباس: أخوک، و ابن عمک، أبو سفيان بن الحارث، فارض عنه، أی رسول اللّه!!

قال: قد فعلت.

فإن من غير المعقول أن لا يعرفه النبی (صلی اللّه عليه و آله) و يعرفه العباس، مع أنه كان من رفقاء الصبا، كما أنه لم يزل منذ لقی رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) فی الأبواء يتعرض له، يلازمه، و يسعی لاسترضائه، و رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) يعرض عنه كما صرح أبو سفيان نفسه فی الروايه المشار إليها ..

عمر يغری بأبی سفيان بن الحارث:

و قد ذكرت تلک الروايه: أن عمر بن الخطاب قد أغری أنصاريا بقتل أبی سفيان بن الحارث ..

و السؤال هو: إن هذا الإغراء قد يحصل وفق سياق روايه الواقدی، التی هی موضع البحث، و قد يحصل أيضا وفق سياق باقی الروايات، و فی جميع الأحوال نقول:

لماذا يغری عمر بخصوص أبی سفيان بن الحارث ابن عم النبی (صلی اللّه عليه و آله)، و لا يغری بعبد اللّه بن أبی أميه الذی أهدر النبی (صلی اللّه عليه و آله) دمه، أو بحكيم بن حزام، أو ببديل بن ورقاء؟ ألم يكن أبو سفيان من أقارب النبی (صلی اللّه عليه و آله) كما كان العباس من أقاربه؟

و قد صرح عمر: بأن إسلام العباس كان أحب إليه من إسلام الخطاب التماسا لرضا الرسول (صلى اللّه عليه و آله). بل لماذا يغرى الآخرين بقتل ابن الحارث؟ ألم يكن الأجدر به أن يبادر هو إلى فعل ما يغرى به غيره؟! فيقوم بقتل أبى سفيان بنفسه، إذا كان يرى صحه قتله بدون مراجعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى ذلک!!

ثم لماذا يغرى بقتله رجلا من الأنصار، و يترک جميع المهاجرين؟!

هل يمكن أن يفهم من ذلک: أن عمر يريد إلقاء فتنه بين قريش و بنى هاشم، و أهل مكه و بين أهل المدينه؟! و بين العدنانيين و القحطانيين، و بين بنى هاشم بالخصوص و بين سائر الناس؟!

ثم ألا يذكرنا إغراؤه الأنصار بقتل رجل من بنى هاشم بالسعى الذى كان هو نفسه قد بذله يوم بدر لقتل عقيل و العباس الهاشميين بيد بنى هاشم أنفسهم؟! و ألا يؤكد ذلک صحه اتهامهم له فى نواياه و أنه لو كان الأسير من بنى عدى لم يطلب هذا الطلب؟!

ص: 288

ص: 289

الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين

اشاره

زعماء يربأبهم النبى صلى اللّه عليه و آله عن الشرک:

عن عطاء قال: لا أحسبه إلا رفعه إلى ابن عباس قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ليله قربه من مكه فى غزوه الفتح: (إن بمكه لأربعه نفر من قريش أربأبهم عن الشرک، و أرغب لهم فى الإسلام).

قيل: و من هم يا رسول اللّه؟

قال: (عتاب بن أسيد، و جبير بن مطعم، و حكيم بن حزام، و سهيل بن عمرو) (1).

و نقول:

1- قد ذكر بعضهم: أن جبير بن مطعم أسلم بعد الحديبيه، و قبل الفتح. مع أن هذه الروايه تشير إلى أن حاله حال الثلاثه المذكورين معه.

و قالوا: أسلم بين الحديبيه و الفتح (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 219 عن ابن عساكر، و تاريخ مدينه دمشق ج 15 ص 106 و تهذيب تاريخ دمشق ج 4 ص 419 و تهذيب الكمال ج 7 ص 182 و تهذيب التهذيب ج 2 ص 348 و مستدرک الحاكم ج 3 ص 595 و السيره الحلبيه ج 3 ص 79 و كنز العمال ج 11 ص 759 و أسد الغابه ج 1 ص 271.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 79 و (ط دار المعرفه) ص 18 و ج 2 ص 62.

و قيل: فى الفتح (1).

و قيل: عام خيبر (2). و لا يهمنا تحقيق ذلک.

2- إن علينا الإشاره هنا إلى أن إطلاق هذا القول من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيه إغراء لهؤلاء بالتخلى عن العناد و الجحود. أو هو على الأقل يضعف عزائمهم فى ذلک، و يلوح لهم بأن الجسور مفتوحه، و يمكنهم العبور إلى شاطئ الأمان، فى ظل الرعايه الإلهيه، ليكون أقل شراسه و حماسه فى مقاومه هذا الدين، و يهيئ السبيل بذلک للتخفيف من حده الضغوط منهم على من يرتبط بهم من أقارب، و حلفاء، و ما إلى ذلک ..

3- لكن علينا أن لا ننسى: أن هذا القول يشير إلى رذاله أخلاقيه كان هؤلاء الأربعه يمارسونها، فإنهم رغم رجاحه عقولهم، التى تجعل من اعتناقهم للشرک، و محاربتهم للحق و لأهله طيله هذه السنين أمرا غير منطقى، و لا مستساغ، خصوصا مع ما يرونه من التأييدات و الألطاف الإلهيه و المعجزات، بل إن ذلک يجعل عملهم هذا فى غايه القبح، و يشير إلى

1- راجع: الإصابه ج 1 ص 226 و الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج 1 ص 230 و السيره الحلبيه (ط دار المعرفه) ج 2 ص 62 و ج 3 ص 18 و المحلى ج 11 ص 62 و عمده القارى ج 10 ص 3 و ج 14 ص 295 و التمهيد لابن عبد البر ج 9 ص 147 و خلاصه تهذيب الكمال ص 60 و إسعاف المبطأ ص 23 و المعارف لابن قتيبه ص 285 و المنتخب من ذيل المذيل للطبرى ص 52 و الوافى بالوفيات ج 11 ص 44 و أعيان الشيعه ج 4 ص 67.
2- الإستيعاب (مطبوع مع الإصابه) ج 1 ص 230 و التمهيد لابن عبد البر ج 9 ص 147 و أعيان الشيعه ج 4 ص 67.

سقوطهم المخزی و المشین فی حمأه الشهوات، و یؤکد لجوءهم إلی الجحود عن علم و معرفه بالحق و بأهله.

منام أبی بکر:

عن ابن شهاب: إن أبا بکر قال: یا رسول اللّه!! أرانی فی المنام و أراک دنونا من مکه، فخرجت إلینا کلبه تهرّ، فلما دنونا منها استلقت علی ظهرها، فإذا هی تشخب لبنا.

فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (ذهب کلبهم، و أقبل درّهم، و هم سائلوکم (بأرحامکم) بأرحامهم، و إنکم لا قون بعضهم، فإن لقیتم أبا سفیان فلا تقتلوه) (1).

و لا ندری إن کان هذا القول من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد أرید به تعبیر منام أبی بکر.

أم أنه جاء علی سبیل التفاؤل بذهاب الکلب، و إقبال الدر؟!

أم أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد أجری کلامه علی هذا النحو لیسجل إخبارا غیبیا صادرا عن مقام النبوه الأقدس، لیکون ذلک من دلائل نبوته؟!

و ربما یؤید هذا المعنی: أنه (صلی اللّه علیه و آله) قد عقب ذلک بالإخبار

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 214 عن البیهقی، و المغازی للواقدی ج 2 ص 812 و تاریخ الإسلام للذهبی ج 2 ص 542 و منتخب الکلام فی تفسیر الأحلام لابن سیرین ج 1 ص 380 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 268 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 357.

عن وقائع غيبيه سوف تحصل، و هو قوله: (و هم سائلوكم بأرحامهم.

و إنكم لاقون بعضهم)، مصرحا باسم أبى سفيان من بين سائرهم، ثم أصدر أوامره المتضمنه لكيفيه التعاطى معه.

جيش الإسلام فى مر الظهران:

قال عروه: و عميت الأخبار عن قريش، فلم يبلغهم حرف واحد عن مسير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا يدرون ما هو فاعل. و هم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب (1).

و رووا عن ابن عباس أنه قال: مضى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عام الفتح حتى نزل مر الظهران عشاء، فى عشره آلاف من المسلمين، و قد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا يدرون ما هو صانع (2).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 214 عن ابن إسحاق، و الواقدى، و به جزم ابن عائذ، و غيرهم. و السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و 556 و البحار ج 21 ص 103 و راجع ص 127 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 80 و عمده القارى ج 17 ص 279 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 135 و إمتاع الأسماع ج 8 ص 385 و أعيان الشيعه ج 1 ص 275 و عيون الأثر ج 2 ص 185 و المعجم الكبير ج 8 ص 10 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 859.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 214 عن إسحاق بن راهويه، و الحاكم، و البيهقى، و دلائل النبوه للبيهقى ج 4 ص 27 و السيره الحلبيه ج 3 ص 77 و 78 و مجمع البيان ج 10 ص 555 و البحار ج 21 ص 103 و 127 و المغازى للواقدى ج 2 ص 814 و تفسير البغوى ج 4 ص 538 و شرح معانى الآثار ج 3 ص 320 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 43 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 328 و المستدرک للحاكم ج 3 ص 43 و البدايه و النهايه ج 4 ص 230 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 546.

و أمر (صلى اللّه عليه و آله) أصحابه أن يوقدوا عشره آلاف نار، و جعل على الحرس عمر بن الخطاب (1).

و عن عروه قال: لما سار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عام الفتح، بلغ ذلک قريشا، فخرج أبو سفيان بن حرب يتحسس الأخبار.

و قالت قريش لأبى سفيان: إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا. (زاد الواقدى قوله: (إلا أن ترى رقه من أصحابه، فآذنه بالحرب)) (2).

فخرج هو و حكيم بن حزام، فلقيا بديل بن و رقاء، فاستتبعاه، فخرج معهما يتحسسون الأخبار، و ينظرون هل يجدون خبرا، أو يسمعون به.

فلما بلغوا الأراک من مر الظهران، و ذلک عشيا، رأوا العسكر، و القباب، و النيران كأنها نيران عرفه، و سمعوا صهيل الخيل، و رغاء الإبل، فأفزعهم ذلک فزعا شديدا.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 214 و السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و (ط دار المعرفه) ص 15 و مجمع البيان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 103 و المغازى للواقدى ج 2 ص 814 و تاريخ الخميس ج 2 ص 80 و عيون الأثر ج 2 ص 186 و فتح البارى ج 8 ص 5 و عمده القارى ج 17 ص 279 و شرح النهج للمعتزلى ج 17 ص 268 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 135 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 358 و ج 8 ص 385 و أعيان الشيعه ج 1 ص 275.
2- المغازى للواقدى ج 2 ص 814.

قال عروه- كما فى الصحيح-: فقال بديل بن ورقاء: هؤلاء بنو كعب- و فى روايه بنو عمرو: يعنى بها خزاعه- حمشتها (حاشتها) الحرب.

فقال أبو سفيان: بنو عمرو أقل من ذلک (1).

و لكن لعل هذه تميم أو ربيعه (2).

قالوا: فتنجعت هوازن على أرضنا؟! و اللّه ما نعرف هذا، إن هذا العسكر مثل حاج الناس (3).

و عن ابن عباس: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لما نزل مر الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكه، فقال: وا صباح قريش، و اللّه لئن دخلها رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عنوه قبل أن يأتوه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوه، إنه لهلاک قريش إلى آخر الدهر.

قال العباس: فأخذت بغله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الشهباء

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 214 و 215 و فى هامشه عن البخارى ج 7 ص 597 و السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و راجع: مجمع البيان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 103 و 128 و راجع: تاريخ الخميس ج 2 ص 80 و المغازى للواقدى ج 2 ص 814 و راجع: كنز العمال ج 10 ص 507 و تاريخ مدينه دمشق ج 23 ص 448 و البدايه و النهايه ج 4 ص 333 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 553.
2- البحار ج 21 ص 128 و مستدرک سفينه البحار ج 8 ص 108 و إعلام الورى ج 1 ص 220.
3- المغازى للواقدى ج 2 ص 814 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 358 و غريب الحديث ج 2 ص 529.

(البيضاء)- و عند الواقدى: أنها الدلدل (1)- فركبتها، و قلت: ألتمس حطابا، أو صاحب لبن، أو ذا حاجه يأتى مكه، فيخبرهم بمكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ليخرجوا إليه، فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوه، فو اللّه، إنى لفى الأراک ألتمس ما خرجت إليه، إذ سمعت كلام أبى سفيان و بديل بن ورقاء، و هما يتراجعان، و أبو سفيان يقول: ما رأيت كالليله نيرانا قط و لا عسكرا!

فقال بديل بن ورقاء: هذه و اللّه خزاعه حمشتها الحرب.

فقال أبو سفيان: خزاعه أقل و أذل من أن تكون هذه نيرانها و عسكرها.

قال العباس: فعرفت صوت أبى سفيان، فقلت: يا أبا حنظله، فعرف صوتى.

فقال: لبيک يا أبا الفضل، مالک فداک أبى و أمى!!

فقلت: ويلک!! هذا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى عشره آلاف.

فقال: وا صباح قريش، و اللّه بأبى أنت و أمى، فما تأمرنى؟ هل من حيله؟

قلت: نعم، إركب عجز هذه البغله، فأذهب بک إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فاستأمنه لک، فإنه و اللّه إن ظفر بک دون رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لتقتلن.

قال أبو سفيان: و أنا و اللّه أرى ذلک.

فركب خلفى، و رجع صاحباه- كذا فى حديث ابن عباس و عند ابن

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 815.

إسحاق و محمد بن عمر: أنهما رجعا- و ذكر ابن عقبه و محمد بن عمر فی موضع آخر: أنهما لم یرجعا، و أن العباس قدم بهم إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) انتهی (1).

و عن حکیم بن حزام: أنه خرج هو و أبو سفیان یتنسمان الأخبار، فلقی العباس أبا سفیان، فذهب به إلی النبی (صلی اللّه علیه و آله).

قال حکیم بن حزام: (فرجعت، و دخلت بیتی، فأغلقته علیّ، و دخل النبی (صلی اللّه علیه و آله) مکه، فأمّن الناس، فجئته، فأسلمت و خرجت معه إلی حنین) (2).

و فی موضع آخر عند الواقدی: قال العباس: هذا رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) فی عشره آلاف من المسلمین، فأسلم، ثکلتک أمک و عشیرتک، ثم أقبل علی حکیم و بدیل، فقال: أسلما، فإنی لکما جار حتی تنتهوا إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فإنی أخشی أن تقطعوا دون النبی (صلی اللّه علیه و آله).

قالوا: فنحن معک.

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 215 و 216 عن إسحاق بن راهویه، و السیره الحلبیه ج 3 ص 78 و مجمع البیان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 103 و 127 و 128 و راجع: المغازی للواقدی ج 2 ص 816 و 818 و 819 و راجع ص 815 و شرح النهج للمعتزلی ج 17 ص 268 و کنز العمال ج 10 ص 506 و 507 و تاریخ مدینه دمشق ج 23 ص 450 و 451.
2- تاریخ الخمیس ج 2 ص 95.

فجاء بهم إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1).

و فى سياق آخر، قال العباس: فجئت بأبى سفيان، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أنا عليها، قالوا: عم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فلما رآنى، قام، فقال: من هذا؟

قلت: العباس، فذهب ينظر، فرأى أبا سفيان خلفى، فقال: أى عدو اللّه!! الحمد للّه الذى أمكن (أمكننى) منک بغير عقد و لا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و ركضت البغله فسبقته كما تسبق الدابه البطيئه الرجل البطى ء، فاجتمعنا على باب قبه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فاقتحمت عن البغله، قدخلت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و دخل عمر على أثرى، فقال عمر: يا رسول اللّه!! هذا أبو سفيان قد أمكن اللّه منه بغير عقد و لا عهد، فدعنى فلأضرب عنقه.

قال: قلت: يا رسول اللّه، إنى قد أجرته.

ثم التزمت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأخذت برأسه، فقلت:

و اللّه، لا يناجيه الليله دونى رجل.

فلما أكثر عمر فى شأنه، قلت: مهلا يا عمر، فو اللّه لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا، و لكنک قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف.

1- المغازى للواقدى ج 2 ص 815 و تاريخ الخميس ج 2 ص 80 و 81 و الطبقات الكبرى ج 2 ص 135 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 358.

فقال: مهلا يا عباس- و فى لفظ: يا أبا الفضل- فو اللّه لإسلامک يوم أسلمت كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم، و ما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامک كان أحب إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من إسلام الخطاب لو أسلم (1).

و قيل: إن العباس قال: فقلت: يا رسول اللّه!! أبو سفيان بن حرب، و حكيم بن حزام، و بديل بن ورقاء قد أجرتهم، و هم يدخلون عليک.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أدخلهم).

فدخلوا عليه، فمكثوا عنده عامه الليل يستخبرهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و دعاهم إلى الاسلام.

فقالوا: نشهد أن لا إله إلا اللّه.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 216 و فى هامشه: عن ابن أبى شيبه ج 14 ص 475، و السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و 79 و (ط دار المعرفه) ص 17 و مجمع البيان ج 10 ص 556 و (ط مؤسسه الأعلمى) ص 471 و البحار ج 21 ص 103 و 104 و 128 و راجع: شرح معانى الآثار ج 3 ص 320 و 321 و الدرر لابن عبد البر ص 216 و شرح نهج البلاغه ج 17 ص 269 و تفسير نور الثقلين ج 5 ص 694 و تفسير الميزان ج 20 ص 381 و تفسير البغوى ج 4 ص 538 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 122 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 46 و تاريخ مدينه دمشق ج 23 ص 449 و تاريخ الأمم و الملوک ج 2 ص 331 و تاريخ الإسلام للذهبى ج 2 ص 540 و البدايه و النهايه ج 4 ص 331 و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج 2 ق 2 ص 43 و السيره النبويه لابن هشام ج 4 ص 862 و عيون الأثر ج 2 ص 187 و السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 548 و شرح إحقاق الحق ج 33 ص 147.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (اشهدوا أن لا اله الا اللّه و أنى رسول اللّه).

فشهد بديل، و حكيم بن حزام.

و قال أبو سفيان: ما أعلم ذلک، و اللّه إن فى النفس من هذا لشيئا بعد، فارجئها (1).

و عند أبى شيبه، عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أنه قيل لحكيم بن حزام: بايع.

فقال: أبايعک و لا أخر إلا قائما.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): أما من قبلنا فلن تخر إلا قائما.

انتهى (2).

و قيل لأبى سفيان ذلک، فقال: كيف أصنع باللات و العزى؟

فقال عمر بن الخطاب- و هو خارج القبه-: إخرأ عليها، أما و اللّه لو كنت خارج القبه ما قلتها.

فقال أبو سفيان: من هذا؟

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 216 عن ابن عقبه و الواقدى، و السيره الحلبيه ج 3 ص 79 و (ط دار المعرفه) ص 18 و المغازى للواقدى ج 2 ص 815 و إمتاع الأسماع ج 1 ص 359.
2- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 216 عن ابن أبى شيبه، و الفايق فى غريب الحديث ج 1 ص 312 و كنز العمال ج 10 ص 533 و غريب الحديث لابن سلام ج 2 ص 132 و المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 528.

قالوا: عمر بن الخطاب (1).

زاد فی الحلبیه قوله: فقال أبو سفیان: ویحک یا عمر، إنک رجل فاحش، دعنی مع ابن عمی، فإیاه أکلم (2).

و عند المجلسی: قال أبو سفیان: (أف لک ما أفحشک، ما یدخلک یا عمر فی کلامی و کلام ابن عمی) (3).

قال العباس: فقال رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله): (اذهب به یا عباس إلی رحلک، فإذا أصبحت فأتنی به).

قال: فذهبت به إلی رحلی (4).

و قالوا: فلما أذّن الصبح أذّن العسکر کلهم: أی أجابوا المؤذن.

ففزع أبو سفیان من أذانهم، فقال: ما یصنع هؤلاء؟

1- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 216 و السیره الحلبیه ج 3 ص 79 و البحار ج 21 ص 129 عن إعلام الوری ج 1 ص 221 و راجع: فتح الباری ج 8 ص 6 و المصنف لابن أبی شیبه ج 8 ص 532 و تفسیر السمرقندی ج 2 ص 43.
2- السیره الحلبیه ج 3 ص 79 و (ط دار المعرفه) ص 18.
3- البحار ج 21 ص 129 و إعلام الوری ج 1 ص 221.
4- سبل الهدی و الرشاد ج 5 ص 217 و السیره الحلبیه ج 3 ص 79 و (ط دار المعرفه) ص 17 و البحار ج 21 ص 129 عن إعلام الوری ج 1 ص 221، و المغازی للواقدی ج 2 ص 815 و تاریخ الخمیس ج 2 ص 81 و عون المعبود ج 8 ص 180 و الثقات لابن حبان ج 2 ص 46 و البدایه و النهایه ج 4 ص 331 و السیره النبویه لابن هشام ج 4 ص 862 و عیون الأثر ج 2 ص 187 و السیره النبویه لابن کثیر ج 3 ص 549.

قال العباس: فقلت: الصلاه.

قال: كم يصلون؟

قلت: خمس صلوات فى اليوم و الليله. (و عند الواقدى: قال: كثير و اللّه).

ثم رآهم يتلقون وضوء رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: ما رأيت ملكا قط كاليوم، لا ملک كسرى و لا قيصر.

قال العباس: فلما صلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الصبح غدوت به.

و عند ابن عقبه، و محمد بن عمر: أن أبا سفيان سأل العباس فى دخوله على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (1).

و عن أبى سلمه، و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: فلما أصبحوا قام المسلمون إلى طهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل!! ما للناس أمروا فىّ بشى ء؟

قال: لا، و لكنهم قاموا إلى الصلاه.

فأمره العباس فتوضأ، و ذهب به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فلما دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) الصلاه كبّر و كبّر الناس، ثم ركع، فركعوا، ثم رفع، فرفعوا، ثم سجد فسجدوا، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم طاعه، قوم جمعهم من ههنا و ههنا، و لا فارس الأكارم، و لا الروم ذات القرون بأطوع منهم له. يا أبا الفضل!! أصبح ابن أخيک و اللّه عظيم الملک.

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 217 عن ابن عقبه، و الواقدى، و البحار ج 21 ص 129 عن إعلام الورى، و المغازى للواقدى ج 2 ص 815 و 816.

فقال العباس: إنه ليس بملک، و لکنها النبوه.

قال: أو ذاک؟!

قال العباس: فلما فرغ رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قال: (یا أبا سفیان!! ألم یأن لک أن تعلم أن لا إله إلا اللّه)؟!

قال: بأبی أنت و أمی!! ما أحلمک و أکرمک، و أعظم عفوک! إنه لو کان مع اللّه إله لقد أغنی عنی شیئا (یوم بدر و یوم أحد) بعد، لقد استنصرت إلهی، و استنصرت إلهک، فو اللّه ما لقیتک من مره إلا نصرت علیّ، فلو کان إلهی محقا و إلهک مبطلا لقد غلبتک.

فقال (صلی اللّه علیه و آله): (ویحک یا أبا سفیان، ألم یأن لک أن تعلم أنی رسول اللّه)؟

قال: بأبی أنت و أمی ما أحلمک و أکرمک، و أعظم عفوک! أما هذه فو اللّه إن فی النفس منها شیئا حتی الآن.

فقال العباس: ویحک! أسلم قبل أن تضرب عنقک.

فشهد شهاده الحق، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أشهد أن محمدا رسول اللّه. (زاد فی نص آخر قوله: تلجلج بها فوه) (1).

و ظاهر کلام ابن عقبه، و محمد بن عمر فی مکان آخر: أن أبا سفیان قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أشهد أن محمدا رسول اللّه من غیر أن یعرض ذلک علیه أحد.

1- البحار ج 21 ص 129 عن إعلام الوری ج 1 ص 221 و مستدرک سفینه البحار ج 8 ص 109.

قال: قال أبو سفيان، و حكيم بن حزام: يا رسول اللّه جئت بأوباش الناس، من يعرف و من لا يعرف إلى أهلک و عشيرتک؟!

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (أنتم أظلم و أفجر، قد غدرتم بعهد الحديبيه، و ظاهرتم على بنى كعب بالإثم و العدوان فى حرم اللّه تعالى و أمنه).

فقال حكيم، و أبو سفيان: صدقت يا رسول اللّه. ثم قالا: يا رسول اللّه!! لو كنت جعلت جدک و مكيدتک لهوازن، فهم أبعد رحما، و أشد عداوه لک؟

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): (إنى لأرجو من ربى أن يجمع لى ذلک كله. فتح مكه، و إعزاز الإسلام بها، و هزيمه هوازن، و غنيمه أموالهم و ذراريهم، فإنى أرغب إلى اللّه تعالى فى ذلک) (1).

و قال فى نص آخر: فصار إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): فقال العباس: هذا أبو سفيان صار معى إليک فتؤمنه بسببى.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): أسلم تسلم يا أبا سفيان.

فقال: يا أبا القاسم! ما أكرمک و أحلمک؟

قال: أسلم تسلم.

قال: ما أكرمک و أحلمک؟

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 217 و 218 عن ابن أبى شيبه، و فى هامشه عن: كنز العمال برقم (30173) و السيره الحلبيه ج 3 ص 79 و 80 و مجمع البيان ج 10 ص 556 و البحار ج 21 ص 104 و 128 و 129 و المغازى للواقدى ج 2 ص 815 و 816 و 817 و 818 و تاريخ الخميس ج 2 ص 81.

قال: أسلم تسلم.

فوكزه العباس و قال: ويلک إن قالها الرابعه و لم تسلم قتلک.

فقال (صلى اللّه عليه و آله): خذه يا عم إلى خيمتک.

و كانت قريبه، فلما جلس فى الخيمه ندم على مجيئه مع العباس، و قال فى نفسه: من فعل بنفسه مثل ما فعلت أنا؟ جئت فأعطيت بيدى، و لو كنت انصرفت إلى مكه فجمعت الأحابيش و غيرهم فلعلى كنت أهزمه.

فناداه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من خيمته، فقال: (إذا كان اللّه يخزيک).

فجاءه العباس، فقال: يريد أبو سفيان أن يجيئک يا رسول اللّه.

قال: هاته.

فلما دخل قال: ألم يأن أن تسلم؟

فقال له العباس: قل، و إلا فيقتلک.

قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه، و أنک رسول اللّه.

فضحک (صلى اللّه عليه و آله)، فقال: رده إلى عندک.

فقال العباس: إن أبا سفيان يحب الشرف فشرفه.

فقال: من دخل داره فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن (1).

و نقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات، هى التاليه:

1- البحار ج 21 ص 118 و 119 عن الخرايج و الجرايح ج 1 ص 163.

إنه ليس بملک:

إنهم قد رووا: أن العباس إنما رفض مقوله أبی سفيان: (أصبح ابن أخيک و اللّه عظيم الملک)، من حيث إن ذلک يستبطن عدم اعترافه بنبوته (صلی اللّه عليه و آله) .. و إلا فقد قال تعالی عن داود: وَ شَدَدْنا مُلْکَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِکْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ (1).

و قال حکايه عن سليمان: قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ هَبْ لِی مُلْکاً لا يَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی .. (2)

من الذی کان مع أبی سفيان؟!:

و قد اختلفت الروايات فی الأشخاص الذين کانوا مع أبی سفيان، و فی إسلامهم معه و عدمه، و فی أمور کثيره أخری ..

فروايه تقول: لم يشعر أهل مکه برسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله) حتی نزل العقبه. و کان أبو سفيان و عکرمه بن أبی جهل قد خرجا يتجسسان خبرا، و نظرا إلی النيران، فلم يعلما لمن هی ..

ثم لقيهما العباس، فاصطحب أبا سفيان إلی رسول اللّه (صلی اللّه عليه و آله)، و رجع عکرمه إلی مکه (3).

و لکن روايات أخری ذکرت: بديل بن ورقاء، و حکيم بن حزام. و لم تذکر عکرمه.

1- الآيه 20 من سوره ص.
2- الآيه 35 من سوره ص.
3- البحار ج 21 ص 118 عن الخرايج و الجرائح ج 1 ص 162.

و بعضها ذكر: أن بديلا و حكيما رجعا إلى مكه، و لم يذهبا إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) مع العباس و أبى سفيان.

و بعضها الآخر يقول: بل ذهبا معهما إليه (صلى اللّه عليه و آله).

لم يبلغهم حرف واحد:

و فى حين يقول عروه: عمّيت الأخبار عن قريش، فلم يبلغهم حرف واحد عن مسير رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و لا يدرون ما هو فاعل، و هم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم .. يعود عروه هذا ليناقض نفسه، فيقول: لما سار رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عام الفتح، بلغ ذلک قريشا.

و قوله الأول هو الصحيح، لأن الروايه عن ابن عباس و غيره تؤيده.

بالإضافه إلى نصوص كثيره أخرى.

و رغم أن الروايه الثانيه قد صرحت: بأن قريشا قالت لأبى سفيان: إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا، فإنها أيضا قد صرحت: بأن أبا سفيان و من معه لم يخطر فى بالهم أن يكون هذا الجيش العظيم الذى يرونه هو للنبى (صلى اللّه عليه و آله)، بل ذهبت أوهامهم إلى خزاعه تاره، و إلى تميم أخرى، و إلى ربيعه ثالثه، ثم إلى هوازن رابعه ..

تزوير الحقائق:

و لكن ما نريد أن نبينه للقارئ الكريم هو أن كتابنا هذا قد حفل بالكثير الكثير مما يشير إلى تزوير عروه و أضرابه للحقائق، و اختلاقهم للترهات، رغم شده تحاشينا فى هذا الكتاب عن الإستغراق فى مناقشه أقوال هؤلاء الناس، الذين أرادوا أن يستأثروا لأنفسهم بمقام ليسوا من

أهله، ألا و هو مقام حفظ العلم، و الشريعه، و التاريخ، و كل الحقائق التى تحتاجها الأمه عبر الأجيال، مع أنهم إنما قدموا لها بحرا زاخرا بالأباطيل و الأضاليل، و الخزعبلات، و الخرافات، حتى إذا ضاقت بهم السبل، و اضطروا للاعتراف بشى ء من الحقيقه، فإنک تراهم يثيرون حولها أجواء من الريبه و الشک و الإتهام، و يشبعونها حذلقه، و تمويها و تشويها.

عشره آلاف نار لماذا؟!:

و لسنا بحاجه إلى بيان أهدافه (صلى اللّه عليه و آله) حين أمر أصحابه بإيقاد عشره آلاف نار .. الأمر الذى بهر عتاه و جبابره أهل الشرک، و فراعنه قريش.

و قد تقدم: أن أبا سفيان، و حكيم بن حزام، و ابن ورقاء فزعوا فزعا شديدا حين رأوا تلک النيران، كأنها نيران عرفه.

و لو لا أنهم رأوا القباب و العسكر الجرار، و سمعوا صهيل الخيل، و رغاء الإبل، لأمكن أن يتسرب إلى أوهامهم احتمال أن تكون فئه صغيره هى التى أوقدت هذه النيران الكثيره.

لقد تأكد لديهم:

1- أن من يوقد هذه النيران، يريد أن يعلم أعداءه بحضوره، غير آبه بهم، و لا خائف منهم .. و أنه لم يأت متسللا، و لا مغيرا يريد أن يربح المعركه عن طريق المباغته، لتعوض المباغته ضعفه، أو لتوهن شيئا من قدرات عدوه ..

2- إنه يريد بإيقاد هذه النيران الكثيره أن يظهر حجم قوته،

و حضورها، و سعتها و امتدادها، لتساعد تلک النيران أولئک الناظرين الذين قد يكونون فی مرتفع، علی رؤيه أول و آخر رجل جاء لقتال عتاه الشرک، من دون أن تغرقهم عيونهم فی ضباب الإبهام، بسبب الظلمه التی قد تمنع العيون من الإحاطه بها.

و تبين حجم الامتداد و السعه إذا كان ذلک الجيش عشره آلاف مقاتل، و معهم الخيول المقاتله، و الإبل الحامله للأثقال، و المساعدون، و ربما الكثير من النساء، و الأتباع .. فإن ذلک يحتاج إلی مساحات شاسعه فی حركه ذلک الجمع و فی نزوله علی حد سواء.

إذن، فقد كان طبيعيا أن يتحير أبو سفيان و من معه فی هويه هذا الجيش الذی أمامهم هل هو خزاعه، أو تميم، أو ربيعه؟!.

إن لقيت محمدا فخذ لنا أمانا:

و أما بالنسبه إلی ما رواه عروه: من أن قريشا قالت لأبی سفيان: إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا، فلا يمكننا تأييده. خصوصا إذا صدقنا عروه فی زعمه: أن قريشا كانت قد علمت بمسير النبی (صلی اللّه عليه و آله) ..

لأنها إن كانت تعلم بمسير النبی (صلی اللّه عليه و آله) إليها، أو لو علمت بالمسير دون أن تعلم بالمقصد، فإن المفروض بها: أن تحتاط للأمر، و تتجهز للقائه فی ساحات القتال ..

إلا إذا كان قد بلغ بها الضعف حدا يدعوها للاستسلام علی كل حال .. ففی هذه الحاله لم يكن ثمه داع لاستسرار النبی (صلی اللّه عليه و آله) بمسيره، و بمقصده؟!

اللهم إلا إذا فرض: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لا يعلم بضعف قريش هذا .. و هو أمر لا مجال لقبوله، فإنه (صلى اللّه عليه و آله) كان مطلعا على أحوال مكه، واقفا على قدراتها، عارفا بنواياها، و توجهاتها.

بل إن الأمر قد كان ميسورا لأى قائد آخر، إذ إن عهد الحديبيه قد سهّل انتقال أخبار مكه و أهلها إليه، خصوصا من مسلمى مكه الذين كانوا منتشرين فى مختلف البيوت، و من جميع الطبقات و الفئات.

العباس الناصح لقريش على بغله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و واضح: أن ركوب العباس على بغله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و بحثه عن رسول يرسله إلى قريش، لا يمكن أن يكون بدون علم النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، بل ذلک- فيما يظهر- داخل فى صلب خطه النبى (صلى اللّه عليه و آله) لأخذ مكه من أولئک الجبارين و الظالمين من دون قتال، و ذلک باعتماد طريقه ترسيخ القناعه لدى أقطابها بعجزهم عن مناجزته الحرب، إلا إذا كانوا يريدون أن يلقوا بأيديهم إلى الدمار و البوار.

و قد كان العباس أفضل رسول إلى قريش و زعمائها، فإنهم على قناعه تامه بأنه لا يمكن أن يفرط بهم، كما أثبتته لهم تجربتهم الطويله معه ..

فإذا جاءتهم النصيحه من قبل العباس، فإنهم لا يرفضونها، و لا يستغشونه.

و قد ظهر من تفديه أبى سفيان للعباس بأبيه و أمه، مدى عمق علاقه الموده و الصفاء فيما بينهما، حتى إنه يجعل نفسه رهن إشاره العباس ..

ثم يظهر العباس هنا بمظهر القوى الحازم، الذى يفرض رأيه و قراره

بدون أى تحفظ، بل هو يقول لأبى سفيان: ثكلتك أمك و عشيرتك.

على أن نفس ركوب العباس بغله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، من شأنه أن يطمئن أولئك المعاندين و المستكبرين إلى أن مكانه أبى الفضل محفوظه عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و أن كلمته مؤثره لديه.

كما أن أحدا من المسلمين لا يجرؤ على إخفار جواره، إذا دخلوا هذا المعسكر العرمرم معه و فى حمايته، فكيف إذا أردف رأس الشرک خلفه، و حمله معه؟

فالعباس بعد كل هذا هو الوسيله الأكثر أمنا فى الطريق، و الأكثر فاعليه و تأثيرا لدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و ربما يكون هناک اتفاق على طريقه عمل فيما بين العباس و بين هؤلاء، و قد تغاضى النبى (صلى اللّه عليه و آله) عن التصريح للعباس بمعرفته بها ..

و استفاد العباس فى الوصول إلى الهدف الكبير و الخطير، ألا و هو دخول مكه من دون إراقه دماء .. كما سيتضح فى المطالب التاليه ..

علم العباس بمكان أبى سفيان:

و بعد .. فإننا لا نستطيع أن نصدق ما يذكرونه من أن العباس قد ذهب إلى الأراک يبحث عن حطاب، أو عن صاحب لبن ليرسله إلى قريش ليحذرها من هذا الجيش القادم، و يدعوها إلى المبادره إلى أخذ الأمان من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

بل الذى يظهر من مسار الأحداث هو: أن العباس كان عالما بمكان أبى سفيان، و بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام، و قد قصدهم ليأتى بهم ..

الأمر الذى يشير إلى أنه قد يكون هناک اتفاق فيما بينه و بينهم على كل ما يجرى، إذا أردنا أن نظن أنه كان معهم من أول الأمر، ثم لما رأوا الجيش أرسلوه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فأسلم، و توسط لهم لديه، ثم عاد ليأتى بهم. و لعله كان يظن أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) لم يلتفت إلى طبيعه حركه العباس فى التمهيد لاستسلام أبى سفيان.

و الذى يدعونا إلى اعتماد هذا الاتجاه: أننا لا حظنا فيما سبق أن العباس كان من الطلقاء، و أن الدلائل و الشواهد لا تؤيد هجرته و لا حتى ملاقاته للنبى (صلى اللّه عليه و آله)، لا فى ذى الحليفه، و لا الجحفه، و لا السقيا، و لا الأبواء، و لا .. و لا ..

و قد لا حظنا هنا أيضا ما يلى:

1- إنه لا معنى لقولهم: إن العباس قد ذهب يبحث عن حطاب، أو صاحب لبن، ليرسله إلى أهل مكه .. إذ إن الوقت كان ليلا، و لا يوجد حطاب و لا صاحب لبن فى هذا الوقت ..

2- إن الحطاب أو صاحب اللبن إن كان من أهل مكه، فإنه لا يأتى من مكه كل هذه المسافه، بل هو يحتطب و يرعى فى محيط مكه نفسها.

و إن كان ممن يسكن الأراک، و مر الظهران، فلماذا يبحث عن حطاب أو صاحب لبن (راع) و يترک سكان البيوت فى تلک المنطقه، فليقصدهم، و ليكلف واحدا منهم بهذه المهمه ..

3- إن أمرا بهذه الخطوره، و قرارا بهذا الحجم، و هو: أن يستسلموا، و يسلموا مكه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا يصدق فيه حطاب، أو صاحب لبن، بل هو يحتاج إلى آراء الرجال التى يسكن إليها، و يعتمد

عليها، فكيف إذا كان هذا الرسول ممن يظن فيه أن يكون العدو قد أرسله إليهم، ليسقط مقاومتهم، و يضعف إرادتهم، و يؤثر على قرارهم عن هذا الطريق، و بهذا الأسلوب ..

4- لماذا خرج العباس بهذه المهمه ليلا، و لم يخرج لها نهارا؟!

5- ما هذه الصدفه التى جعلت العباس يسمع كلمات أبى سفيان و يفهمها، فى حين كان أبو سفيان يحتاج إلى أن يتكلم بصوت خفيض لكى لا يشعر ذلک الجيش أو حرّاسه بوجوده.

كما أن المفروض: أن العباس يركب بغله لا تراعى في مسيرها عنصر السريه، و لا تسعى لإخفاء أصوات وقع حوافرها، و لعلها أصوات قويه، لما تصادفه فى طريقها من الحجاره و غيرها، خصوصا مع عدم قدرتها على الرؤيه التى تمكنها من تجنب بعض الأحجار الكثيره و سواها بسبب الظلام.

فلماذا لم يسمع أبو سفيان و رفيقاه وقع حوافر بغله العباس، ليختاروا السكوت حتى يتبين لهم من يقصدهم؟! فلعله من أعدائهم الذين يجب أن يحترزوا منهم؟!

عمر و أبو سفيان:

و قد أكدت النصوص أيضا هذه النتيجه التى انتهينا إليها، فقد روى عن أبى ليلى، قال: كنا مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بمرّ الظهران، فقال: (إن أبا سفيان بالأراک فخذوه) فدخلنا، فأخذناه (1).

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 214 و 215 عن الطبرانى، و مجمع الزوائد ج 5 ص 172 و (ط دار الكتب العلميه) ج 6 ص 169 و المعجم الكبير ج 7 ص 76.

فبينما هم- يعنى أبا سفيان، و حكيم بن حزام، و بديل بن ورقاء- كذلک، لم يشعروا حتى أخذهم نفر كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعثهم عيونا له، فأخذوا بخطم أبعرتهم.

فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: هذا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و أصحابه.

فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش، نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم؟ (1).

و رووا: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) قال للناس: إنكم لاقون بعضهم، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه (2).

و عن عكرمه: أن أبا سفيان لما أخذه الحرس قال: دلونى على العباس، فأتى العباس فأخبره الخبر، و ذهب به إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) (3).

فنستفيد من هذه النصوص، و من جميع النصوص المتقدمه: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) هو الذى أرشدهم إلى وجود أبى سفيان بالقرب منهم، و حدد لهم المكان الذى كان فيه، و أمرهم بأخذه، فأخذوه و من معه من دون أن يشعروا، و يبدو أن العباس كان مع تلک المجموعه، فطلب أبو سفيان

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 215 عن ابن عقبه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 79 و (ط دار المعرفه) ص 17.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و (ط دار المعرفه) ص 17.
3- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 215 عن ابن أبى شيبه، و شرح معانى الآثار ج 3 ص 314 و كنز العمال ج 10 ص 526 و تفسير السمرقندى ج 2 ص 43 و المصنف لابن أبى شيبه ج 8 ص 532.

منه أن يتولى حمايته، و إيصاله إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، ليأمن على نفسه، فحمله على البغله التى أذن له النبى (صلى اللّه عليه و آله) بركوبها، لعلمه بالحاجه إليها خصوصا فى هذا المورد.

ثم لقيهم عمر بن الخطاب فى الطريق و عرف أبا سفيان، فحاول أن يستفيد من الفرصه لإظهار حرصه و غيرته على الإسلام، و شدته فى مناوأه أعدائه، فطلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يأذن له فى قتله.

و لعله كان يعلم: أنه (صلى اللّه عليه و آله) لن يأذن له، و ذلک قياسا على الموارد الكثيره جدا التى لم يستجب النبى (صلى اللّه عليه و آله) لطلبه فيها و لو مره واحده بأن يأذن له بقتل أسرى.

ترهات و أكاذيب:

و بعد ما تقدم نقول:

إن أبا سلمه و يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالا: أخذ أبو سفيان و أصحابه و كان حرس رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) نفر من الأنصار، و كان عمر بن الخطاب تلک الليله على الحرس، فجاؤوا بهم إليه.

فقالوا: جئناک بنفر أخذناهم من أهل مكه.

فقال عمر، و هو يضحک إليهم: و اللّه لو جئتمونى بأبى سفيان ما زدتم.

قالوا: قد و اللّه أتيناک بأبى سفيان.

فقال: احبسوه، فحبسوه حتى أصبح، فغدا به على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و قال ابن عقبه: لما دخل الحرس بأبى سفيان و صاحبيه، لقيهم العباس

بن عبد المطلب، فأجارهم (1).

و نقول:

أولا: من الواضح: أن النصوص المتقدمه و هى الأكثر عددا، و الأوضح سندا و المعتمده لدى المحدثين و المؤرخين، تدحض هذه المزاعم و تسقطها.

ثانيا: بالنسبه لما قيل من أنه لما دخل الحرس بأبى سفيان و صاحبيه لقيهم العباس فأجاره نقول: إنه لا يصح إجاره المحارب بعد أسره .. و ذلک واضح.

ثالثا: لا ندرى لماذا جعل النبى (صلى اللّه عليه و آله) الحرس من خصوص الأنصار، و لم يجعل بينهم أحدا من المهاجرين، و لا من غيرهم من مسلمى سائر البلاد، إلا إذا كان يتهم المهاجرين بمحاباه قومهم، أو بالتواطؤ معهم ضده ..

كما إننا لم نفهم لماذا خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) عن المألوف منه فى الموارد المشابهه، و جعل هنا فقط خصوص عمر- و هو من المهاجرين- على جماعه الأنصار؟!

بديل بن ورقاء خزاعى:

و زعمت بعض النصوص: أن بديل بن ورقاء هو الذى توهم أن ذلک

1- سبل الهدى و الرشاد ج 5 ص 215 عن ابن أبى شيبه، و السيره الحلبيه ج 3 ص 79 و (ط دار المعرفه) ص 17 و إمتاع الأسماع للمقريزى ج 1 ص 359 و نيل الأوطار ج 8 ص 169 و فتح البارى ج 8 ص 5 و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج 3 ص 548 و البدايه و النهايه ج 4 ص 331.

الجيش النبوى العظيم الذى رأوا نيرانه هو قبائل خزاعه.

و يرد عليه: أن بديل بن ورقاء كان خزاعيا، و كان يعرف خزاعه و حججها، و هذا يرجح الروايه التى تقول: إن رجلا آخر قال: هذه خزاعه، فقال له بديل: هؤلاء أكثر من خزاعه (1).

ما هذا التصافى و الإنسجام؟!:

ثم إن ما يثير العجب هنا هو هذا التوافق و الإنسجام التام بين بديل بن ورقاء، الزعيم الخزاعى، و بين زعماء قريش، التى شاركت فى البطش بقومه، و ارتكبت مجزره رهيبه فى حقهم، و نقضت العهد مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالتعدى عليهم .. مع كون رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إنما يقدم مكه بهذا الجيش غضبا لخزاعه، و سعيا لتأديب قريش، و القضاء على بغيها و جبروتها الظالم.

و يؤكد هذا الذى نقوله: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) حين أجاب حكيم بن حزام بقوله: (أنتم أظلم و أفجر، قد غدرتم بعقد الحديبيه، و تظاهرتم على بنى كعب- يعنى خزاعه- بالإثم و العدوان، و فى حرم اللّه و أمنه). قال بديل بن ورقاء الخزاعى: (صدقت- و اللّه- يا رسول اللّه، فقد غدروا بنا. و اللّه لو أن قريشا خلوا بيننا و بين عدونا ما نالوا منا الذى نالوا) (2).

فإذا كان بديل يرى قريشا غادره فاجره، فما هذا التعاون و الانسجام

1- السيره الحلبيه ج 3 ص 78 و (ط دار المعرفه) ص 16.
2- السيره الحلبيه ج 3 ص 80 و (ط دار المعرفه) ص 19.

مع زعمائها ضد حليفه الذى جاء لنصره، و رفع الظلم عنه؟!

و الأكثر غرابه هنا: أن يكون هذا الود و الصفاء بين بديل و بين أبى سفيان بالذات، فإن أبا سفيان هو الذى أرسلته قريش إلى المدينه ليحتال على النبى (صلى اللّه عليه و آله) و على المسلمين، ليضيع دماء أبنائهم، و ليساعد الغدره و الظلمه فى غدرهم و ظلمهم، و فى التغطيه عليهم، و إنكار حق خزاعه حتى بديات قتلاهم.

و قد قلنا فيما سبق:

إن فعل أبى سفيان هذا لعله أفحش و أقبح من فعل ناقضى العهد، و مرتكبى الجرائم فى حق خزاعه ..

حماس عمر لقتل أبى سفيان:

و قد قرأنا فى تلك النصوص أيضا: شده حماس عمر لقتل أبى سفيان بمجرد أن رآه مع العباس على بغله رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

و لكن ذلك يثير لدينا ألف سؤال و سؤال عن مدى وعى عمر للأمور، و تقديره لها، و غير ذلك .. و أول سؤال يقفز إلى الذهن هو: هل كان دائما يتحمس لقتل أبى سفيان بيده حتى فى ساحات القتال فى المعارك السابقه؟!

و إذا كان كذلك، فهل هو فى مستوى حماسه لقتله حين رآه أسيرا فى يد أهل الإسلام، لا حول له و لا قوه؟!

أم أنه كان فى ساحات القتال فى زمره الضعفاء من المقاتلين، و فى طليعه المنهزمين حين تستعر نار الحرب، و يروج سوق الطعن و الضرب؟!

و هل كان فى الصفوف الأولى يبارز الفرسان، و يناجز الشجعان؟ أم

كنت تراه فی الصفوف الخلفیه، یحتمی بغیره، و مشغولا بحفظ نفسه؟!

تناقضات مواقف عمر و أبی بکر:

و قد کان عمر لم یزل یطلب من النبی (صلی اللّه علیه و آله) أن یدعه یضرب عنق هذا الأسیر و ذاک .. و قد تکرر منه ذلک مرات کثیره جدا، و کان هو المطالب بقتل أسری بدر، حتی رووا فی ذلک روایات شنیعه المضمون، من حیث إنها تهدف إلی الطعن بالرسول الأکرم نفسه (صلی اللّه علیه و آله)- حسبما تقدم بیانه فی غزوه بدر، فی فصل الغنائم و الأسری.

و قد کان أبو بکر قرین عمر، وصفیه و حبیبه و نجیّه، و کانا معا یدا واحده فی کل ما یجری، فلماذا نجد لأبی بکر مسارا آخر فی هذه الأمور بالذات؟ فکیف اتفقا فی سائر القضایا و اختلفا فی خصوص هذا الأمر؟!

بل لم نسمع أن أبا بکر قد أید عمر فی مواقفه هذه إلا مره واحده، و انعکست الأمور بینهما فی مره واحده أیضا .. أی أن عمر کان هو المیال للقتل و العنف، و کان أبو بکر باستمرار هو الذی یهدئه، و یفثؤه، و یردعه عن مضایقه رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و یمنعه من مواصله الإلحاح علیه .. باستثناء مورد واحد، انعکست فیه الأمور، و تبدلت المواقف، فصار عمر هو حمامه السلام، و الداعی للصلح و المداراه و الوئام .. و أصبح أبو بکر فی موقع المصمم علی الحرب و القتال مهما کانت النتائج ..

و لکن هذا التفاوت قد ظهر حین أصبحت الحرب مع المسلمین الرافضین للإعتراف بشرعیه خلافه أبی بکر، و أصروا علی عدم إعطائه

الزكاه، و لم يكفروا بعد إسلامهم (1)، فأصر أبو بكر على حربهم.

و أطلق كلمته المشهوره: (لو منعونى عقال بعير لجاهدتهم (أو لقاتلتهم) عليه) (2).

و المورد الواحد الذى اتفق فيه هذان الرجلان هو: مخالفه أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى قتل أصل الخوارج، فنشأ عن مخالفه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فيه مفسده عظمى حاقت بالأمه، و لا تزال آثارها تتفاعل فيها إلى يومنا هذا.

فقد رووا: أن أبا بكر قال للنبى (صلى اللّه عليه و آله): إنى مررت بوادى كذا و كذا، فإذ رجل متخشع، حسن الهيئه، يصلى ..

فقال له النبى (صلى اللّه عليه و آله): إذهب إليه فاقتله.

فذهب إليه، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى النبى (صلى اللّه عليه و آله) ..

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله) لعمر: إذهب فاقتله.

فذهب إليه فرآه على تلك الحال فكره أن يقتله.

فقال (صلى اللّه عليه و آله) لعلى (عليه السلام): اذهب فاقتله .. فذهب إليه فلم يجده.

فقال النبى (صلى اللّه عليه و آله): إن هذا و أصحابه يقرؤون القرآن لا

1- راجع: المحلى لابن حزم ج 11 ص 193 و فرق الشيعه ص 7 و المقالات و الفرق ص 4 و راجع: تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 255 و تاريخ الرده ص 10 و راجع: مجمع الأمثال ج 2 ص 65 و الفتوح لابن أعثم ج 1 ص 58.
2- راجع مصادر ذلک تحت عنوان: الجرأه على الدماء.

يجاوز تراقيهم. و ذكر حديث الخوارج و مروقهم من الدين، و فى آخره:

فاقتلوهم هم شرّ البريه (1).

و فى نص آخر: فقال على (عليه السلام): أفلا أقتله أنا يا رسول اللّه؟!

قال: بلى أنت تقتله إن وجدته .. فانطلق على (عليه السلام) فلم يجده ..

أو نحو ذلک (2).

و لكن ما يمكن أن نعتبره قاسما مشتركا فيما بين جميع هذه الموارد هو:

أن هذا المورد الأخير قد جاء موقفهما فيه مخالفا لأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

1- مسند أحمد ج 3 ص 15 و المصنف للصنعانى ج 10 ص 155 و 156 و مجمع الزوائد ج 6 ص 225 و 226 و 227 و البدايه و النهايه ج 7 ص 299 و شرح النهج للمعتزلى ج 2 ص 266 و 267 و الكامل فى الأدب ج 3 ص 220 و 221 و نيل الأوطار للشوكانى ج 7 ص 351 و المراجعات للسيد شرف الدين ص 376 و 378 و النص و الإجتهاد للسيد شرف الدين ص 96 و الغدير ج 7 ص 216 و أهميه الحديث عند الشيعه للشيخ أقا مجتبى العراقى ص 217 و فتح البارى ج 12 ص 266 و الفصول المهمه للسيد شرف الدين ص 121.

2- كشف الأستار عن مسند البزار ج 2 ص 360 و 361 و العقد الفريد ج 2 ص 404 و راجع المصنف للصنعانى ج 10 ص 155 و 156 و مجمع الزوائد ج 6 ص 226 و 227 و المناقب لابن شهر اشوب ج 3 ص 187 و 188 عن مسند أبى يعلى، و الإعانه لابن بطه، و العكبرى. و زينه أبى حاتم الرازى، و كتاب أبى بكر الشيرازى و غيرهم و الطرائف ج 2 ص 429 و البدايه و النهايه ج 7 ص 298 و الغدير ج 7 ص 216 و حليه الأولياء ج 2 ص 317 و ج 3 ص 227 و الإصابه ج 1 ص 484 و النص و الإجتهاد ص 93 و 94 عن بعض ما تقدم.

و موقف أبی بکر فی قتل مانعی الزکاه هو الآخر مخالف للّه و لرسوله ..

و قد عاد عمر إلی رأی أبی بکر و وافقه علیه أیضا ..

کما أن طلبات عمر المتکرره بأن یجیز له الرسول قتل هذا و ذاک قد جاءت کلها علی خلاف ما یریده اللّه و رسوله أیضا ..

فما هذا التوافق العجیب بین أبی بکر و عمر فی هذین الموردین علی خلاف رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أن تکون جمیع مواقف عمر مخالفه لما یرید اللّه و رسوله فی جمیع المواقف المختلفه؟!..

لا مبرر لقتل أبی سفیان:

1- إن عمر کان مهتما بقتل أبی سفیان، مع أنه یعلم: أن هناک مسلمین کثیرین یعیشون فی مکه، و إن قتله قد یؤدی إلی ارتکاب المشرکین مجزره هائله فی حقهم فیما لو حصل هیجان عارم لا یخضع للمنطق، و لا یستجیب لنداء العقل ..

2- المفروض أن أبا سفیان قد أصبح فی قبضه أهل الإسلام، و لعل ذلک یفسح المجال لاتفاقات تؤدی إلی حقن الدماء، و انطلاقه الإسلام بقوه فی تلک المنطقه، فلماذا لا یترک رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) لیعالج الأمور بحکمته و رویته؟!..

3- لماذا لا یسعی عمر لإدخال أبی سفیان فی الإسلام؟ ألم یکن إسلام أبی سفیان أحب إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) من قتله؟!.

مع ملاحظه: أن عمر کان یحب إسلام العباس أکثر من حبه لإسلام أبیه الخطاب لو کان حیا، لعلمه بسرور رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)

بإسلام عمه ..

إلا إذا كان عمر يرى: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) إنما يرغب بإسلام عمه .. لأنه عمه، و لا يرغب بإسلام أبى سفيان تعصبا منه ضد بنى عبد شمس، و لأنه عدوه المحارب له. فالعصبيه العشائريه هى الحاكمه على مواقفه و تصرفاته (صلى اللّه عليه و آله)، و هذا المنطق سى ء و خطير، لأنه ينتهى إلى الطعن بنبوه النبى (صلى اللّه عليه و آله) فى عصمته و حكمته، و مزاياه. و هو مرفوض جمله و تفصيلا ..

اتهام العباس لعمر بن الخطاب:

إن العباس قد سجل اتهاما صريحا لعمر فى نواياه، و فى نوازعه العشائريه، و تعصباته القبائليه حين قال له:

(مهلا يا عمر! فو اللّه، لو كان من رجال بنى عدى ما قلت هذا.

و لكنک قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف).

و لم يستطع عمر أن يدفع عن نفسه هذه التهمه إلا بادعاء آخر، من شأنه أن يزيد من وطأه اتهامه فى نواياه، و هو أنه كان يحب إسلام العباس، لأن ذلک يسر النبى (صلى اللّه عليه و آله) ..

مع العلم: بأن إسلام أبى سفيان أيضا كان يسر النبى (صلى اللّه عليه و آله)، لأن هدايه نسمه خير مما طلعت عليه الشمس، و لأن ذلک قد يوجب تنفيس الإحتقان فى المنطقه بأسرها. و لعل إسلام غيره ليس بهذه المثابه ..

فلماذا يريد عمر قتل هذا، و لا يهتم بإسلامه، دون ذاک؟!.

و نريد أن لا تفوتنا الإشاره إلى أن هذا الإتهام نفسه قد يوجه إلى عمر

حين طالب بقتل أسرى بدر، حيث لم يكن فيهم أحد من بنى عدى أيضا (1).
الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 21 325 إسلام العباس.. و إسلام الخطاب: ..... ص : 325

إسلام العباس .. و إسلام الخطاب:

و بعد .. فإننا لم نستطع أن نتبين وجها مقبولا أو معقولا لقول عمر: إن إسلام العباس كان أحب إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من إسلام الخطاب ..

و إنه (صلى اللّه عليه و آله) يريد إسلام كل الناس، و لا يفرحه إسلام هذا أكثر من إسلام ذاک، و لعل إسلام سلمان الفارسى كان أحب إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) من إسلام العباس، إذ كان إسلام سلمان من موجبات القوه للدين، أو كان أكثر صفاء، و أعظم رسوخا، و قوه و عمقا ..

و من الذى أخبر عمر بواقع إيمان الناس، و بدرجات رسوخ الإيمان فى قلوبهم؟!

و مع غض النظر عن ذلک كله، يبقى سؤال نطالب عمر بالإجابه عنه، و هو: إذا كان قد عرف محبه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لإسلام العباس، فهل هو أيضا قد عرف كراهته لإسلام أبى سفيان؟!.

و لماذا كان فى أيام خلافته يعظم أبا سفيان و العباس و يقدمهما بصوره لافته، فقد كان يفرش لعمر فراش فى بيته فى أيام خلافته، فلا يجلس عليه أحد إلا العباس بن عبد المطلب و أبو سفيان بن حرب.

1- راجع موقفه هذا فى هذا الكتاب فى غزوه بدر، فصل: الغنائم و الأسرى.

زاد المبرد قوله: هذا عم رسول اللّه، و هذا شيخ قريش (1).

جوار العباس:

و قد ذكرت الروايات المتقدمه: أن العباس قال لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) إنه أجار أبا سفيان.

و ذكرت أيضا: أنه أجار بديل بن ورقاء، و حكيم بن حزام ..

و نقول:

إنه جوار لا يصح، بل هو غير جائز، إذا كان يريد بهذا الجوار منع النبى (صلى اللّه عليه و آله) من التصرف المناسب فى حق أبى سفيان، و فى حق بديل، و حكيم ..

و يشهد لذلک: أنه لما قدم أبو سفيان المدينه يطلب تجديد عهد الحديبيه، و الزياده فى المده، و طلب من رجالات الصحابه أن يجيروا بين الناس، قد واجه رفض ذلک منهم جميعا، و كانت حجتهم أنه ليس لأحد أن يجير على رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله).

و لأجل ذلک نلاحظ: أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كما لم يلتفت إلى مطالبات عمر بن الخطاب بقتل أبى سفيان، لم يقم وزنا لجوار العباس لهؤلاء أيضا، بل بقى مصرا على إجراء حكم اللّه تعالى فيهم، إن لم ينطقوا بالشهادتين.

و هذا ما يدعونا إلى القول:

إنه إن كان قد أجار أحدا من هؤلاء، حتى على رسول اللّه (صلى اللّه

1- العقد الفريد ج 2 ص 289 و الكامل للمبرد ج 1 ص 319.

علیه و آله)، فهو مخطئ بلا ریب. و هو لا یلزم لرسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بشی ء من ذلک. و قد ظهر من تعامل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) معهم: أنه لم یلتفت إلی ما ادّعاه العباس من جوار ..

و إن کان العباس قد أجار هؤلاء الثلاثه: أبا سفیان، و حکیما و بدیلا من سائر الناس لکی یصلوا إلی رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) سالمین، لیری فیهم رأیه، فهو تصرف مقبول، و یکون قول العباس لعمر عن أبی سفیان: إنی قد أجرته مجرد محاوله لحمایته من عمر، لکی لا یتسرع فی الإقدام علی أمر خطیر کهذا ..

هل مکث أبو سفیان عند النبی صلّی اللّه علیه و آله عامه اللیل؟:

و هناک روایه ذکرت: أن العباس حین أدخل أبا سفیان و حکیما و بدیلا علی النبی (صلی اللّه علیه و آله) مکثوا عنده عامه اللیل یستخبرهم .. و انتهی الأمر بإسلام بدیل و حکیم، و لکن أبا سفیان طلب التأجیل.

و نقول:

أولا: إننا نشک فی أن تکون هناک تفاصیل کثیره ترتبط بشؤون الحرب و یحتاج النبی (صلی اللّه علیه و آله) إلی الوقوف علیها منهم، و یستغرق الاستخبار عنها هذا الوقت الطویل (عامه اللیل). لا سیما و أن هذا الجیش الکبیر قد ظهر ببلادهم فجأه، و لم یکن لدیهم أیه فرصه للإعداد و الإستعداد، و جمع الناس من البلاد.

و لو فرض: أنه کان یرید أن یستخرج منهم بعض الأمور، فلماذا لا یوکل أمر سؤالهم عنها إلی غیره؟!

ثانيا: إذا كان العباس قد أسلم، و كان مقيما بمكه مثلهم، فإنه هو الآخر يستطيع أن يخبر النبى (صلى اللّه عليه و آله) بما يريد معرفته.

و لو فرضنا: أنه كان قد خرج من مكه قبلهم، و قد استجدت أمور بعده و لم يعلم بها، فإن تلك الأمور لا تحتاج فى الاستخبار عنها إلى هذا الوقت الطويل.

ثالثا: لماذا يشعرهم بأنه محتاج إلى ما عندهم ما دام أنه مسدد بالوحى الصادق؟ فى حين أن المصلحه تقضى بأن يظهر لهم التسديد و الرعايه الإلهيه له و لمسيرته (صلى اللّه عليه و آله) ..

إلا أن يقال: إنه (صلى اللّه عليه و آله) إنما كان يتعامل مع الأمور وفق مسارها الطبيعى، لا من خلال الوحى، و الغيب، إلا فى مواقع معينه، و وفق شروط و ضوابط لا تكون متوفره فى هذا الموقف ..

رابعا: هل كانوا مأمونين على ما يخبرونه فى الأمور التى يسألهم، حتى لو افترضنا حاجته إلى العلم بها؟!

ملک أم نبوه؟!:

لقد مضى على بعثه رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) أكثر من عشرين سنه، عاش منها ثلاث عشره سنه فى مكه، و أظهر لهم فيها تعاليم الإسلام، و بيّن للناس تعاليمه و أحكامه، و قرأ عليهم القرآن. و قد رأوا عن كثب معاملته لأصحابه، و نظره أصحابه إليه، و تعاملهم معه. كما أنهم حتى بعد هجرته إلى المدينه فى السنوات الثمانى الأخيره، لم ينقطعوا عن تتبع أخباره و رصد حركته.

و لكنهم بالرغم من ذلک كله، ما زالوا يظهرون فى أفعالهم و أقوالهم ما يشير إلى خطأ فاحش فى أساس نظرتهم إليه، و إلى تعاليمه. و يتجلى ذلک فى حوادث فتح مكه المختلفه، فقد حفلت تصريحات كثيره لزعمائهم، بأن ما يرونه لدى محمد (صلى اللّه عليه و آله) هو الملک. رغم أنهم قد شاهدوا الكثير من المعجزات و الكرامات الداله على أنها النبوه، و الرعايه و الإراده الإلهيه ..

و من المفردات التى تدخل فى سياق هذه السياسه من هؤلاء العتاه قول أبى سفيان للعباس أكثر من مره: (لقد أصبح ابن أخيک- و اللّه- عظيم الملک). أو (ما رأيت ملكا قط كاليوم، لا ملک كسرى و لا قيصر) أو نحو ذلک ..

و يجيبه العباس بأنها النبوه، و ليست الملک ..

و من ذلک أيضا: أن حكيم بن حزام حين قيل له: بايع.

قال: (أبا يعک، و لا أخر إلا قائما).

فهو يراه ملكا مثل سائر الملوک، فى فارس و الروم و غيرها، لا بد من أن يخضع الناس له إلى حد أنهم يخرون سجدا أو ركعا بمجرد رؤيته تحيه له ..

و كأن حكيم بن حزام أراد أن يشترط لنفسه أمرا يمتاز به عن غيره من العرب، و هو: أن لا يخر ساجدا أو راكعا فى تحيته له، بل يحييه و هو قائم.

و لكن جواب النبى (صلى اللّه عليه و آله) لحكيم قد بيّن: أنه لا توجد مطالب من هذا النوع فى قاموس تعامل الناس مع النبى (صلى اللّه عليه و آله) .. فهو يقول: أما من قبلنا فلن تخر إلا قائما .. أى أنه ليس فى شرعنا، و لا فى قراراتنا المرتبطه بالتعامل مع الآخرين أى خضوع يصل إلى حد

الركوع و السجود لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) ..

عمر لا يراعى مجالس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

و إذا صح ما ذكروه عن عمر بن الخطاب، من أنه قال لأبى سفيان الذى كان فى محضر النبى (صلى اللّه عليه و آله): إخرأ عليها (أى على العزى) فهو غير مقبول منه من جهات:

إحداها: أنه يمثل جرأه على مقام رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و خروجا عن الحدود، و مخالفه لأبسط اللياقات التى يفترض مراعاتها فى مجالس الناس العاديين، فكيف إذا كان ذلک بمحضر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله). سيد رسل اللّه، و أفضل مخلوقاته تبارک و تعالى؟!

و قد أظهر أبو سفيان تقززه من هذا الفحش، فقال: أف لک ما أفحشک! أو قال: و يحک يا عمر، إنک رجل فاحش. و يمكن أن يكون قد قال الكلمتين معا أيضا.

الثانيه: إن ما صنعه عمر قد جاء على سبيل استراق السمع المذموم، و بطريقه الفضول و التدخل فيما لا يعنيه، فهو إنما كان فى خارج القبه، و قد ألقى كلامه من وراء الحجاب، من دون ان يدعوه أحد إلى ذلک ..

و لذلک قال أبو سفيان: (ما يدخلک يا عمر فى كلامى، و كلام ابن عمى).

أو قال: (دعنى مع ابن عمى، فإياه أكلم). و لعله قال الكلمتين معا.

الثالثه: إن هذا من الموارد التى ورد النهى عنها فى القرآن الكريم بخصوصها، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1). فلماذا يتدخل عمر و يقدم بين يدى اللّه و رسوله؟!

و علينا أن لا نغفل الإشاره إلى تعبير أبى سفيان عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بقوله: ابن عمى، معتبرا عمر بن الخطاب رجلا غريبا عنهما، لكونه من بنى عدى. فهو ينطلق من موقعه العشائرى ليقطع بذلک الطريق على عمر ..

و لعل السر فى أننا لم نسمع أى تعليق أو اعتراض من النبى (صلى اللّه عليه و آله) على هذا المنحى، و لم يقل لأبى سفيان أن المعيار هو الأخوه الإيمانيه و القرابه الدينيه لا العشائريه .. هو: أن بإمكان أبى سفيان أن يتنصل من هذا الأمر، و يفكر فى أن يكون ذلک محط تفكيره و مرمى كلامه.

أبو سفيان يخاف من الأذان و الصلاه!!:

و قد زعمت النصوص: أن أبا سفيان قد فوجئ بأذان المسلمين، و قيامهم إلى طهورهم، فسأل العباس، فأجابه بأنها الصلاه.

و نقول:

1- قد يقال: إن أبا سفيان كان قد رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله) و المسلمين يصلون فى مكه قبل الهجره طيله ثلاث عشره سنه، و رآهم فى المدينه قبل مده يسيره، حينما ذهب ليطلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) تجديد العهد، و الزياده فى المده، و سمع فيها الأذان، و بقى أياما يتصل برجالات المهاجرين و الأنصار، يطلب منهم مساعدته فيما جاء له ..

1- الآيه 1 من سوره الحجرات.

فما معنى: أن يفزع من الأذان فى هذه المره؟!

و الحقيقه هى: أن أبا سفيان قد سمع العسكر يجيبون المؤذن بصوره جماعيه، فظن أنهم قد اتفقوا على أمر بعينه.

و يدل على ذلک: أن المسلمين حين قاموا إلى طهورهم، قال أبو سفيان للعباس: (ما للناس؟! أمروا فىّ بشى ء)؟!

و هذا على قاعده: كاد المريب أن يقول: خذونى.

أو كما قال تبارک و تعالى: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَهٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ .. (1).

و نحن و إن كنا لا نستبعد احتمال أن يكون أبو سفيان قد رأى النبى (صلى اللّه عليه و آله) يصلى فى المسلمين جماعه فى المدينه ..

غير أننا نقول:

إن صلاه عشره آلاف رجل فى جماعه واحده مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) لا بد من أن يخيف أبا سفيان، و يحركه إلى الإستفهام ..

و نعتقد: أننا لسنا بحاجه إلى بيان: أن الوضوء الذى نسبته بعض الروايات المتقدمه إلى أبى سفيان، و أن العباس أمره فتوضأ، إنما يقصد به مجرد غسل الوجه و اليدين .. و لا يراد به الوضوء بمعناه الشرعى عند أهل الإسلام، لأن أبا سفيان لم يكن قد أسلم آنئذ.

أسلم تسلم:

لقد حاول أبو سفيان التسويف فى الإقرار بالشهادتين، ربما لأنه كان

1- الآيه 4 من سوره المنافقون.

يأمل بتجاوز هذه المرحله، و هو يريد أن يحتفظ لنفسه بوضع خاص، يحفظ له محوريته بين أهل الشرک، و مرجعيته لهم.

أو على الأقل يريد أن يكون له ملک في مقابل نبوه محمد، التى حاول أن يصر على أنها مظهر من مظاهر الملک أيضا .. فطلب من النبى (صلى اللّه عليه و آله) أن يرجئ طلب الإقرار بالشهاده له بالنبوه.

فأعطاه (صلى اللّه عليه و آله) فرصه ليتدبر أمره فى تلک الليله. و فى اليوم التالى: عاد ليكرر ذلک الطلب عليه، و يعود أبو سفيان إلى المراوغه مره بعد أخرى، معتمدا على معسول من الكلام ظنا أنه يبلّغه إلى ما يريد ..

و لكن القضيه لم تكن قابله للإستمرار، لأن أبا سفيان ظل منذ أن بعث اللّه محمدا (صلى اللّه عليه و آله) يرتكب أعظم الجرائم و الموبقات و يحارب اللّه و رسوله، و يتسبب بإزهاق الأرواح، و ظلم النفوس، و العدوان على الناس فى كراماتهم، و فى حرياتهم، و فى جميع الشؤون .. و لا بد من إزاله تبعات ذلک كله، إما بالجزاء العادل، و هو مواجهه القتل فى الدنيا و العذاب فى الآخره، فيما لو أصر على اللجاج و العناد، و على إعلان الحرب على الحق و أهله بالسيف، و بالكلمه، و بالموقف. و هذا فى حد نفسه جرم عظيم، و ظلم جسيم للدين و للمؤمنين .. و لا مجال للتجاوز عنه أو التساهل فيه ..

لأنه يقود إلى إضلال الناس، أو إلى استمرار كثير من الضالين على ضلالهم.

و إما أن يتراجع عن شركه، و يعلن إسلامه، و بطلان ما كان عليه، و يقر بخطئه فى مواقفه، و فى ممارساته السابقه. و بذلک يستفيد من سماحه الإسلام الذى منحه عفوا فى الدنيا عن جرائمه و عفوا فى الآخره إن تاب توبه نصوحا ..

فيكون باختياره للإسلام قد سهل مهمه انتشار دعوه الحق، و ازال من أذهان بعض المستضعفين الذين يرتبطون به، بنحو أو بآخر، أيه شبهه، و رفع أنواع الضغط النفسى، الذى كان يشعر به هؤلاء أو غيرهم، و يمنعهم من الدخول فى هذا الدين ..

و لأجل ذلک: كرر عليه النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) قوله:

أسلم تسلم. أى أنه يسلم من العقوبه على جرائمه فى الدنيا على أقل تقدير، حسبما بيناه ..

و بذلک يظهر: أن هذه الكلمه لا تعنى أن الإسلام يقهر على الإيمان، أو أنه انتشر بالسيف ..

بل هى تعنى: أن الذى يرتكب جريمه محاربه الحق، و يحارب اللّه و رسوله، و يسعى فى قتل أهل الحق لا يسلم من الجزاء العادل على عدوانه هذا إلا إذا أعلن تراجعه عن موقفه هذا .. و اعترف بخطئه فيما ارتكبه من جرائم ..

و قد تفضل اللّه تعالى عليه بهذا العفو، لأنه يريد أن يوفر على الأمه خسائر أكبر قد تنشأ من مواصلته مسيرته الإجراميه، حين يرى أنه هالک لا محاله ..

المعادله التى اعتمد عليها أبو سفيان:

و قد استند أبو سفيان فى تقرير بطلان الشرک إلى معادله تقول: إنه لو كان هناک إله آخر لكان أغنى عنه شيئا فى بدر، و فى أحد، و فى سواهما.

و لكن ليت شعرى لماذا لم يأخذ بهذه المعادله منذ بدر، أو أحد، أو

الخندق، ليكون قد وفر على الأمه تلک الويلات و المآسى التى أصابتها بسبب بغيه و إصراره على الجحود و العدوان؟

علما بأن طريقته هذه لا تؤدى إلى التوحيد التام، و إن كان هو قد نوه بذلک، لأن كلامه يدل على أن إله محمد (صلى اللّه عليه و آله) محق و إله أبى سفيان مبطل، و لكنه لا يدل على عدم صحه دعوى تعدد الآلهه.

لو لا المعجزه لم يسلم أبو سفيان:

و تذكر روايه الراوندى: أن ذلک كله لم يقنع أبا سفيان بإعلان إسلامه، رغم تحذير العباس له بأنه إن لم يسلم جوزى بالقتل ..

و لكن النبى (صلى اللّه عليه و آله) عامله أيضا بالرفق، حيث أمر العباس بأن يأخذه إلى خيمته، و صار أبو سفيان يحدث نفسه: بأنه لو جمع الأحابيش، فلعله كان يهزم هذا الجيش، و إذ برسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يناديه من خيمته، و يقول له: (إذن كان اللّه يخزيک).

و كان لا بد لأبى سفيان من أن يخضع للأمر الواقع فقد طفح الكيل، و بلغ فى لجاجه حدا لم يعد له عذر فيه، فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) يقرأ نواياه، و أقر أبو سفيان بالشهادتين مرغما ليحقن بذلک دمه.

فوفر على الناس المزيد من الخسائر، و انسحب من ساحه الصراع المسلح، ليدير صراعا آخر، و بطريقه أخرى، ليكون صراعا من الداخل يهدف إلى السعى للحصول هو و حزبه على أكبر قدر من المكاسب، بل على أهم المواقع و المناصب ..

و أصبح كما يقول صاحب الإستيعاب و غيره: كهفا للمنافقين (1).

و لهذا البحث مجال آخر.

العتاب و الجواب:

و قد ذكرت النصوص المتقدمه: أن أبا سفيان و حكيم بن حزام قد عاتبا رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بأسلوب يفتقر إلى أبسط قواعد اللياقه و الأدب. حيث وصفا الجيش الذى كان معه بأنهم أوباش الناس، جاء ليحارب بهم أهله و عشيرته ..

و قد نسيا:

أولا: أن أبا سفيان نفسه لم يزل يجمع الأحابيش و الأوباش و غيرهم، لمحاربه من هو من أهلهما و عشيرتهما طيله ما يقرب من عقد من الزمن. بل إن أبا سفيان لم يتلفظ بالشهادتين إلا بعد أن أعلمه النبى (صلى اللّه عليه و آله): بأنه يحدّث نفسه لو أنه جمع الأحابيش لحرب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و هو من أهله و عشيرته ..

ثانيا: إن حرب أبى سفيان للنبى (صلى اللّه عليه و آله)، الذى هو من أهله و عشيرته، ما هى إلا حرب بغى و ظلم، و هتک لحرمات اللّه تعالى ..

1- سبل الهدى و الرشاد ج 4 ص 351 و الإستيعاب (ط دار الكتب العلميه) ج 4 ص 58 و (ط دار الجيل) ص 1678 و الإكمال فى أسماء الرجال للخطيب التبريزى ص 104 و النزاع و التخاصم للمقريزى ص 58 و راجع: الغدير ج 3 ص 253 و ج 8 ص 278 و شيخ المضيره لأبى ريه ص 161 و النصائح الكافيه لابن عقيل ص 110.

ثالثا: هل الاستعانه بمن يعرف و من لا يعرف لدفع الظلم و إقامه العدل، قبيحه و مرفوضه!! و لا يكون غدر قريش بخزاعه فى حرم اللّه و أمنه و نقضها لعهد الحديبيه، و سعيها فى تكريس نتائج الغدر- لا يكون- قبيحا و مرفوضا؟!

إن ذلک كله يبين لنا مدى صدقيه قوله (صلى اللّه عليه و آله) لحكيم بن حزام و لأبى سفيان:

(أنتم أظلم و أفجر، قد غدرتم بعهد الحديبيه، و ظاهرتم على بنى كعب بالإثم و العدوان، فى حرم اللّه تعالى و أمنه).

و أما تحريضهما رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) على هوازن، فلم يكن يهدف إلى إقامه الحق، و إجراء سنه العدل فى هوازن على يدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) .. بل كان من منطلق ظالم، و غير منطقى، لأنهم استندوا فى إغرائه بهم إلى أنهم أبعد رحما، و أشد عداوه له. و ليس هذا هو منطق الإسلام و نبى اللّه تعالى.

و قد جاءت إجابه النبى (صلى اللّه عليه و آله) لهما شديده الوقع، بالغه الأثر، حيث قال:

(إنى لأرجو من ربى أن يجمع لى ذلک كله: فتح مكه، و إعزاز الإسلام بها، و هزيمه هوازن، و غنيمه أموالهم، و ذراريهم).

و قد تضمنت هذه الكلمات كل ما يغيظ الكفار و يذلهم، و يخزيهم .. لأن جمع ذلک كله له سيكون بالنسبه إلى أبى سفيان و ابن حزام من أعظم الكوارث عليهما و على أهل الشرک .. بل إن الفوز بأيه مفرده من تلک المفردات سيكون فيه أعظم الخزى و الذل للشرک و أهله .. و المفردات التى

أشار إليها هى:

1- فتح مكه: التى كانوا يستطيلون بها على العرب، و يمتلكون من خلالها قلوبهم، و يفرضون إرادتهم .. و فى التسلط على مكه، و إبطال نفوذهم أعظم الخزى و الذل لهم.

2- إعزاز الإسلام فى نفسه و هذا أيضا سيكون من أعظم المصائب و الملمات على أهل الشرک .. فكيف إذا كان هذا الإعزاز فى مكه نفسها؟!

3- هزيمه هوازن: و هذه أيضا: فاجعه كبرى لمشركى قريش، لأنهم يرون فيها سندا قويا لهم. و سقوطها معناه: أن يفقدوا بها أملا كان يهبهم بعض السكون و الطمأنينه.

4- غنيمه أموال هوازن: و هذا معناه: أن لا تقوم لها قائمه بعدها، و أن تخرج من معادله الحرب و الصراع بصوره تامه، و نهائيه ..

5- إن الأشد إيلاما لهم: أن النبى الكريم (صلى اللّه عليه و آله) لا يعتمد فى تحقيق ذلک كله على نفسه و على هذا الجيش الهائل، بل هو يعتمد على ربه تبارک و تعالى .. الذى لم يكونوا فى أى وقت فى موقع رضاه، بل كانوا دائما فى موقع سخطه.

تصحيح اشتباه:

كان بديل بن ورقاء الخزاعى يقول: لما كان يوم الفتح أو قفنى العباس بين يدى رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) و قال: يا رسول اللّه، هذا يوم قد شرفت فيه قوما، فما بال خالک بديل بن ورقاء، و هو قعيد حيه؟

قال النبى (صلى اللّه عليه و آله): (إحسر عن حاجبيک يا بديل).

فحسرت عنهما، و حدرت لثامی، فرأی سوادا بعارضی، فقال: کم سنوک یا بدیل؟

فقلت: سبع و تسعون یا رسول اللّه.

فتبسم النبی (صلی اللّه علیه و آله) و قال: (زادک اللّه جمالا و سوادا، و أمتعک و ولدک، لکن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد نیف علی الستین، و قد أسرع الشیب فیه، ارکب جملک هذا الأورق و ناد فی الناس: (إنها أیام أکل و شرب).

و کنت جهیرا، فرأیتنی بین خیامهم و أنا أقول: أنا رسول رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) یقول لکم: إنها أیام أکل و شرب، و هی لغه خزاعه، یعنی الإجتماع (1).

و نقول:

إننا لا نرید أن نزید هنا شیئا علی ما قاله المجلسی (رحمه اللّه): (و المشهور:

أن هذا النداء کان فی حجه الوداع، لا عام الفتح) (2).6.

1- الأمالی لابن الشیخ ص 239 و (ط دار الطباعه و النشر- قم) ص 376 و البحار ج 21 ص 115 و ج 96 ص 308 و راجع: الإصابه ج 1 ص 141.
2- البحار ج 21 ص 116.

ص: 340

الفهارس

اشاره

1- الفهرس الإجمالى 2- الفهرس التفصيلى

ص: 342

1- الفهرس الإجمالى

القسم التاسع: فتح مكه الباب الأول: إلى مكه الفصل الأول: المجزره 9- 44

الفصل الثانى: إلى المدينه: خبر و شكوى 45- 72

الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينه تدليس و خداع 73- 124

الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول 125- 160

الفصل الخامس: ابن أبى بلتعه .. يتجسس و يفتضح 161- 212

الفصل السادس: على طريق مكه 213- 250

الفصل السابع: هجره العباس و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمه 251- 288

الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين 289- 340

الفهارس 341- 354

2- الفهرس التفصيلى

القسم التاسع: فتح مكه ..

الباب الأول: إلى مكه الفصل الأول: المجزره بدايه: 11

تاريخ فتح مكه: 12

يوم خروج النبى صلّى اللّه عليه و آله من المدينه: 14

يوم دخول مكه: 15

مده الإقامه فى مكه: 17

خطأ فى البخارى: 19

شهر رمضان لماذا؟!: 21

الأحلاف فى الجاهليه و الإسلام: 22

حلف خزاعه: 22

سبب حلف خزاعه: 24

حلف أهل الباطل: 25

لا حلف فى الإسلام: 25

مرتكزات حلف عبد المطلب و خزاعه: 28

قريش تنقض العهد: 29

ص: 346

سبب نقض العهد واحد: 33

إستغلال الضغائن: 33

الغدر بالضعفاء، و بالصبيان و النساء: 34

القسوه .. لماذا؟!: 35

حرمه الحرم لدى قريش: 36

هل ندموا حقا؟! 37

بنو نفاثه يسرقون الحاج: 38

بديل بن ورقاء و ما جرى: 40

بين الثأر .. و القصاص: 41

الفصل الثانى: إلى المدينه: خبر و شكوى النبى صلّى اللّه عليه و آله يخبر بالغيب عن نقض العهد: 47

لماذا عائشه دون سواها؟! 48

حرت فى أمر خزاعه: 49

سلب الألطاف الإلهيه: 50

النبى صلّى اللّه عليه و آله .. و نصر بنى كعب: 52

نوفل يضيع الحق: 56

غضب النبى صلّى اللّه عليه و آله لبنى كعب: 58

نصرت يا عمرو بن سالم: 59

لا نصرنى اللّه إن لم أنصر بنى كعب: 59

السحابه تستهل بنصر بنى كعب: 62
دخل بيت عائشه أم ميمونه؟!: 63

ص: 347

ابن ورقاء أول المخبرين: 64

عينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله تدمعان: 66

قام و هو يجر رداءه: 67

النبى صلى اللّه عليه و آله يأمر مخبريه بالتفرق فى الأوديه: 68

الفصل الثالث: أبو سفيان فى المدينه: تدليس و خداع عروض النبى صلّى اللّه عليه و آله و رفض قريش: 75

مساع فاشله لأبى سفيان: 77

ترتيب الأحداث: 88

سؤال و جوابه: 89

على ماذا ندمت قريش؟!: 90

أبو سفيان ينقض العهد: 91

الخيارات العادله: 92

سياسات يعرفها الجميع: 93

آراء لا يحسدون عليها: 94

تحديد المتهم بدقه: 95

عرام بنى نفاثه: 95

بنو نفاثه يعظمون الحرم: 96

الخبر اليقين: 96

رؤيا هند بنت عتبه: 97

أبو سفيان هو المسؤول: 97

تجديد العهد، و زياده المده: 100

ص: 348

أساليب استخباراتيه فاشله: 101

أبو سفيان فى المدينه: 102

خيار الهروب إلى الأمام: 104

التدبير الصارم: 106

مواقف مزعومه، بل موهومه: 107

جوارى جوار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 112

هل تجير الزهراء عليها السّلام؟!: 114

قد أجارت أختک: 114

أخت الزهراء عليها السّلام: 115

مرى ابنک: 116

هما صبيان: 117

قريش فى مأزق: 119

كلمى عليا: 120

سيد كنانه!! يطلب النصيحه!!: 121

قريش تتهم زعيمها: 122

الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. و الهدف مجهول استشاره أبى بكر و عمر فى أمر مكه: 127

أبو بكر يفشى سرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 129

ذل العرب .. و ذل أهل مكه: 133

حديث فاطمه عليها السّلام كان فى عام الفتح أيضا: 134
جهزينا، و أخفى أمرک: 139

ص: 349

عائشه تفشی سر النبی صلّی اللّه علیه و آله: 140

للمباغته و جهان: 142

مکث ما شاء اللّه: 143

التجهیز لسفر مبهم: 144

نجاح الخطه: 145

الأخذ علی الأسماع و الأبصار: 146

حتی نبغتها فی بلادها: 147

لماذا الحدیث عن قریش دون بنی بکر؟!: 147

أبو بکر و عائشه فی مأزق: 148

أبو بکر یصر علی النبی صلّی اللّه علیه و آله إلی حد الإحراج: 150

أ لیس بینک و بینهم مده؟!: 152

السیطره علی المسالک: 152

إلی بطن إضم: 154

إشاره لما سبق: 156

النفیر العام: 157

الحضور إلی المدینه فی شهر رمضان: 158

إبان المسیر إلی قریش: 158

الفصل الخامس: ابن أبی بلتعه .. یتجس و یفتضح اکتشاف تجسس ابن أبی بلتعه لقریش: 163

نص الكتاب: 166

التدخل الإلهى: 168

ص: 350

لعلها عده رسائل: 180

مقدار الجعل على حمل الرساله: 181

هل نافق حاطب؟!: 181

المخبأ العتيد: 182

الفضل لعلى عليه السّلام: 182

الحرس على الطريق و شى بالخائن: 183

رساله تهديد أم تحذير؟!: 184

دقه معلومات حاطب: 185

خبر السماء: 186

ألا يكفى على عليه السّلام وحده؟!: 187

خذوه منها، فإن أبت فاضربوا عنقها: 188

الصلاه جامعه لماذا؟!: 189

حاطب ينفى الشک و النفاق: 192

تهديد المتهم: 193

ردها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 194

حاطب يلتفت إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله ليرقّ له: 195

قيمه العفو .. و الاستغفار: 196

عذر حاطب: 197

للنبی صلّی اللّه علیه و آله أن یعفو عن حاطب: 198

عمر: مرنی بقتله: 199

منقبه عظیمه لحاطب: 200

ص: 351

لعل اللّه اطلع على أهل بدر!!: 202

إصرار عمر لماذا؟!: 205

الجرأه على الدماء: 206

الفصل السادس: على طريق مكه إستخلف على المدينه و خرج!!: 215

عشره آلاف مقاتل: 218

تأويلات و تفاصيل: 220

لا يزال المقصد مجهولا: 222

توضيح عن المقدمه: 225

إلى أين يا رسول اللّه؟!: 226

لا بد من جواب: 228

حيث يشاء اللّه: 229

إستنفار العرب: 230

سليم تريد الحظوه عند النبى صلّى اللّه عليه و آله: 231

نخوه الجاهليه: 232

بيض النساء و أدم الإبل فى بنى مدلج: 233

الرفق بالحيوان .. مسؤوليه شرعيه: 236

صيام النبى صلّى اللّه عليه و آله فى السفر: 239

أين أفطر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!: 243

حديث الصيام باطل من أصله: 244
حديث شق عليهم الصوم: 248

ص: 352

الفصل السابع: هجره العباس .. و إسلام ابن الحارث و ابن أبى سلمه إسلام العباس و هجرته: 253

وساطه أم سلمه: 255

هجره العباس آخر هجره: 262

الهجره لم تنقطع: 266

الطلقاء ليسوا من الصحابه: 271

العباس يتلقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 272

أين لقى العباس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟!: 273

تناقض و اختلاف الروايات: 275

النبى صلّى اللّه عليه و آله لا يرد السلام و لا يقبل التوبه: 275

تاللّه لقد آثرک اللّه علينا: 278

و من أحسن قولا من اللّه: 281

هنات و هنات فى روايه الواقدى: 282

ألف: اعتراض أم سلمه: 282

ب: أبو سفيان بن الحارث، و الإسلام: 282

ج: علم ابن الحارث بقدوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 283

د: هل سيفرح المسلمون بإسلام ابن الحارث؟!: 284

ه: بطولات أبى سفيان بن الحارث فى حنين: 285

و: يا للأنصار! يا للخزرج!!: 285

ز: سؤال النبی صلّی اللّه علیه و آله عن أبی سفیان بن الحارث: 285
عمر یغری بأبی سفیان بن الحارث: 286

ص: 353
الفصل الثامن: أبو سفيان فى أيدى المسلمين ..
زعماء يربأ بهم النبى صلّى اللّه عليه و آله عن الشرک: 291
منام أبى بکر: 293
جيش الإسلام فى مر الظهران: 294
إنه ليس بملک: 307
من الذى کان مع أبى سفيان؟!: 307
لم يبلغهم حرف واحد: 308
تزوير الحقائق: 308
عشره آلاف نار لماذا؟!: 309
إن لقيت محمدا فخذ لنا أمانا: 310
العباس الناصح لقريش على بغله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 311
علم العباس بمکان أبى سفيان: 312
عمر و أبو سفيان: 314
ترهات و أکاذيب: 316
بديل بن ورقاء خزاعى: 317
ما هذا التصافى و الإنسجام؟!: 318
حماس عمر لقتل أبى سفيان: 319
تناقضات مواقف عمر و أبى بکر: 320

لا مبرر لقتل أبى سفيان: 323
اتهام العباس لعمر بن الخطاب: 324
إسلام العباس .. و إسلام الخطاب: 325

ص: 354

جوار العباس: 326

هل مكث أبو سفيان عند النبى صلّى اللّه عليه و آله عامه الليل؟: 327

ملک أم نبوه؟!: 328

عمر لا يراعى مجالس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: 330

أبو سفيان يخاف من الأذان و الصلاه!!: 331

أسلم تسلم: 332

المعادله التى اعتمد عليها أبو سفيان: 334

لو لا المعجزه لم يسلم أبو سفيان: 335

العتاب و الجواب: 336

تصحيح اشتباه: 338

الفهارس:

1- الفهرس الإجمالى 343

2- الفهرس التفصيلى 345

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.